
أحمد عثمان
الوحي
رواية
ساحر الكتب





أحمد عثمان

رواية

الوحي

#جاء_وقت_الحساب

الإهداء

إليه...

الحبيس الذي في داخلك

فلتُطلِق له السراح

في غرفة تملؤها الظلمة الموحشة إلا من هذه الإضاءة الخافتة المنبعثة من وحدة معلقة في وسطها، كان هذا القط الأسود يراقبهم من الخارج في صمت، لم يلاحظوه من عتمة الليل الكئيبة، فلقد كان كالطيف، عبر إليهم في رشاقة فقط حين استدعوه، فلقد كانت اعترافاتهم مُشينة.

كانوا ثلاثة وهو رابعهم، توسطوا الغرفة بشكل دائـري، فلم يظهر من الغرفة إلا كراسيهم الأربعة قديمة الطراز، أسفل تلك الإضاءة الحائرة، بعد لحظات من التوتر سمعوا صوت خطواته الثقيلة وهي تخطو فوق أرضية الغرفة الخشبية العتيقة، مُحدِثةً رهبة في نفوسهم الضعيفة، حتى اقتربت قدماه من دائرة النور، فوقف يراقب رائحة الخوف في عرقهم الغزير، ثم اقترب أخيرًا ليتوسط المشهد، ليصبح محط أنظارهم، لم تظهر ملامحه أسفل هذه الإضاءة المركزة، لم يكن الرجل مؤمنًا ولم يكن يعلم أن مصيره سيتعلق بهذه الجلسة بعد شهور من الآلام، وإن كان يوقن أنها جلسة مليئة بالعار، فقرر أن يشرح لهم طقوس شعائرهم في الساعات القادمة وبجدية مخيفة بدأ.

-لازم كلكوا تبقوا فاهمين كويس قواعد اللعبة.

نظر إلى أربعتهم محاولاً تمييزهم من العتمة وتابع:

- محدش منكم ينفع يتعرف على التاني، أو حتى يقابله برا الأوضة دي.

لم تردعه ازدياد رائحة خوفهم ليكمل في تحدٍّ:

- وعشان تعرفوا تعيشوا وسطهم برا لازم تتعروا قدام بعض، هنا، في الأوضة دي.

أعطى القط الرجل الإذن ليبدأ شعائر الجلسة الرابعة والأربعين، لينظر إلى وجوههم محاولاً اختيار ضحيته الأولى، إلى أن وقع اختياره على أحدهم، ليشير له إلى منضدة خشبية قديمة أخرى في آخر الغرفة، أُسدل عنها الستار بلمسة سحرية من يده، لتبدأ الطقوس...

أراح القط جسده الممتلئ، ولمعت عيناه الصفراء وسط العتمة، كان مستمتعًا بالعرض، فلقد كان ينتظر تلك الدعوة منذ دهر، بدأت الضحية شعائرها بينما بدأ هو في التكشير عن أنيابه، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

جلس والعرق يغمر جبينه، فلم يكن يرى من يُخاطب في هذه العتمة، ظل يهمس بكلمات وتراتيل غير مفهومة. كان مضطرًّا أن يُدلي باعتراف مشين. كان خائفًا، فهو يعرف قوة من يأسره وحقيقته جيدًا، فهو قارئٌ لأفكاره، حافظٌ لحيله، فها هو يجلس الآن عاجزًا عن مقاومته، لا

يستطيع التخلص من قيوده، رافضًا لضعفه، بدأت دموع ظلمه تُصاحب عَرَقَ خوفه، فخلع نظارته ورفع صوته لينطق جملة أخيرة:

"أنا الحبيس"

***

ابتسم ابتسامة يأس، فقد كان يعرف أنه قد "جاء بالفعل وقت الحساب"، ليسمع صوت شد أجزاء السلاح، ليلتفت خلفه، ليواجه الكراسي الأربعة، ليلمح في الظلام هذا الظل الذي كان يعرف صاحبه جيدًا.

- مش قولتلك هارجع تاني!!

لم ترحمه توسلاته، فقد عزم قاتله النية مسبقًا. كان هذا واضحًا من قفاز يده الجلدي، فلم يأتِ برد الشتاء بعد، علم أنها لحظته الأخيرة، كان متيقنًا أنه قد خُدع، فابتسم يأسًا وهو يسمع شد أجزاء سلاح قاتله، فأغلق عينيه ليسمع صوت طلقة الخيانة في استسلام.

***

جميع أحداث هذه القصة لا تمت إلى الواقعِ بصلة ،
وأي تشابه يٍتصوَّره عقلك ، هو من خيال قَرينك
الحبيس.

الواحدة صباحًا

من داخل بيتها بجاردن سيتي، كانت "نور" وزوجها "تيتو" على فراش الزوجية، يتبادلان الغرام. كان "تيتو" عنيفًا معها، كان المشهد أشبه باغتصاب، يفتقر إلى الرومانسية والود، لم تستطع "نور" مجاراته، فهربت من بين أحضانه متحججة ببكاء ابنهما "شريف" في الغرفة المجاورة لهما، لتترك"تيتو" يدخن سيجارة نشوته وحيدًا، لتتجه إلى غرفة "شريف" ابن السنوات السبع.

كانت الغرفة مُعتمة، فحاولت "نور" فتح الإضاءة ولكنها لم تضِئ، فبحثت عن صغيرها في الظلام، ولكن دون جدوى، فغرفته كانت شاسعة، فاقتربت إلى سريره الصغير، لتجد هاتين العينين الصفراوين تترقبها؛ لتزيد من سرعة دقات قلبها، حتى قفز القط من السرير، تاركًا لها الغرفة، لتهدأ "نور" لحظات، قبل أن تتابع البحث عن ابنها الوحيد.

- "شرييييف"؟

لم يجبها ابنها، فزاد خوفها، وقبل أن تترك الغرفة لتتابع البحث خارجها، لاحظت صوت حشرجة أنفاسه، فلقد كان مريضًا بالربو، فوصلت إلى آخر الغرفة حيث كان المكان المخصص لجهاز الكمبيوتر، ولكنه كان مغلقًا، وإن كان مصدر صوت الحشرجة قادمًا من جهته، فاقتربت، بينما كان صوت الحشرجة يعلو، حتى شعرت بوجوده، كان "شريف" جالسًا على الكرسي المقابل لجهاز الكمبيوتر شاردًا، وكأن بالشاشة ندَّاهة تتحكم به، فاقتربت "نور" منه وسط الظلام، وحاولت جذب انتباهه، ولكن دون جدوى، فقد ظل ينظر إلى الشاشة في حالة غريبة من الثبات! فاتجهت "نور" إلى النافذة التي كانت بجوار الكمبيوتر وفتحت الستائر، لتعطي الإذن لبعض خيوط النور بالدخول؛ لتشير لها إلى ما جهلت بوجوده، فلقد كتب على الشاشة بدماء خبيثة جملة واضحة من ثلاث كلمات:

"جاء وقت الحساب"

***

من شقتهما بالدقي كان "نبيل" يحلق ذقنه في حمَّام غرفته، بينما كانت زوجته "سارة" نائمة، والتلفاز مفتوح كالعادة، وكان جرس هاتفه يرن من على الشاحن الموضوع على الكمودينو المجاور، لم يكترثْ "نبيل" وتابع حلاقة ذقنه، إلى أن استيقظت الزوجة في غضب وأمسكت بالهاتف لتجد رقمًا مميزًا يتصل، فردت بصوت منخفض وفضول:

- أيوة!

شردت "سارة" طويلاً وأغلقت الخط قبل أن تلاحظ "نبيل" الذي كان قد وصل خلفها، وهي تحاول فتح هاتفه بفضول لترى محتوى الرسالة التي تلت المكالمة، ولكن كلمته السرية عطلتها، فلقد فشلت أولى محاولاتها، حتى نجحت في الثانية، وقبل أن تفتح الرسالة الواردة، كان زوجها يدفعها بقوة على السرير ممسكًا بهاتفه في غضب:

- هي دي أخلاق ولاد الأصول برضه؟

قالها قبل أن يشرد هو الآخر ويضعف كبرياؤه الذي انكسر أمامها وهو يقرأ الرسالة:

"جاء وقت الحساب"

***

من داخل شقة رجل الأعمال ومرشح الانتخابات "ناصف شوكت" بالزمالك، كانت "ماجي" - مساعدته ومديرة مكتبه - مستاءة جدًّا من الاتهامات التي وُجهت إليها، وإن كانت تعرف أنها ليست بريئة على أي حال، فوضعها بالفعل مشين، كما علمت أنها قد أصبحت في خطر، فهي لا تعلم إذا كان هناك ما يُدينها أكثر، ظلت تُحاول إخفاء أثار الضرب والكدمات من على وجهها الجميل قبل أن تقترب من إحدى النوافذ لتتصل بعشيقها، فهو الوحيد الذي تستطيع الوثوق به، ولعله

يسامحها، أو يجد لها مخرجًا بنفوذه.

- أيوه يا حبيبتي في إيه بس؟

لم يكن يصدق ما يسمعه! فأغلق الهاتف وأجرى اتصالاً آخر:

- "سامي" إنت فين دلوقتي؟

لم يكن "سامي" يتوقع أن تكون الأحداث بهذه السرعة، ولم يكن يعلم هذا المنعطف الذي ستؤول إليه الأمور، ولم يكن يتخيل أبدًا أن تكون هذه هي النهاية، فأغلق الخط ليقوم باتصال أخير، فلقد كان يعلم أنه قد "جاء وقت الحساب".

***

- حبيبتي؟

- حبيبي، أنا آسفة!

- آسفه ليه؟!

- ساعة الصفر جت.

- يبقى جِه وقت الحساب.

فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

التاسعة صباحًا

من داخل غرفة مكتبه الفارهة بوزارة الداخلية، كان مساعده ينتظره، وهو يُحلق بنظره على رفاهية قائده الذي صرف من جيبه الخاص، ليحصل على مكتب فاخر لا يمتلك مثله الكثيرون بالداخلية، فقد كان مكتبًا عصريًّا ذا أرضية من الخشب الصناعي أبيض اللون، تظهر جرأة حوائطه المغطاة بورق حائطي يغلب عليه اللون الأزرق، المتماهي مع مكتبه الفخم، الذي يعتليه جهاز كمبيوتر يحمل أسرار كل هذه الإدارة، لذا لم يكن أحدٌ يستطيع الوُلوج إليه إلا بكلمته السرية التي كان يغيرها يوميًّا باسم من أسماء أبنائه الأربعة الذين لم يحصل عليهم قط!

ظل "هشام" جليسًا لأكثر من نصف ساعة ينتظر قائده الذي لم يعهد منه التأخير أبدًا، بل كان حادًّا في مواعيده والتزاماته. كان "هشام" يتمتع بمظهر مقبول، أسمر البشرة، ذو شعر فاتح، متوسط الطول والوزن، لم ينتهِ من عقده الرابع بعد، وقبل أن ييأس، فتح شرطي شاب الباب للعقيد "نبيل" الذي دخل في وقار وهيبة ملحوظة، فوقف

"هشام" احترامًا له، كان كلاهما يرتديان الزي الملكي. كان "نبيل" رشيقًا، طويل القامة، قوي البنية متباهيًا بذلك، حيث رفع أكمام قميصه، لتظهر عروق يده أسفل بشرته البيضاء، ورغم شيب بعض خصل شعره الناعم، بدا أصغر سنًّا من "هشام" الذي كان يصغره بأكثر من سبع سنوات. توجه "نبيل" إلى مكتبه وجلس بعد أن ألقى التحية على "هشام". كان التعب والسهر ظاهرين على عيني "نبيل" المرهقتين، فتوجه إلى الشرطي قائلاً:

- قهوتي بسرعه يابني.

قاطع "هشام" قائده في توتر:

- قهوة إيه يا باشا؟ حضرتك لازم تيجي معايا دلوقتي.

تعجب "نبيل" من توتر "هشام" وأشار للشرطي بالانصراف.

- في إيه يا "هشام"؟ خضتني.

- يا باشا جريمة قتل.

ضحك "نبيل" كثيرًا، وأخرج علبة سجائر من درج مكتبه بهدوء، وأشعل سيجارة وهو يريح ظهره، وقال مبتسمًا:

- وإحنا مالنا يا سيادة الرائد، هو مش إحنا إدارة التوثيق والمعلومات برضه، ولَّا همَّا نقلونا وعملوهالي مفاجأة؟

بنفاد صبر تكلم "هشام" بجدية أكثر:

- يا فندم الموضوع يخصنا.

انتبه "نبيل" لجدية "هشام" واعتدل ليواجهه.

- في إيه يا "هشام" قلقتني؟

- "الوحي".

كان للكلمة تأثير الرصاص على "نبيل" الذي سحب الكثير من دخان سيجارته في توتر ملحوظ.

- مين؟!

- "الوحي" يا فندم، أو "سامي" يعني.

قالها "هشام" وهو ينظر بقوة في عيني "نبيل" الذي لم يستطع استقبال هذه النظرات، فهرب بنظره إلى مكتبه وقال:

- أيوه أيوه ماله؟!

- بقول لحضرتك إتقتل.

أطفأ "نبيل" سيجارته على زجاج مكتبه، دون أن يخفي توتره وقال:

- وإنت عرفت ازاي؟!

- ما هي دي المصيبة يا فندم، الحادثة اتذاعت على الهوا على صفحته

على (الفيس بوك)، بقالها ساعة.

سكت "هشام" لحظة ليستمتع برد فعل مديره ثم تابع:

- حضرتك عارف طبعًا يعني إيه فيديو يتذاع على صفحة موثقة عليها أكتر من تلاتين مليون متابع.

***

دخل "نبيل" إلى غرفة الضباط التي يتشاركها أكثر من أربعة منهم، الغرفة التي يتواجد بها "هشام" دائمًا، والتي كانت مليئة بالشاشات، تعرض مختلف صفحات التواصل الاجتماعي عامة، و(الفيس بوك) خاصة، وكانت في هذه الساعة أشبه بغرف العمليات الخاصة. كانت معظم شاشات العرض في هذه اللحظة تتابع صفحة واحدة فقط، صفحة "وحي القلم"؛ الصفحة التي اتخذها "الوحي" لنفسه، يبث منها للعالم خواطره وأشعاره، وبعض المعلومات الثقافية المغلوطة، وإن كان هذا ليس إلا ستارًا لغرضها الرئيسي في الدعاية والتسويق الرخيص لأي منتج أو شركة، مستغلاً التفاعل الأعمى لجمهور الصفحة، فأمر "نبيل" ضباطه بتشغيل مقطع الفيديو المزعوم، وقد كان.

كان المشهد مصورًا دون ألوان أو صوت، من كاميرا سقفية للمراقبة. كان المكان أشبه بغرفة معيشة وإن لم يظهر التصوير تفاصيلها، لم يتعدَّ المقطع العشرين ثانية، دخل فيها القاتل الكادر من جهة اليسار

بهدوء ليواجه ضحيته الذي كان يقف أمام أريكته. وضع القاتل وسادة على فوهة مسدسه بعد أن شد أجزاءه بقفاز يده، ليطلق رصاصته بدم بارد ثم غادر الكادر، لتسقط ضحيته على الأريكة غارقًا في دمائه. كان المقتول شابًّا كثيف الشعر، وإن لم يظهر التصوير ملامحه. ظل "نبيل" يأمرهم بإعادة المقطع أكثر من مرة، ثم قال:

- الفيديو ده اتشاف كام مره لغاية دلوقتي؟

- أربعة مليون يا فندم.

- إنتوا خليتوا فيها يا فندم! كنتوا فين من الصبح؟

سارع "هشام" بالرد على قائده، في خبثٍ كان كلاهما يفهمانه:

- يا فندم حضرتك تليفوناتك كلها كانت مقفولة.

في حدة قاطعه "نبيل":

- خلاص خلاص. إنت هاتحكيلي قصة حياتك؟ إنتوا اتأكدتوا إن المقطع ده حقيقي؟

لم يرد الجميع، فبادر "هشام" بإطلاق رصاصة:

- أنا كلمت البحث الجنائي يا فندم وبعتنالهم العنوان.

- بحث جنائي؟! فالح يا اخويا، وأنا هنا بعمل إيه يا بيه؟

قبل أن يتفوه "هشام" بكلمة أخرى أكمل "نبيل":

- أنا هاروح حالاً ما أنا لازم أعمل كل حاجة بنفسي هنا.

قالها "نبيل" وخرج تاركًا نظرات "هشام" القاتلة، الذي أخرج هاتفه، ليقوم باتصال هام.

***

لم يستطع رجل الأعمال المشهور "ناصف شوكت" النوم طوال الليل، بل ظل ينتظر نور النهار لينفذ التعليمات، فمضطر هو أن ينصاع لأوامر هذا المجهول الذي قلب موازين ليلته، وإن كان يعلم أن شريكه سيسعى للقتل، لكنه آثر الاستسلام، فإذا انكشف سره فسيخسر حياته ومستقبله، فهو على بُعد خطوة من سباق الانتخابات، ولا يستطيع المجازفة، حتى بخسارة ملايينه الثلاثة.

خرج "ناصف" من منزله مع مديرة مكتبه "ماجي". كانت "ماجي" مثيرة، من الصنف الذي يفضله الرجال، شقراء، وذات عينين خضراوين، ممشوقة القوام، جريئة في قصة شعرها، و(الميك اب) الذي احترفت التلاعب بألوانه. كانت تعرف كيف تحصل على ما تريد بطريقتها الخاصة، فمن الصعب أن يصدها أي رجل، وكان هذا من أسباب تعيين "ناصف" لها، لتصبح كاتمة أسراره الأولى في غضون أشهر قليلة. لم يصطحب "ناصف" سائقه حسب التعليمات لتتولى "ماجي" القيادة، اتجها سويًّا إلى بنكيْن مختلفين ليجمع كل المال المطلوب، ثم توجها أخيرًا إلى البنك المنشود، ليودع المال حسب

الاتفاق. لم تجد "ماجي" أي مكان لصف السيارة، ولم يكن "ناصف" يهتم بمثل هذه الأمور، فنظر إلى ساعته التي كانت التاسعة والخمس وأربعين دقيقة، فلم يجد مفرًّا من ترك كل شيء مع "ماجي" وتوجه بحقيبته وملايينه الثلاثة إلى الداخل.

كان "ناصف" قصير القامة، أصلع الرأس، أبيض البشرة وبعينين زرقاوين، فتعرف عليه بسرعة أحد مديري البنك، الذي كان يعلم بقدومه سلفًا:

- أهلاً أهلاً يا "ناصف" باشا.

في ترقب مد "ناصف" إليه يده بتحية متحفظة.

- أنا "خالد الشيمي" يا فندم.

تعرف "ناصف" على الاسم حسب الاتفاق، ليتابع "خالد":

- إتفضل يا فندم في مكتبي دقايق وكل حاجة هاتبقى جاهزة.

توجه كلاهما إلى غرفة "خالد" الصغيرة، بطابق بانورامي علوي. ظل "ناصف" يراقب منها الصالة الرئيسية للبنك؛ هروبًا من نظرات "خالد" الذي قال:

- والله أنا لما أستاذ "محمد" قالي إنك جاي بنفسك كنت في غاية السعادة، وقلت أساعد حضرة النايب بنفسي.

- "محمد" مين؟!

قبل أن يجيب "خالد" قاطع حديثهما طرق رجل للباب، فأذن له "خالد" بالدخول، ليتوجه الرجل إلى "ناصف" بالسؤال:

- تشرب إيه يا باشا؟

- ولا حاجه.

قالها "ناصف" بحزم ليصرف "خالد" الرجل.

- معلش يا ريت نخلص الإجراءات بسرعة.

- يا فندم حضرتك مش هاتاخد معانا عشر دقايق، والله إحنا سعداء إن حضرتك هاتبقى عميل عندنا.

- لأ، أنا مش جاي أودع لحسابي.

- أنا فاهم، فاهم، ماتقلقش خالص دقايق وكل حاجه هاتكون جاهزه.

- هو حضرتك معاك الأسماء اللي هانودع لها؟

- آه يا فندم، دقايق وكله هايكون جاهز.

بعد دقائق قليلة كانت الإجراءات قد انتهت، فأنهى "ناصف" الحديث بعدما تأكد من الإيداع، واتجه إلى سيارته في الخارج، حيث كانت "ماجي" قد أرسلت الرسالة المتفق عليها من هاتف "ناصف" الذي

تركه معها كالعادة.

دخل "ناصف" السيارة، ونظر نظرة سريعة إلى ساعته، التي كانت قد قاربت على العاشرة صباحًا؛ ليتنفس أخيرًا الصعداء.

- تمام.

قالتها "ماجي" التي توترت عند قدومه.

- تمام. الحمد لله!

- طيب أنا بعت الرساله خلاص، وهاخلي التليفون معايا، مش عايزاك تقلق خالص، الموضوع خلص.

فابتسم "ناصف" محاولاً إيهام نفسه بصدق حديثها.

***

من داخل غرفة بغيضة، كان هناك صوت يقترب من الخارج، صوت لشيء ما يجرح في الأرضية غلاً وكراهية، مصحوبًا بخطوات شيطانية تقترب بهدوء. كان الصوت لأنبوبة غاز تُجر حاملة رائحة الانتقام، ثقيلة، لتصل بغازها الحبيس إلى الغرفة المنشودة، فاستقرت في ركن بعيد عن الأنظار، ثم تلاشت الخطوات الشيطانية، لتتركها وحيدة في العتمة قبل أن يتكرر المشهد البغيض لتأتي إليها أنبوبة أخرى، تؤنس وحدتها، فلن تستطيع واحدة فقط إتمام المهمة التي جاءت بها تلك

الوسوسة الشيطانية من السماء، بينما ظلت سهام الترقب المنبعثة من عيون ذلك القط تراقب كل هذه الأحداث في نشوة ورضا، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

العاشرة صباحًا

ذهب "نبيل" إلى عنوان "سامي" المزعوم بمفرده، رافضًا اصطحاب أي من ضباطه. كانت الشقة تقع في منطقة المهندسين. كانت الشقة عبارة عن مكتب في المقام الأول وإن كان "سامي" يسكن بها منذ أن استقل عن أهله، بعدما رفض استكمال تعليمه، الذي لم يكن ليضيف إليه الكثير في العمل الذي اختاره في وسائل التواصل الاجتماعي.

نظر "نبيل" إلى العقار بترقب، فقد كان الشارع مزدحمًا في هذه الساعة من الصباح. كانت الشقة تقع في الدور الأرضي، وكان لها مدخل خاص بخلاف المدخل الداخلي من العقار، فتوجه إليه "نبيل" في حذر. كان للشقة حديقة صغيرة بسور قصير من الزرع، يتوسطه باب حديدي قديم أهلكه الصدأ، لم يكن الباب موصدًا، ففتحه "نبيل" بسهولة وعبر إلى داخل الحديقة، ماسحًا إياها بنظرات خاطفة قبل أن يتجه إلى باب الشقة، لم يحاول البحث عن جرس، فقد كانت لافتة "مفتوح" المعلقة بالمقبض الخارجي كافية، فأخرج مسدسه في ترقب

ودفع الباب بتروٍّ، فإذا به يسمع جلبة غريبة من ظلمة الداخل، فدخل سريعًا وهو يبحث عن مصدر هذه الحركة المجهولة، محاولاً إيجاد مصدر للإضاءة، ولكن دون جدوى، بينما ظل صوت الحركة يقترب، وهو لا يزال يضغط على مفاتيح الإضاءة في رهبة من وسط العتمة، فقد كان التيار الكهربائي مفصولاً. ظلت الأصوات تقترب وتزداد شيئًا فشيئًا، بينما أُغلق باب الشقة فجأة بقوة؛ ليجعله حبيسًا وحده وسط أصوات المجهول. تذوق "نبيل" طعم الخوف الذي كان قد نسيه، وتوجه إلى الباب سريعًا ليرجوه أن ينفتح. في لحظة وصول الصوت إلى قدميه، وفي لحظة خوف صادقة، أطاعه الباب وفك أسره؛ ليهرب أصحاب الصوت والحركة من بين قدميه. أربع قطط سوداء تهرب من هذا المكان البغيض بعدما نالت مرادها. لم يزل متجهم الملامح متصلب الحركة، ليرميه أحد هذه القطط بنظرة توعد كالسهم، مكشرًا عن أنيابه قبل أن يذهب مسرعًا من خلال سور البوابة الحديدية، ومن بعده تابعوه، في لحظة ظهرت فيها الحقيقة وتجلت.

بعد لحظات من الصمت، ابتسم "نبيل" ليُطمئن نفسه، وأخرج هاتفه المحمول وفتح كشافه، ثم التفت إلى الداخل متحديًا ضعفه، وليثأر لكبريائه. أغلق الباب خلفه وتابع، كانت الشقة منفتحة الفراغات، لتعطي إحساسًا خادعًا باتساعها، خطا بعض خطوات في تحدٍّ، ليجد نفسه أمام طاولة بلياردو صغيرة. كان يعلم أن "سامي" يكسب الكثير

من الأموال، كما كان منطلقًا بحكم سنه.

تابع "نبيل" التقدم، إلى أن سمع صوتًا آخر أكثر حذرًا من ذي قبل، فتريث وجثا على ركبتيه وأطفأ كشافه وحبس أنفاسه في ترقب. وبعد لحظات سمع صوت فتح الـ (ويندوز) للكمبيوتر، ثم وجد ضوء شاشة كمبيوتر يظهر من بعيد، فتريث برهة ثم اقترب ليتابع في فضول، حتى أصبحت الشاشة على بعد أمتار قليلة، فتوجه إليها، أو لعل الرسالة المكتوبة هي التي جذبته ليقترب، فقد كانت موجهة إليه في تحدٍّ واضح. كانت رسالة بتوقيع "الوحي". جملة من ثلاث كلمات تظهر مصير الساعات القادمة من يومه:

"جاء وقت الحساب"

تسمر "نبيل" قليلاً مكانه ليبتلع ريقه، محاولاً استيعاب الأحداث، ولكنه كان ضعيف النفس، قليل الحيلة، فتوجه إلى الشاشة وأمسكها ثم طرحها أرضًا، ليعيد الظلمة إلى المكان مرة أخرى، بينما ظل صاحب هذه الخطوات الخفية يراقبه من بعيد، مؤرقًا إياه بصوت حركته في الظلام، فقد كانت كخطوات شيطان، تصول وتجول في المكان شرقًا وغربًا، هربًا منه وليس قوة. أضاء "نبيل" كشافه مرة أخرى ليتابع حدسه الذي أوقفه عند باب الغرفة الوحيدة بالمكان، ليفتح بابًا كان من الأفضل له أن يتركه موصدًا؛ ليجد أمامه هذا الوجه الملائكي الذي لطالما انجذب إليه، كاسرًا حاجز المكان، فتعجب "نبيل" مما يراه

أمامه! فاقترب ليكتشف الخدعة إن كانت هي بالفعل، أم أنه شيطان، أم مجرد لوحة جدارية ترسم له ملامحها. اقترب منها ليتأكد من أنه ليس واهمًا، ولكنها باغتته بالهجوم، تضربه بكل ما أوتيت من قوة. ظل يدافع عن نفسه متلافيًا مخالبها الدامية، فدفعها ليقعا على أريكة جلدية كبيرة، التفّت والتف معها مجهدين والخوف يقتلهما، يعرفها وتجهله، إلى أن أضاءت الغرفة تلك الشاشة الكبيرة، التي تعلن أنه قد "جاء وقت الحساب" ليتوقفا عن القتال للحظة، يترقبان الرسالة، وتلك الكف التي وسمت الشاشة بسائل أحمر لزج، استنتج كلاهما أنه دم، دم قادم من جوار الشاشة، من هذا الجسد الذي يتقدم نحوهما في ظلام الصمت، مستغيثًا بصرخات مكتومة عجزًا من فمه المطموس، فلم تتمكن "نور" من حبس صراخها الذي ملأ المكان، ليخيف كل من هناك، ليعود التيار ويضيء المكان مرة أخرى؛ ليجدا بجوارهما هذا الشاب جالسًا على الأريكة ينظر إلى الأسفل، كالبلياتشو الحزين، بشعره الكثيف، غارقًا في دمائه، أما هي الآن فتنظر إلى "نبيل" الذي كان مستلقيًا فوقها على الأريكة.

- "نبييل"؟!!

- أيوه يا "نور"، "نبيل".

ظل "نبيل" مستمتعًا بوضعه، بينما دفعته هي بقوة ليقف.

- إنتي إيه اللي جابك هنا؟

- اللي جابني هو اللي جابك.

قالتها وهي تقوم لتخفي آثار العراك الذي قطع جزءًا من قميصها؛ ليَظهر جزءًا من بياض خصرها الوردي، لتجذب نظره في تلقائية أحرجته، فهي جميلة تتمتع برشاقة وطول، لها شعر غجري أسود طويل وإن كانت تلفه دائمًا بهذا القلم في أعلى رأسها، حادة الملامح، قوية، تجذب الناظرين كالمغناطيس من خلف نظارتها. ذكرته بما جاءا من أجله، فقد كان "سامي" جالسًا بجوارهما في صمت ينتظر الحساب. تأثرت هي عندما أدركته وغضت نظرها، فلقد كانت تعرفه جيدًا، بينما توجه "نبيل" باحتراف ليتفقده. شاب صغير يظهر طيشه على ملابسه وأسلوب حياته، ضعيف البنية، يرتدي بنطالاً من الجينز وقميصًا أبيض لطخته الدماء، تأكد "نبيل" من نبضه أنه قد فارق الحياة، فتوجه إليها قائلاً:

- مات.

- ماشاء اللّه عليك!

لم يكن ليسمح لغيرها بمثل هذا السخرية، ولكنه تابع:

- إنتي إيه اللي دخلك هنا؟

- ما قولتلك اللي جابني هو اللي جابك.

ظل يرمقها بنظرة شك، فهي بالتأكيد لا تعلم ما قد حدث في الساعات الماضية.

- في إيه يا "نبيل" ما أنا صحفيه يا أخي وده شغلي وفيه ملايين تابعوا اللي حصل.

لم يقتنع بكلامها من لغة جسدها، وظل يرمقها بنظرات من الشك والترقب، فقلبت "نور" الموازين وسألته:

- إنت إيه اللي جابك يا حضرة الظابط؟

ارتبك "نبيل" قليلاً ثم أجاب.

- شغلي، هو أنا بياع سبح ما أنا ظابط.

- طيب إيه اللي دخلك كده زي الحراميه يا حضرة الظابط، وفين عساكرك؟

- ما هو...

تردد قليلاً وتحرك ناحية باب كان يُطل على الحديقة، ليتفقده، ثم ابتسم قائلاً:

- ما هو اللي جابني هو اللي جابك.

باع هو وهي اشترت.

- الفضول؟

بدأ "نبيل" يطمئن بأنها تجهل الكثير، فسايرها في الحديث وتابع:

- بالظبط كده.

قبل أن يُكملا الحديث، كانت ضجَة خارجية قد ولدت من جديد، أصوات تعلو وتقترب، صيحات وخطوات تشعل المكان، فخافت "نور" واستترت خلف "نبيل"، خفتت الإضاءة وعادت، ثم بدأت في التردد مجددًا، بينما لم يتأثر الكمبيوتر من تذبذب التيار، وظل ثابتًا على رسالته من خلفهما، ثوانٍ وامتدت يد غامضة على مقبض الباب لتفتحه، فأخرج "نبيل" سلاحه ووجهه نحو الباب، ليُسدل الستار عن جيش من عساكر الداخلية التي ملأت المكان عن آخره، موجهين أسلحتهم نحوه، ومن ثم دخل ضابط شاب ليجد القتيل، والعقيد "نبيل" الذي قال وهو يخفض سلاحه:

- عقيد "نبيل مصطفى" من إدارة التوثيق والمعلومات.

في اللحظة التي ظهرت من خلفه الجميلة "نور" في ثيابها المقطعة، فتعجب الضابط الشاب وقال:

- وهي حبكت هنا يا باشا؟!

***

من داخل الغرفة البغيضة التي أُعدت بأنابيب الغاز، ظلت الأيادي الشيطانية تخترق صفحات (الفيس بوك)، تجهيزًا لما سوف يحدث

في الساعات المقبلة، وسط مواء بغيض لقط محترف مستمتعًا بعمله، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

من داخل ستوديو "هشام" كانت المفاجآت تزداد، فقد تغيرت أغلفة آلاف الصفحات على (الفيس بوك) بغلاف من تصميم "الوحي" وتوقيعه، كتب فيه كلماته الثلاث: "جاء وقت الحساب"، فخاف "هشام" من التوبيخ مرة أخرى وتوجه بالاتصال أكثر من مرة بقائده، الذي لم يكن يجيب.

فقد كان "نبيل" مع "نور" يحاولان إقناع الضابط الجنائي الشاب الذي استلم موقع الجريمة، بأن يعطيهما المساحة في التواجد معهم داخل شقة المذكور، فقد كان "نبيل" يريد التأكد من مصدر تصوير الحادث.

وقد اكتشف "نبيل" أن "سامي" كان قد جهز مكتبه بالعديد من الكاميرات، منها تلك التي كانت في سقف غرفة مقتله، وإن كان يوجد غيرها الكثير يصعب اكتشافها بسهولة دون سابق معرفة، فحاول "نبيل" العثور على مصدر تسجيل تلك الكاميرات، ولكنه كان مختفيًا من جهاز الكمبيوتر؛ مما أربك الجميع.

طلب "نبيل" من الضابط الشاب التدخل رسميًّا في التحقيق، متحججًا

بما أذيع علنًا على وسائل التواصل الاجتماعي، ليورط إدارته في التحقيق، ولكن الضابط قد اكتفى بتدخله بشكل غير رسمي، وتجاهل وجودهما في المكان، واتفق معه أن يساعده في الساعات القليلة القادمة، بشكل ودي قبل أن تتدخل النيابة العامة.

كانت ساعات "نبيل" قليلة فعلاً، فوقف شاردًا في حديقة بيت "سامي" مع "نور" يدخنان سويًّا في حيرة، بينما عاود "هشام" الاتصال:

- أيوه يا "هشام"، أيوه يا "هشام"، إيه يا حبيبي عايز الرضعه ولا آجي أغيرلك أحبيبي؟

- يا باشا لازم أبلغك بالجديد.

- طيب إتفضل يا سيدي، إتفضل بلغني يا حبيبي.

- حصل (هاك) على ألوف الصُّفح من "الوحي"، وكلهم إتحطلهم نفس الغلاف.

- يانهار اسود! هاك على إيه يا "هشام"؟! ده إحنا اللي اتهاكنا.

تذكر "نبيل" وجود "نور" فأكمل باحترام مصطنع:

- ازاي يا "هشام"؟

- والله يا باشا مش فاهم، أكيد "الوحي" اللي بيعمل كده، أكيد بيلعب لعبه إحنا مش فاهمينها.

سكت "نبيل" وخطف نظرة إلى داخل المكتب مرة أخرى حيث الطب الشرعي كان قد وصل.

- لأ يا "هشام" "الوحي" مات فعلاً.

لم يجب "هشام" على "نبيل" ليتابع هو:

- اديني بسرعه عنوان العيال اللي شغاله مع "الوحي" بسرعه، بقولك بسرعه.

توجه "نبيل" بالحديث إلى "نور":

- هاتي ورقه وقلم.

بحثت "نور" في حقيبة يدها بسرعة عن ورقة صغيرة، ثم أخرجت القلم الذي كانت تلف به شعرها الغجري، ليتساقط ليصل إلى أسفل خصرها، معطية إياه لـ "نبيل" الذي شرد في جمالها، حتى سمع العنوان، فانتبه وكتبه وهو مشغول بها، بينما رمقت هي الاسم والعنوان بمنتهى السهولة بين سطور "نبيل" الذي كان قد أنهى اتصاله، وقبل أن يتابع حديثه إليها، لفت انتباهه رسالة نصية وردته منذ قليل ولم ينتبه إليها، فقرأها ليظهر عليه الارتباك.

- في إيه خير؟

- بقولك إيه كفايه عليكي كده، إنتي لو كنتي اتمسكتي جوا لوحدك كان زمانك في مصيبه.

قالها "نبيل" ثم حاول الاتصال برقم ما في قلق وارتياب، ولكنه كان مغلقًا، فقرر الاتصال بزوجته، ولكنه لم يكن يفضل الاتصال بها في وجود "نور"، فأرسل إليها رسالة نصية قصيرة، لتخبره أنّ جاء أحد لزيارته.

- طيب إحنا هانعمل إيه دلوقتي؟ أنا هاجي معاك للناس اللي إنت رايحلهم دول.

كان "نبيل" لا يزال متوترًا، خصوصًا من هذه الزيارة المفاجأة التي علم بها، فنظر إلى ساعته ليجدها قد أصبحت الحادية عشرة، فتوتر أكثر وتابع:

- معلش يا "نور" أنا لازم أروح البيت الأول، عندي ضيف جايلي، إنتي معاكي عربيه ولّا أوصلك؟

- معايا معايا، بس أنا هاجي معاك بعد كده.

- ماشي بس أنا بقولك، أنا رايح البيت الأول يا "نور" معلش، هاقولك وأنا رايح.

- طيب إوعى تنساني، أنا كده كده لازم أروح أغير هدومي.

تذكر "نبيل"، فخطف نظرة أخيرة إلى خصرها، ثم ودعها وذهب.

***

وصلت إلى "ماجي" هي الأخرى رسالة نصية وهي تقود سيارة "ناصف" لتملي عليها بعض التعديلات، فظهر عليها بعض الارتباك، خصوصًا أنها لم تكن قد أوصلت "ناصف" بعد، فتوقفت "ماجي" بالسيارة عند أحد المحلات التجارية داخل محطة تموين للوقود.

- ده وقته يا "ماجي"؟ أنا مانمتش من امبارح روَّحيني الأول.

قالها "ناصف" بانزعاج.

- معلش يا حبيبي، أنا كمان مش قادره أسوق في الزحمه دي من غير ما أشرب قهوه، دقيقتين بالظبط.

لم يكن "ناصف" يستطيع أن يرفض لها طلبًا، خاصة بعد ما فعله بها في أمسه.

- طيب ما تتأخريش والنبي.

دخلت "ماجي" وأخرجت هاتفها، واتصلت بعشيقها، ليملي عليها التعديلات الجديدة.

- أوك يا حبيبي، يعني بعد كده أوصله عادي؟ أكيد؟

طلبت "ماجي" مشروبين ووجبتين للإفطار، ثم توجهت مرة أخرى إلى السيارة.

- (النيسكافيه البلاك) اللي بتحبه أهو، ودي حاجه خفيفه كده، عشان إنت على لحم بطنك من الصبح.

ابتسم "ناصف" كطفل صغير وشكرها.

- ربنا يخليكي ليا.

- طيب يالَّا كل بقى عشان نتحرك.

ابتسم وسألها:

- فكرك كده الكابوس خلص؟

- إن شاء اللّه نكسب بس الانتخابات، ودي كلها هايبقى ليها صرف، البلد عمرها ما هاتسيب حد من رجالتها.

لم يكن يصدقها، ولكنه كان يفتقر للاختيارات.

***

الحادية عشرة صباحًا

من داخل سيارة "نبيل" الفارهة، أخرج هاتفه وبحث عن رقم ما واتصل به. لحظات من الانتظار تمر عليه دون جدوى، فلجأ إلى الاتصال بزوجته، ليجد رقمها مغلقًا أيضًا، فساوره القلق أكثر؛ ليزيد من سرعته باتجاه منزله بالدقي. ظل يكرر الاتصال بها ولا يزال هاتفها خارج نطاق الخدمة. كان من أولئك الذين يكثرون الشكوى، بارعًا في لوم الآخرين ونقدهم، كان يُحمّل الجميع نتائج تأخره. كان بارعًا في خلق الشماعات، وكانت زوجته من أهم شماعاته، التي يوبخها دائمًا وأبدًا، وقد أدانها كثيرًا بسبب تأخر إنجابهما، رغم سلامة كليهما، وإن ظل يعتقد أن سمنتها هي السبب، وكأي رجل عنصري، رفض الاعتراف بأي تقصير ممكن يتهم رجولته، خاصة نظرات المجتمع له والتي كان يهابها كثيرًا، لم يستطع "نبيل" الانفصال عن زوجته؛ نظرًا لكونها ابنة عمه، كما أنه كان لا يزال يحمل لها بعض الحب، والأهم أن ضعفها كان يرضيه نفسيًّا ومعنويًّا، فقد كان يتخذ منها منفذًا لطاقته السلبية.

وصل "نبيل" إلى منزله وترك سيارته وسط الطريق، وتوجه بالحديث إلى حارس العقار الشاب:

- محدش سأل عليا؟

- لا يا باشا، مفيش!.

- طيب! تفضل مرزوع هنا، فيه واحد أسمه "ناصف" جايلي، أول ما تشوفه كلمني.

قالها "نبيل" ثم صعد إلى شقته بالدور الرابع. كانت شقته في عقار مملوك لجده وأعمامه، لم تكن كبيرة المساحة وإن كانت ذات ذوق متطور يعكس اهتماماتهما بهوس التكنولوجيا. كان مدخل الشقة عبارة عن منطقة معيشة كبيرة، تتوسطها منضدة الطعام، يطل عليها مطبخ أمريكي مفتوح، ثم طرقة صغيرة بها حمام خارجي، وغرفتان للنوم، الأولى فارغة في انتظار مولود المستقبل، والثانية لهما، فتوجه إليها مباشرة باحثًا عن زوجته في غضب.

كانت "سارة" نائمة كالملائكة، بيضاء بحجاب رقيق، تميل إلى السمنة قليلاً. فتح "نبيل" الإضاءة بغضب وتوجه إليها بالصراخ:

- إنتي يا ست هانم.

فزعت "سارة" وفتحت عينيها السوداوين بخوف وهي تصرخ:

- إيه في إيه؟

- إيييه اللي في إيه؟ هو إنتي ملكيش أي لازمه في البيت، هو أنا مش قلت مية مره التليفون مايتقفلش؟

ظنت أن زوجها كان قلقًا عليها، ففرحت رغم توبيخها.

- حبيبي إنت قلقلت عليا؟

- إنتي في إيه ولَّا في إيه؟ بقولك يا هانم أنا بعتلك رسالة وقولتلك إن فيه ضيف ممكن ييجي في أي وقت وقلتلك تتنيلي على عين أهلك تستعدي، أرجع ألاقيكي متنيله على عينك نايمه؟

كادت عيناها الجميلتان تدمعان، ولكنها رفضت، وتركت السرير ووقفت، محاولة أن تواجهه وإن كانت ترتجف.

- حرام عليك يا أخي، أهلي دول اللي إنت بتهزأهم يبقوا أهلك، إتقي الله يا أخي.

في اندهاش وسخرية تابع:

- اتقي الله!! هو إنتي أسلمتي وأنا معرفش.

- كفاية تريقه، ما أنا قدامك أهو جاهزة ومحدش جه، أعمل إيه؟

نظر إليها وتيقن أنها كانت على حق ولا ترتدي ملابس المنزل، ولكن كبرياءه معها منعه من الاعتذار أو رقة الكلام، على عكس كلامه مع

"نور"، فتابع هجومه:

- طيب قفلتي تليفونك ليه لما شوفتي الرسالة؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله، قطع شحن يا "نبيل"، قطع شحننننن.

- وأنا قولت أكتر من مره ماينفعش أكلمك ملاقيكيش.

- ليه يعني ربنا؟!

في غرور وكبرياء كافر أجاب "نبيل":

- أيوه يا سيتي أنا في البيت ده ربنا.

- وهو ده كان بيتك؟ ده بيت أبويا أنا.

قبل أن تُكمل كلامها، صفعها "نبيل" بقوة جارحًا كرامتها، ولكنها ظلت صامدة أمامه، تحبس دموعها، خافية آلامها، وحرقة قلبها المجروح، ليشعر بالتسرع وعدم الثبات نظرًا قلة نومه وإرهاقه.

- "سارة" أنا النهارده عفاريت الدنيا بتتنطط قدامي، بلاش تجربيني النهارده.

قالها بعدما شعر بانفعاله، محاولاً خلق مبرر يقلل من فعله، ولكنها ظلت صامتة، تقتله بنظراتها المقهورة، فحاول "نبيل" التأكيد على مبرره لعله يهرب من نظراتها.

- "سارة" بجد أنا عندي قضيه مهمة جدًّا النهارده، أرجوكي تقدَّري

عصبيتي.

- قضيه برضه ولَّا ده بسبب الرسالة اللي جاتلك امبارح؟ كان فيها إيه أنا عايزه أعرف؟

توتر "نبيل" أكثر وانفعل مرة أخرى:

- قولتلك يا "سارة" ملكيش دعوه بشغلي، خليكي إنتي في شغلك والهلاهيل اللي بتشتريها من بره وتيجي تدللي عليهم هنا.

- الهلاهيل دي هي اللي مخلياني قادرة أستحمل حياتنا.

- حياتنا إيه يا ست هانم! إنتي ناسيه مين فينا اللي خلى حياتنا كده؟ وهي الكام سفريه اللي بترجعي بيها بهلاهيل للناس دي مش بتبقى على حساب أمي أنا؟! قسمًا بالله يا "سارة" لو ماتعدلتيش في كلامك لاخليكي تندمي على اليوم اللي اتولدتي فيه، مش كفاية واخدك بايره ومش عارفه حتى تفرحيني بعيل.

تدخل الغرفة قطة صغيرة كانت تربيها، لتطمئن على أمها، فيركلها "نبيل" ويتابع:

- خليكي إنتي ربي في قطط وكلاب يا بنت ال....

الله يا سامحك يا عمي.

لم تستطع "سارة" حبس دموعها أكثر، فقد ضربها في مقتل، فقد كان

يعرف نقطة ضعفها، وكان يستمتع باستخدامها عندما يشعر بعجزه.

- مش عايزك تتحركي من هنا، في ضيف مهم جايلي، وقت لما ييجي تقوليلي.

قالها "نبيل" وذهب، ليتركها وحيدة مع دموعها الحزينة، بينما كانت تتمنى "سارة" أن يحتضنها وأن يمسح دموعها بكف يده، فأجهشت بالبكاء لعله يعود إليها، ولكنه لم يكترث، فتبعت خطواته إلى إن وصل إلى باب الشقة محاولة استعطافه، ولكنه ذهب وإن كان يشعر بها.

***

في نفس الوقت كانت "نور" قد وصلت إلى العنوان الذي دوَّنه صديقها "نبيل"، دون الرجوع إلى بيتها لتبديل ملابسها المقطعة، ففضولها كان أهم من حشمتها أو حسن مظهرها، تأكدت لحظة من رقم العقار، ثم بدأت في صف سيارتها، وقبل أن تترك السيارة، ربطت قميصها المقلم فوق خصرها، وكأنها على شاطئ البحر لتكشف به عن سرتها والحلق الذهبي الذي تضعه فيها، ثم توجهت إلى حارس العقار الذي وقف ليحييها.

- بقولك يا حاج، "ماجد عصام" ساكن هنا؟

في منتهى الانبهار رد الحارس.

- آه!

- الدور الكام لو سمحت؟

- آه!

- بقولك الدور الكام؟؟؟

- آه!

بدأ الحارس في الاتزان بعدما تركته ودخلت، ليعود إليها بالنداء:

- الدور الرابع.

- شكرًا لحضرتك.

- حضرتي.. آه!

خرجت من غرفة الحارس زوجته في اندهاش.

- مالك يا راجل؟!

فتوجه إليها بالكلام وهو لا يزال ينظر إلى تنورة "نور" السوداء التي تعكس بياض بشرتها، في تأمل:

- عليا الطلاج إنتي اللي راجل.

***

بعد الكثير من الطرق، توجه "ماجد" إلى الباب وهو يرتدي بنطال بيجامه كستور وفانلة بيضاء:

- أيوه أيوه فيه إيه؟

نظر إلى ساعته، كانت الحادية عشرة والربع صباحًا.

- في إيه يا اخوانا الساعة لسه حداشر الفجر!

كان "ماجد" شابًّا في العشرينيات، عريض البنية وقصيرًا نسبيًّا، له شعر بني كثيف، ولحية خفيفة. فتح الباب في استياء إلى أن رآها، فتحول سخطه إلى سعادة بلهاء!

- حضرتك "ماجد"؟

- آه!

- ممكن أدخل؟

- آه!

دخلت "نور"، بينما كان "ماجد" لا يزال مُسمّرًا عند الباب.

- آه!

- "ماجد"؟

- آه، لمؤاخذه حضرتك معلش أصلي لسه نايم، قصدي لسه صاحي، إتفضلي إتفضلي.

أشار إليها "ماجد" أن تجلس على كرسي بمنضدة دائرية كانت في

مدخل المنزل فجلست.

- حضرتك عايزه مين بالظبط؟

- عايزاك إنت.

ابتسم ببلاهة وهو ينظر إلى خصرها المكشوف، مقتربًا منها بجسده:

- بجد؟

غيرت "نور" من سحر وجهها في لحظة وارتدت نظارتها، وقالت في جدية:

- إنت صاحب "الوحي"؟

شعر "ماجد" برهبة، واتجه خارج الباب لينظر إن كان معها صحبة أخرى، ثم عاود وأغلقه.

- حضرتك مين بالظبط؟

- ماتخافش يا "ماجد" تقدر تقعد.

كان "ماجد" صغير السن، قليل الخبرة، وكانت هي داهية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

- أنا "نور سالم"، صحفيه، إنت ماعرفتش اللي حصل؟

- أنا مش فاهم حاجه، أنا بنام بعد الفجر حضرتك، وببقى قافل

التليفون. في إيه؟

- ماتخافش يا "ماجد".

أشعلت "نور" سيجارة، وقالت بصوت جاد:

- البقاء للّه.

***

استطاعت "ماجي" أن تقوم بتوصيل "ناصف" بسلام، ثم تركته بحجة استيفائها لكل التعليمات، وتوجهت إلى السيارة مرة أخرى لتتصل بعشيقها لتتعرف منه على التعليمات الجديدة:

- حبيبي، خلاص تمام، وصلته.

سكتت "ماجي" عندما علمت نوايا عشيقها، فقد طلب منها مهمة جديدة، فظلت تستمع إلى تعليماته باهتمام، حتى انتهت المكالمة، لتظل شاردة، فلم تكن تتخيل أن ينقلب دورها هكذا! ولكنها كانت ذكية، حسبت نتائجها واتخذت قرارها لتتصل بآخر شخص. كانت تتخيل أن تتواصل معه.

***

تذكر "ماجد" السنوات الست الماضية وكأنها مرت في لحظة عابرة في خاطره.

كانا في السابعة عشرة من عمرهما، مراهقين مليئين بالحياة والأمل، لا يفهم طموحهما بشر، وبالأخص أهاليهما، حتى أنهم كانوا يهددونهما بسحب أجهزة الكمبيوتر منهما، لعدم قدرتهم على مجاراتهما وفهم لغتهما. كانا معًا في بيت "سامي" قبل أن يتخذ من "الوحي" لقبًا. كان يعيش في منزل زوجة عمه، فقد توفي أبواه وهو صغير، وقد كان عمه نعم الأب والصديق! وكان يفضله حتى على ولده؛ مما كان يثير حفيظة زوجته. كان عمه مبرمج كمبيوتر، وهو الذي علّمه الكثير من الحيل في هذا المكان المشؤوم، فقد كانت غرفة "سامي" كجناح خاص في الحديقة، اتخذه هو صومعة لنفسه بعيدًا عن باقي فيلا عمه، الذي كان يؤلمه هذا جدًّا وإن انصاع لإصرار ابن أخيه الذي كان يريد أن يرفع عن عمه الحرج، فلقد كان عمه قليل الحيلة. جميل هو، طيب القلب، لم يرد أن يثقل على قدوته في أي شيء، حتى أن عزة نفسه دفعته للبحث عن مصدر للرزق، رغم ثراء زوجة عمه، أما "ماجد" فكان صديقه المخلص وتابعه الأول، يفر إليه عندما يسحب والداه جهازه عنه، متحججًا بالمذاكرة عند صديقه المتفوق على عكسه، فقد كانا يمثلان "المخ والعضلات". نظر "سامي" إلى صديقه النائم على سريره يشعل سيجارة "محشوة" بالكثير وهو يلعب في هاتفه "المزرعة السعيدة".

- يا بني سيب الزفت اللي في إيدك وفكر معايا في أي مصلحه.

قام "ماجد" من نومته، وقال لصديقه وهو لا يزال يمسك بهاتفه:

- أنا أفكر! اللّه يسامحك يا عم "سامي".

فضحك "سامي" واستدار نحو جهاز الكمبيوتر خاصته والذي كان قد فتحه للتو.

- خلاص يا سيدي بلاش تفكر، سيبلي أنا التفكير، بس ساعدني في أي حاجه كده.

فقام "ماجد" وتجول في غرفة صديقه وهو سعيد، فقد كانت صومعة فضائية مليئة بأحلام الشباب، تبث جدرانها موسيقى نجومها المعلقة في جميع الأنحاء.

- إنت يا أخي محتاج إيه تاني؟ إنت مش ناقصك غير إنك تشرب معايا السوجاره دي.

- اللّه يحرقك يا أخي.

غضب "ماجد" فجأة وهو ينظر إلى هاتفه.

- اللّه يخرب بيتك يا أخي، أهو حرقلي المزرعه فعلاً،وفلست، إنت دعوتك مستجابه أوي كده؟

كان "ماجد" مستاءً فعلاً، فتعجب "سامي" واقترب منه:

- في إيه؟

- هاقعد كتير جدًّا عشان أبني اللي راح.

كان "سامي" مندهشًا من جدية "ماجد". فكيف لصديقه أن يضيع كل هذا الوقت بحثًا عن شيء يبنيه في الخيال؟! كان يعلم قلة حيلة صديقه، ولكنه لم يكن مثله.

- طيب يا سيدي هي بتتبني ازاي؟

قال "ماجد" في عصبية:

- ما هي لو ليها طريقه، مكنتش زعلت، أنا هاحتاج وقت كتير جدًّا عشان أعوض النقط.

- طيب يا سيدي، هي النقط دي بتتجاب ازاي؟

- يا باشا ملهاش طريقه.

قالها معاتبًا صديقه قبل أن يكمل:

- ده أنا ممكن أعمل أي حاجه عشان أجيب النقط دي.

ابتسم "سامي" ابتسامة محارب قد انتصر، وقد كانت هذه هي البداية.

***

من شركة صغيرة، كانت مديرة التسويق تجلس في حسرة، فقد هددها مديرها كالعادة بالفصل، فقد قام بتعيينها مجاملة من البداية، وإن كان صاحب الشركة يستطيع تحمل عبء مرتبها، فلا يستطيع تحمل هدرها لميزانية التسويق التي تهدرها هي دون تحقيق أية نتائج

إيجابية، فحتى صفحة الشركة الرئيسية على الـ (الفيس بوك)، ظلت بنفس عدد المعجبين، إلا من زيادات طفيفة.

جلست بغرفة مكتبها تمسك بقلمها تحاول الوصول إلى أي فكرة جديدة، ففرصتها الوحيدة كانت في هذه الفترة، وقد حدد لها مديرها ميزانية أخيرة ضعيفة جدًّا لتحقق الـ(تارجت) الذي تحتاجه للحفاظ على وظيفتها، وبينما كانت تفكر وهي تنظر إلى صفحة الشركة على الكمبيوتر، جاءتها رسالة أمل، من حساب شخصي لشاب مراهق، يدّعي الآتي:

"تزويد عدد الفانز على البيدج من عشره إلى مية ألف في خلال أربعه وعشرين ساعه وبأقل التكاليف".

لم تكن لتهتم إن جاءتها هذه الرسالة في يوم آخر، ولكنها كانت تتعلق بقشة، فهي تحتاج إلى الوظيفة، فقد كانت بحاجة شديدة لإثبات نفسها، كانت بحاجة لنجاح وإن كان مصطنعًا أو مسروقًا، فكتبت:

"أهلاً ماجد، ممكن توضح تفاصيل أكتر بخصوص عرضك؟".

"طبعًا يا فندم، زي ما قلت لحضرتك، نقدر نزود عدد الفانز، وبنسبة ٦٠٪ منهم مصريين، الألف لايك بأربعين جنيه".

وقع عليها تفاهة المبلغ كالصاعقة، فعلمت أنه نصاب.

"يا راجل! وإيه الضمان؟".

"يا فندم هانعمل لحضرتك الشغل، ولما يبدأ يسمّع تبعتلنا نص الفلوس، والباقي في الآخر، والمهم نكسِّب حضرتك"

ما هذا التحدي، ما هذه السهولة، هل هي غبية إلى هذا الحد في عملها؟! إنه بالتأكيد عميل عند خصومها إذن، قالت لنفسها.

"طبعًا هاتقولي محتاج (الباسورد) بتاعتنا أو نعملك (أدمن) على الصفحة".

"لأ يا فندم، كل اللي عاوزه نص ساعه وترجعي تشوفي النتيجه".

"نص ساعه بس؟".

"أيوه يا فندم، نقول مبروك علينا؟".

"بس فهمني.. بتعمل إيه؟".

"آسف يا فندم ده شغلي".

"طيب إبدأ، أنا مستنيه أهو، بس أنا هابعتلك فلوس ازاي؟ ماتقولش أجيلك، أنا مش بروح لحد".

"يا فندم ولا هاتروحي ولا هانروح، إبعتلنا رقم كارت شحن موبايل".

"شركة إيه؟".

"أي شركه".

برغم تعجبها للموقف، لم يكن لديها ما تخسره، فوافقته قائلة:

"مبروك إبدأ، بس اسمع، زود مية ألف ولو ينفع أكتر".

"“Orders

"أفندم؟"

"أوامر يعني يا فندم".

"آه أوك، معلش واضح إني مش دارسه حاجه".

"العفو يا فندم".

كتبها "ماجد"، وتوجه إلى صديقه الذي كان نائمًا:

- يالَّا يا ريس عندنا شغل، جهزتلك العشر شركات يالَّا عيش وسيبني أعيش.

قام "سامي" واقترب من الكمبيوتر، ونظر إلى "ماجد" نظرة حازمة، لينتفض تاركًا الكرسي.

- لمؤاخذه يا كبير.

كان "سامي" قد أصبح رئيسًا بصورة أو بأخرى، جلس وبدأ عمله. كان يضع (لينكات) الصفحات المنشودة داخل موقع إلكتروني من صنعه، وكان يطمس الأسماء، وكان يعلن في صفحات (الفيس بوك) عن موقع يزيد من نقاط المزرعة السعيدة، لكل من يدخل ويدعس

على كل الصفحات الموجودة، وكان الضحايا من مدمني هذه الألعاب يتهافتون على موقعه، ويتبعون كل الخطوات من الإعجاب بصفحات مجهولة من أجل الحصول على نقاط مزيفة؛ حتى يستطيعوا متابعة أحلام أوهامهم داخل مزرعة من المفترض أن تكون سعيدة، ولو كان كل منهم قد استثمر نصف هذا الوقت في عمله لامتلك فعلاً المزرعة السعيدة في حياته الحقيقية وليست الافتراضية! كان "ماجد" منتشيًا جدًّا، فقد كان يشعر بأنه تاجر لـ "الكيف" يستمتع بإدمان ضحاياه!

- باشا إنت لما الوحي بينزل عليك بتعمل شغل أوستيك علي النعمه.

ضحك "سامي" وقال:

- أنا علطول الوحي نازل عليا.

لم يكن يدري أنه قد أصبح "الوحي" ذاته، في نظر الجميع، فقد كان "سامي" مختلفًا، كان يعي معنى الحياة، عكس جميع المخدرين بجميع أنواع المخدرات، من السجائر إلى المزرعة السعيدة!

كان رواد الموقع بمئات الآلاف، وكانت النتائج تتحقق في دقائق معدودة، وقد لاحظ مديرها ما حدث في هذه الدقائق، فذهب إليها سريعًا ليلحق بها قبل أن يخسرها، فتوجه إليها في مكتبها:

- أنا آسف بجد.

لم تكن تدرك أن شيئًا قد حدث، فنقرت بفأرة الكمبيوتر سريعًا لتحدّث

البيانات، لتجد أكثر من أربعين ألفًا من المعجبين قد تواجدوا، فحسمت أمرها وأكملت تمثيليتها، وأمسكت بحقيبة يدها، ووقفت قائلة:

- أنا اللي آسفة يا فندم، أنا مستقيلة.

- أبدًا ازاي؟ أنا اللي النتايج جاتلي غلط.

- أنا قلت لحضرتك إن حملتي هاتاخد وقت وحضرتك مكنتش مؤمن بيا.

- غلطان.. كنت غلطان.

- أنا آسفة، أنا مش حاسه بالأمان.

- طيب محتاجه إيه؟

- أتثبت، وأمضي العقد النهارده.

- بس كده؟ أوامر.

ضحكت هي، وقد علمت أن الحياة حقًّا ظالمة فقالت:

- Orders يعني.

***

من أمام أحد المساجد، كانت "ماجي" قد وصلت مبكرًا، فلم تأتِ الثانية عشرة ظهرًا بعد، فظلت تنتظره حتى ينهي صلاة الظهر ليخرج

إليها، وقد بادرها شعور غريب بالحسد والغيرة، خاصة عندما رأت هذه السيدة التي دخلت المسجد في حياء كانت قد افتقدته، فكم كانت تتمنى أن تكون ساجدة مكانها! فجاءها نداء الإله بحي على الصلاة، لامسًا قلبها وهي تسمع صوت الأذان، مثيرًا في نفسها شوقًا كاد يقتلها، يذكرها حين أذن بالكثير، فشعرت بقوة عجيبة تجذبها إلى الداخل، لتشعر مرة أخرى بالسلام الذي اشتاقت إليه وقد حرمت نفسها منه، ولكن كان هذا القط الأسود الذي يقف على أعتاب المسجد حائلاً بينها وبين أحلامها، لتظل هي أسيرة لقيوده في استسلام.

***

الثانية عشرة ظهرًا

اتجهت "سارة" إلى والدتها في الشقة المقابلة لها في العقار. كانت شقة أكبر وأكثر كلاسيكية وفخامة، كانت "سارة" تبكي في غرفة والدتها الشاسعة على السرير، وكانت الأم حزينة على ابنتها وإن كانت قليلة الحيلة وسلبية بطريقة مبالغة، فلقد كانت هي الأخرى ضحية زوجها، ولذا فأخذت تبرر لـ "نبيل" كل تصرفاته، محاولة تهدئة "سارة" وتوجيه اللوم عليها في بعض تصرفاتها.

- معلش يا "سارة" جوزك شقيان برضه.

- شقيان في إيه إن شاء الله، إحنا هانكدب الكدبه ونصدقها، هو احنا محتاجين حاجه؟

- يعني هو إنتوا مش محتاجين حاجه ليه؟

سكتت "سارة" وهي تحاول الوصول إلى دعم الأم بأي طريقة.

- يا أمي ده مرتشي.

سكتت الأم، واتجهت لغلق باب الغرفة في توتر مبالغ.

- إيه الكلام اللي إنتي بتقوليه ده يا "سارة" وعرفتيه ازاي؟ انطقي.

عجزت "سارة" عن التوضيح، ولكنها كانت مضطرة.

- أنا كنت براقب تليفونه واتأكدت بنسبة تسعه وتسعين في الميه.

في غضب ردت الأم:

- بتتصنتي على جوزك يا "سارة"، هي دي التربية اللي أنا ربتهالك برضه؟

- يا أمي إنتي في إيه ولّا في إيه؟ بقولك مرتشي يعني حرامي.

- يا بنتي وإنتي إيش عرفك، وإيش فهمك إنتي في شغله؟ إنتي ملكيش حق تتصنتي عليه أو تحاسبيه.

- يا ماما حرام عليكي بقى حسي بيا.

- يا بنتي حسي بيا أنا، وحرام عليكي اللي بتعمليه فيا، أنا أمك.

شعرت الأم أنها قد تجرح ابنتها أكثر، فتابعت الحديث عن "نبيل":

- يعني يا "سارة" أهو ضل راجل برضه.

رفعت "سارة" رأسها ونظرت إلى أمها التي جاءت لتجلس بجوارها:

- هو أنا قليله أوي كده يا أمي؟

لم تدافع الأم عن ابنتها، فهي تعرف أن فرصتها أصبحت قليلة، خاصة بعدما فقدت جمالها وزاد وزنها.

- يا بنتي هاقولك إيه بس، إنتي لازم تفكري في بكره.

- وماله بكره؟ ما أنا أقدر أصرف على نفسي، إنتي ليه بتقللي مني إنتي كمان؟

- يا بنتي، فوقي بقى واحمدي ربنا إن جوزك مستحمل، وعارفين أصله وفصله، حد غيره كان راح، خلّف من واحده تانيه.

وقفت "سارة" شاعرة بالظلم.

- ليه يا أمي؟ ما إنتي عارفه إني معنديش حاجه.

سكتت الأم وهي تنظر إلى جسد ابنتها الممتلئ، فقاطعت "سارة" نظراتها.

- إيه يا أمي، ماله جسمي؟ ماله؟ ما هو من قعدة البيت اللي هو قعدهالي، والأدوية اللي كنتب باخدها، أنا كنت أحلى من كده، إنتوا نسيتوا؟ أنا مش مصدقه إنك واقفة معاه، ضد ضناكي!

- أنا واقفة مع الحق يا "سارة"، يا بخت من بكاني ولا ضحك الناس عليا، جوزك راجل مايعيبوش إنه يحجبك ولا إنه يقعدك من الشغل، وبعدين ما هو وافق بعد كده إنك تسافري وتعملي (أوبن داي)، عايزه

إيه يا شيخه؟ حد يطول راجل إبن ناس، ووسيم ومحترم؟ إنتي ناسيه كنتي بتقولي عليه إيه قبل الجواز! فوقي يا "سارة"، فوقي.

مسحت "سارة" دموعها، وقد بدأت تستجمع قواها:

- حقيقي يا أمي أنا فوقت، وإنتوا السبب، بكره تعرفي إنكم سلمتوني للشيطان بإديكوا، أنا خلاص خدت قراري.

أمسكت الأم بيد "سارة" بقوة وصرخت:

- عارفه يا "سارة" لو جيبتي سيرة طلاق زي المرة اللي فاتت أنا هاعمل فيكي إيه؟ وديني وما أعبد ما تبقى بنتي ولا أعرفك.

نازعت "سارة" أمها وحررت يدها.

- واللّه لو عملتوا إيه أنا خلاص خدت قراري.

تركت "سارة" شقة أمها وتوجهت إلى شقتها، ومن ثم إلى الغرفة الأولى، نظرت إليها في غضب وقالت لنفسها كيف كان سيصبح مصيرها أرقى بطفل أو بطفلة! كانت ستزين حوائطها بلون وردي أو زهري، وكانت ستمتلئ بلعب أطفال بريئة، بدلاً من جهاز كمبيوتر وحيد أعلى منضدة قديمة، ثم تذكرت وجهتها، فذهبت إلى غرفتها وأعدت أغراضها في حقيبة سفر كبيرة وغادرت. لعل الجميع يعلم مدى ظلمهم لها!

***

أما "نبيل" فقد وصل أخيرًا إلى بيت "ماجد" الذي كان يكمل حكاياته لـ "نور"، إلى أن قاطعهم هو بطرقه الباب، فتوجه "ماجد" ليفتحه، ليجد نفسه أمام هذا العتي، الواقف بغضب أمامه.

- أفندم؟!

لم يكترث "نبيل" لـ "ماجد"، بل خطفت أنظاره "نور" الجالسة في الداخل، فجرف "ماجد" بيده ودخل:

- إنتي تاني؟!

- إيه؟ حاجه حلوه ولَّا وحشه؟

قالتها بدلال وهي تسند ظهرها على الكرسي؛ ليجذبه خصرها المكشوف.

- حلوة طبعًا، بس أنا على الأقل قلت إنتي هتروحي تغيري هدومك.

قالها وهو يجلس بجوارها ويتابع ناسيًا همه:

- إقفل يابني وهاتلنا اتنين لمون.

نظرت إليه بعتاب، وأشارت بعينيها إلى "ماجد" الذي كان لم يزل واقفًا عند الباب، وكان واضحًا عليه الحزن، فتذكر سبب مجيئه وقال:

- البقاء لله يا "ماجد"، معلش الحي أبقى من الميت، واقف ليه يا إبني ماتخافش، إقفل الباب وتعالى أقعد.

اقترب "ماجد" وجلس أمامهما، فقالت:

- عقيد "نبيل مصطفى" يا "ماجد" من إدارة التوثيق والمعلومات.

تجهم "ماجد" عندما سمع الاسم، فهو كان يعرفه جيدًا وإن لم يكن يتمنى أن يلقاه أبدًا! فأكملت "نور" مخاطبة "نبيل":

- "ماجد" كان بيحكيلي عن بدايته هو و"الوحي"، خليه يكملك.

اعترض "نبيل" بحزم وهو ينظر إلى"ماجد":

- أنا مش محتاج أسمع حاجه، أنا ممكن أسمّعلك.

نظر "ماجد" إلى الأرض، فأكمل "نبيل" في غلظة:

- دول ولادنا، ولازم نبقى عارفين عنهم كل حاجه.

شعرت "نور" بفضول عندما لمست سابق معرفة "نبيل" بقصتهم.

- طيب معلش لو إنت عارف، أنا كمان محتاجه أعرف.

ارتاح "ماجد" لوجود "نور" أكثر من ذي قبل فتابع:

- أنا كنت بحكي لحضرتك عن المزرعةالسعيدة لما كنا بنزود بيها، والله كانت أيام عسل، كنا بنزود بكلام فاضي، كان ممكن الدولار يجيب ألف وألفين (لايك).

- مانتوا عملتوا فلوس حلوه وكل واحد خد شقه، ده أنا وأنا في سنك

كنت بحفى على القرش.

قالها "نبيل" في غضب ملحوظ، فوبخته "نور" بنظراتها، وقبل أن يكمل "ماجد" قطع جرس تليفون "نور" الحديث، فرفضت المكالمة، بينما خطف "نبيل" نظرة على شاشة هاتفها ليعرف من المتصل، وقد كان زوجها الذي يبحث عنها منذ ساعات وهي لا ترد على اتصالاته كعادتها.

- كمل يا "ماجد" أنا آسفة.

لكن "نبيل" انتهز الفرصة، ليسأل في فضول.

- مش هاتردي على "تيتو"؟

- والنبي يا "نبيل" خلينا في اللي إحنا فيه.

ضحك "نبيل" ضحكة شيطان وقال:

- الحال من بعضه.. كمل يا "ميجو".

- حاضر يا باشا، كنت بقول إن (الفيس) هرش اللي كنا بنعمله ووقفه، والصراحه إحنا كنا خدنا على العز، بس إنتوا عارفين "الوحي" حيله مكنتش بتخلص، هو كان فعلاً ذكي وغريب.

- غريب ازاي؟

قاطع رنين الهاتف كلام "ماجد" مرة أخرى، وتجاهلت هي المكالمة

كالعادة، ولكن "نبيل" كان قد ازداد توترًا.

- يا "نور" ما تردي على الراجل خيلتينا.

أحرجت "نور"، فأخذت التليفون وتركتهما وتوجهت إلى خارج المنزل، واتصلت بزوجها وصرخت من سلم العمارة، الذي كان شاهقًا، حيث كان يحتوي على فراغ داخلي يربط جميع الأدوار وإن كان يحتوي على مصعد قديم متهالك.

- في إيه يا "تيتو"؟ في إيه؟

كان زوجها مع ابنهما الوحيد "شريف" وكان قد مل الانتظار، وإهمالها لهما.

- إيه يا حبيبتي أنا قلقت عليكي.

- طيب وهو إنت عشان قلقان تقلبهالي سنترال؟

كان لصوتها المرتفع صدى في العقار؛ مما أعطاه غلظة إضافية.

- أنا آسف والله يا حبيبتي ماقصدتش.

- خلاص، خلاص، أنا في شغل، أكَّل "شريف"، ولو سمحت ماتكلمنيش النهارده إلا لو في حاجه مهمة، أنا عندي مصيبة في الشغل.

- حاضر يا حبيبتي، حاضر، ربنا يعينك إن شاء الله، أنا بس كنت عايزك تدعيلي، أنا عندي معاد مهم مع "ناصف شوكت" نفسي ربنا

يوفقني فيه.

- مين "ناصف شوكت" ده؟

- يا حبيبتي "ناصف شوكت" رجل أعمال كبير أوي، لو وافق على العرض بتاعي هاناكل الشهد، إدعيلي إنتي بس والنبي وخلي بالك من نفسك. لا إله إلا الله.

أغلقت "نور" لينظر "تيتو" إلى ابنه "شريف"، الذي يمتلك بشرة بيضاء وشعرًا برتقاليًّا يعكس النمش الذي يملأ خديه.

- معلش يا "شريف" يظهر مفيش فأيده.

ثم اقترب منه "تيتو" الذي كان حاد الملامح، فهو حليق الشعر لدرجة الصفر وبلحية كثيفة نسبيًّا

- ماتقلقش أنا هاضطر اتصرف.

***

- إتنين مليون جنيه.

- نعم ياختي!

قالها "صلاح السيد" مرشح التيار الديني والمنافس لـ "ناصف شوكت" وقد كان رجلاً حليق الذقن، مرتديًا بدلة سوداء، ولم يصل لعقده الخامس بعد.

- واللّه أنا أعتقد إن فرصة حضرتك قليله، خصوصًا بعد ما رجالة الدوله بدأوا يدعموا "ناصف".

- إيوه يا "ماجي" هانم، بس هي إيه حضرتك المعلومة اللي هاتفيدني للدرجة دي؟

- مش معلومة بس، دي ضربه في مقتل، يعني تقدر تعتبر نفسك النايب من النهارده بالليل.

- إنتي بتقولي إيه؟

- إنت سمعتني كويس، ضربه في مقتل يا باشا، والنهارده بالليل معادها، يا تلحقها يا ماتلحقهاش.

سكت "صلاح" لحظة ليدرك ما كان يسمعه.

- طيب ولمؤاخذه في الكلمة، أنا أطمنلك ازاي؟

- أنا المعلومة اللي عندي هاتكون موثقه بفيديو واضح مايختلفش عليه اتنين.

قالتها "ماجي" مستخدمة سحرها الخاص؛ ليقتنع "صلاح" بعدما ظن أنه فهم ما ترمي "ماجي" إليه.

- طيب وهو فين الفيديو ده؟

قالها وهو يبتسم ابتسامة ذئب واضحة.

- أنا هاوريلك عشر ثواني بس اللي أنا متصرحلي أوريهملك.

قالتها وأعطته الهاتف لينظر إليه في سعادة ونشوة، قبل أن تتبدل ملامحه من هول ما رآه! ليتابع في جدية:

- طيب يا سيتي، إديني وقت أفكر وأستشير، أصلي عبد المأمور إنتي عارفه.

ضحكت "ماجي" ضحكة مثيرة وتابعت:

- أيوه ما أنا عارفه، بس هي ساعة، لو المعلومة ما تهمكش قولي وأنا هارجع لـ "ناصف"، ما هو إنت ما يرضكش أخسر كل حاجه برضه.

- لأ إزاي وده برضه اسمه كلام، موفقين بإذن الله، طالما نيتك خير يبقى ربنا هايكرمك معانا.

قالها "صلاح السيد" ضاحكًا ناهيًا حديثه معها.

***

- إيه بقى الحاجه الغريبه اللي كانت في تصرفات "سامي"؟

- "سامي" طول عمره غريب حضرتك.

تصبب العرق من جبين "ماجد" عندما تذكر صديقه وكأنه يراه وهو يتكلم، فتابع ولكن بحذر.

***

كان "ماجد" حزينًا ويريد أن يشارك حزنه مع شخص ما، فتوجه إلى "سامي". لم يكن في حاجة لأن يخسر من رصيد هاتفه ليتأكد من وجوده، بل ركب التاكسي وتوجه إليه مباشرة، ليصل في دقائق إلى هذه البوابة الحديدية. ضغط "ماجد" كثيرًا على زر الجرس، ولكن دون جدوى، فعلم أن صديقه ربما يكون نائمًا، ففكر أن يمازحه، فقد كان الوقت ليلاً، والشارع هادئًا، فقفز من أعلى الباب، وتوجه إلى غرفة صديقه التي هي في وسط الحديقة. كان يمشي في اتجاهها، ولكنها كانت تزداد ابتعادًا. كان الظلام دامسًا وإن كانت غرفة صديقه تنير عتمة الليل. ظل يبتعد وهو يقترب في حيرة، بينما كانت تتابعه عيون خبيثة تلمع بين زراعات الحديقة. عشرات الأعين التي بدأت في المواء، وبدأ هو يهرول محاولاً الوصول إلى الغرفة، ولكن دون جدوى. لهث كثيرًا، وبعد أميال استسلم ووقع أرضًا، ليجد عيون قطط الشياطين تحاصره وتقترب. حاول النهوض قبل أن تلتهمه بغضبها، وقرر العودة من حيث أتى، فتوقف وبدأ في العدو ناحية البوابة، ولكنه وبعد بضع خطوات وجد البوابة تهرب منه بعيدًا هي الأخرى، فتوقف يأسًا، ونظر خلفه ليجد نفسه أمام الغرفة وكأنها جاءته على استحياء، وإن كانت قد أعتمت نوافذها، لتوجهه إلى فك الباب الرئيسي، ليدخل "ماجد" منه في حذر؛ ليجد براحًا لا يصفه عقل، عالمًا شديد الاتساع والظلمة، يرتفع إلى عشرات الأمتار، وكأنه صار قزمًا أو دمية، فخاف

وحاول الخروج، ولكنه وجد خلف الباب هذه القطط وقد صارت كالنمور السوداء، تتوعده بضي أعينها الذي آلم عينيه، فيئس مرة أخرى من الهرب، وقرر الانتظار داخل محبسه، بينما كان سقف الغرفة لا يزال يبتعد عنه. ظل يبتعد وظل هو ينكمش، إلى أن تلاشى وهو يسمع كلمات ثلاث: "جاء وقت الحساب".

- إنت يا بني.

حاول "سامي" إيقاظ صديقه الذي كان نائمًا في غرفته والعرق يملؤه.

- إيه ده! الحمد لله، الحمد لله.

- في إيه يا "ماجد"؟

- حلم، لأ كابوس، كابوس يا "سامي" هاحكهولك.

ابتسم "سامي" وهو يجفف عرق صديقه بمنديل وقال:

- لأ مش لازم تحكيه، أنا عارف كل حاجه، أنا قريت كل حاجه في عنيك.

***

خرجت "سارة" من العقار في غضب، ثم توجهت بالحديث إلى الحارس:

- العربية اللي كنت طالباها جت؟

- أيوة يا ست هانم.

- طيب حط فيها الشنطة دي، واركب معايا.

- بس يا فندم "نبيل" باشا قالي إن في حد مهم جايله النهاردة.

لمعت عينا "سارة" بالشر، فأجابت:

- الميعاد اتلغى.

حقًّا أن كيدهنَّ عظيم.

***

الواحدة ظهرًا

- وقالي كل اللي حلمت بيه بالحرف الواحد.

قالها "ماجد" وسط نظرات الشك والتكذيب التي ازدادت، فلم يُعيرا كلامه اهتمامًا وواصلا أسئلتهما:

- طيب يا سيدي غير الأحلام، عمل إيه "الوحي" تاني غريب بعد المزرعةالسعيدة؟

- لأ عمل كتير، ما أنا بقولكم كنا خدنا على العز وكان لازم يفكر في فكره جديده.

ابتسم "ماجد" وهو يتذكر أيامه الخوالي.

***

كان "سامي" قد ابتدع طريقته الجديدة، ومعه وزيره "ماجد". كانا قد اتفقا على تسخير وقتهما وجهدهما على صفحات يمتلكانها هما، إلى أن يستطيعا استخدامها في الدعاية، وكانا قد بدآ من غرفة "سامي"

في خطتهما.

- بص يا ماجد إيه أكتر حاجات بتشد الناس؟

قالها "سامي" وهو يتحرك في الغرفة ذهابًا وإيابًا، بينما كان "ماجد" جليس السرير يدخن سيجارته البنية في استمتاع:

- الأكل.

- يا بني ركز معايا شويه.

- يا باشا إنت المخ.

كان "سامي" يعشق ذكاءه ويسعده المديح، فقد كان يعرف أنه يستحقه.

- خلاص يا سيدي أنا هاقولك وبالترتيب كمان.

- قول يا سيدي، قول يا كبير.

- إحنا بلد متدينة، أول حاجه بنحبها هي الدين.

أحرج "ماجد" وأطفأ سيجارته.

- فوقتني يا كبير. صح والتانيه؟

- الجنس.

- طب أولع السوجاره تاني أنا ولَّا أعمل إيه دلوقتي طيب؟

ابتسم "سامي" وتابع:

- وبعدين المشاهير، وأخيرًا ممكن الثقافة.

- إيه ده إحنا طلعنا شعب مثقف أهو!

- لأ فوق معايا، أنا قولت دي آخر حاجه.

ضحكا سويًّا قبل أن يضيف "ماجد":

- طيب والسياسة يا كبير؟

- سياسة إيه بس.. هو إحنا بلادنا فيها سياسيين أساسًا؟

- طيب إحنا هانعمل إيه من دول؟

ابتسم "سامي" وقال:

- كلهم.

***

- يعني إيه؟!

قالتها "نور" في تعجب، فرد "نبيل":

- في إيه يا ماما مالك؟

- اللي ماسك صفح الجنس والمشاهير همَّا اللي ماسكين صفح الدين والثقافه.

اعترض "ماجد" وأوضح:

- لأ يا فندم طبعًا، كنا مقسمينهم جزءين، جزء ماسك الدين والجنس، والتانيين ماسكين المشاهير والثقافة.

لم تصدق "نور" ما تسمعه، عكس "نبيل" الذي كان يعلم حقيقة هذه الصناعة التي يجهلها الكثيرون!

- يا فندم إحنا بعد كده عملنا أربع فرق، كل فرقه فيها أكتر من عشرين واحد، بس كله في السليم، حتى اسألي "نبيل" باشا، والله مالينا في السياسة خالص.

- أحبيبي يا "ميجو" إنت كويس ماتخافش.

تابعت "نور" استفساراتها:

- طيب يعني إيه مشاهير؟

- حضرتك زمان كنا لما بنعمل صفح للمشاهير ونكبرها، كانت الناس بتصدق وتتفاعل، خصوصًا لو حد محبوب، وإحنا قدرنا نلاقي حد يعرفه أو عنده على الفيس ويقدر يجيبلنا عنه معلومات وصور.

- وده كان بيجيب نتيجة فعلاً؟

تنهد "ماجد" وقال:

- يا فندم ده إحنا كان عندنا صفحه للفنانة "شيرين عامر" وصلناها لأكتر من خمسه مليون في سنه، وكانت بتأكلنا الشهد، كانت بتدخل

"للوحي" أكتر من خمسة الاف دولار في الشهر.

هنا انتبه "نبيل" للحديث الذي يهمه، فسأل:

- حلو أوي الكلام ده.. كان بيديك منهم كام؟

تألم "ماجد" من السؤال وراوغ:

- أنا "سامي" مكنش بيخليني محتاج حاجه.

- يعني كنت بتاخد كام؟

بدأت نبرة "نبيل" في الخشونة؛ مما أفزع "ماجد" الذي كان يعرف أن غضب "نبيل" قادر على تدمير مستقبله.

- حسب الشغل والله يا فندم.

- بقولك كاااام؟

- عشره في الميه يا باشا.

تعجبت "نور" وسألت:

- بس؟

رد "ماجد" في ألم واستسلام:

- ما هو كان صاحب الفكرة كلها، هو اللي كان ذكي، بس هو كمان كان بيظبطني كتير الصراحة.

كان كذبه ملحوظًا، ولكن "نبيل" لم يكن يريد المتابعة في وجود "نور" فتقبل الرد، بينما تابع "ماجد" ليهرب من هذه الأسئلة:

- هي كمان الصفحة دي اتقفلت علطول.

- إتقفلت ازاي؟

***

من داخل صومعة "سامي"، كانا يقومان بعدِّ مكاسب الشهر. كانت الغرفة وقد تحولت إلى مكان (خمسة نجوم)، فقد كان الأثاث وقد تغير بالكامل، وأصبح سرير "سامي" يُغلق ليتحول إلى أريكة، معطيًا اتساعًا داخليًّا للغرفة، حيث جلسوا على الأرض حول الكثير من الأموال.

- عارف يا كبير إحنا لو فضلنا كده كام سنه كمان هانبقى أغنى من "شيرين عامر" نفسها.

- "شيرين عامر" إيه بس، أنا طموحي أكتر من كده بكتير.

- بس أنا خايف من جماعة الواد "وحيد القط" أوي، كانوا داخلين في المصلحة وإنت طردتهم طرده وحشه أوي.

قاطع "سامي" صديقه بحزم واضح، فلم يعد هذا الطفل الذي كان.

- "ماجد"، أنا مية واحد يحلم يشتغل معايا، وأديك شايف أهو الصفحة في كام واحد هايموت ويشتغل عليها، أنا عندي بدل الواحد ألف استبن

مستتيين فرصه، وهمَّا ولا محتاجين أكل ولا مرعى، كفاية كل واحد قدام الحته بتاعته إسمه أدمن على صفحه زي دي.

- أيوه يا كبير، بس "وحيد" مش واحد من العيال دي، دول عيال كلهم عندهم خمستاشر سنه، بس "وحيد" بدأ معانا، ومن رجالتك، وإنت كنت متعود تراضيه، وهو كان راشق في كل مصالحنا.

- بس طمع يا "ماجد".

- أنا كنت بس بقول، أحسن يعمل ريبورتات توقعلنا صفحه من الصفح ولَّا حاجه.

- إنت عبيط يا "ماجد"؟! حتة الكلب ده ولا يعرف يعمل حاجه.

قاطع غرور "سامي" مكالمة من أحد شبابه:

- أيوه يا كبير، أنا "بيسو" اللي ماسك من الساعه أربعه لسته.

- آه أهلاً، معلش لسه ماحفظتكش، في إيه؟

- هو حضرتك شيلتني ولَّا إيه؟ أنا مش عارف أدخل على الصفحة.

- لا أبدًا.

قالها ثم توجه بالحديث إلى "ماجد":

- إنت شيلت الأدمن الجديد "بيسو" بتاع الساعة أربعه من صفحة "شيرين عامر"؟

- لأ يا كبير.

وقف "سامي" واتجه إلى الكمبيوتر الذي أصبح يضم ثلاث شاشات متجاورة في شكل دائري حول الكرسي. اقترب ووقف بجوار الكرسي وأدخل كلمته السرية والهاتف بيده، وفي لحظات كان قد فقد اتزانه ليقع هاتفه، أرضًا قبل أن يلحقه هو بجسده الضعيف.

***

- طيب ازاي وقعوها؟

سألت "نور".

- ريبورتات معينه قدر واحد من رجالتنا القديمة يعملها.

- هو أي حد يقدر يوقع أي صفحه؟

- أبدًا، بس هو كان اتعلم كتير من "سامي" وهو كان محتاج عدد كبير جدًّا عشان يوقعها، ويكون في نفس الوقت يكون يعرف لينكات مايعرفهاش أي حد، هو إحنا استهترنا بيه شويه.

قاطعه "نبيل"، مخرجًا ورقة وقلمًا من جيب سترته دون أن يحتاج إلى تدخل فضول "نور" مرة أخرى.

- إكتبلي إسمه هنا.

- يا باشا ده عدَّى خلاص واتوظف في شركة كبيرة.

- معلش إكتبه هنا، واكتبلي كمان عنوان "سامي" القديم في بيت عمه.

- حاضر يا باشا اتفضل.

كتب "ماجد" العنوان واسم "وحيد القط" وأعطاه إلى "نبيل" دون أن تستطيع "نور" قراءة الاسم، لتخفي توترها، والحقيقة التي تسترها، وتابعت بسؤالها:

- طيب هو "الوحي" عمل إيه لما الصفحة اتقفلت؟

- "سامي" معرفش يعمل أي حاجه، بعتنا للإدارة، بس للأسف الصفحة مش بس اتمنعت من النشر، دي اتمسحت خالص.

- يعني معملش حاجه؟

نظر "ماجد" نظرة حقد واضحة وتابع:

- بالعكس، هو قرر يسافر.

- يسافر فين؟

- سافر "الإمارات"، عشان يقابل حد من "الفيس"، أصل عندهم مقر في "الإمارات" للمنطقه كلها.

***

من أحد مباني "دبي" الشاهقة، كانا قد وصلا إلى اتفاق، هو الأكثر أهمية له في حياته، فتخليه عن نسبة من مكسبه مقابل كل هذه

المعلومات والدعم والقوة، كان بالتأكيد يصب في صالحه، فلقد عرف مدى ضآلته في هذا العالم الكبير الذي لم يكن يستطيع الولوج إليه وحيدًا أبدًا.

***

- قابل مين في "الإمارات"؟

وجهت "نور" سؤالها إلى "ماجد".

- محدش يعرف، بس تقريبًا وصل لحد مرتشي جوا (الفيس بوك).

- إشمعنى؟

سأل "نبيل".

- أصله من ساعة ما رجع وهو بيعرف يعمل كل حاجه، بيوثق صفحات في ساعات قليله وإحنا التوثيق مقفول عندنا أصلاً، ده غير لينكات كتير، إتفتحتله.

- هو يعني إيه توثيق أصلاً؟

سألت "نور" في بلاهة، ليرد "نبيل":

- دي العلامة الزرقا اللي بتبقى في صفح المشاهير.

- طيب وهي لازمتها إيه؟

- يعني هي بتعلي التفاعل جدًّا وبتدي مصداقية.

- طيب ودي مش أي حد يعرف يعملها؟

قاطع "ماجد" حديثهما مجيبًا:

- في الوقت ده مكنش في غير ناس قليله اللي تقدر و"الوحي" كان على راسهم، خصوصًا لما رجع من "الإمارات".

توقف "ماجد" برهة ونظر أرضًا ثم تابع:

- بصوا.. هو أينعم "سامي" طول عمره غريب وبيعمل حاجات غريبة، بس لما رجع كان أغرب، حيله زادت، أنا كنت بجد بخاف منه.

قاطع استفساراتهم صوت جرس هاتف "نور" التي تعجبت من اتصال زوجها رغم تأكيدها بعدم الإزعاج، فردت سريعًا:

- خير يا "تيتو"؟

- معلش أنا آسف يا حبيبتي، أنا أكلت "شريف" وكله تمام، بس هو في مشكله.

قالها وهو ينظر خلفه إلى "سارة" الجالسة على أريكة الصالون.

- "سارة" صاحبتك هنا ومعاها شنطة هدومها ومنهارة من العياط.

- أفندم؟!!

قالتها في تعجب وهي تنظر إلى "نبيل" نظرة ذات معنى مفهوم.

- طيب خليك معاها، وأنا جايه حالاً.

أغلقت "نور" مكالمتها، وطلبت من "نبيل" أن يتجه معها خارجًا للحظة، فخرجا سويًّا ليتهامسا عند بير السلم الشاهق.

- مراتك عندي في البيت.

- أفندم؟!

في حزم أشارت إليه أن يخفض صوته.

- بقولك إيه أنا مش عاوزه فضايح.

- فضايح إيه؟

- ما إنت أكيد عامل فيها مصيبة من مصايبك، كنت لازم يعني تعرفها علينا؟

- يعني هو إنتي كنتي عايزاني أشوفك وما سلمش عليكي؟

- لا يا سيدي، تسلم وتسلمني أنا تسليم أهالي.

- يا سلام! هو مين فينا أصلاً اللي جه للتاني؟

- يا سيدي ما إنت اللي وقفت وقعدت تبحلق فيا. إنت ناسي ولَّا إيه؟

ضحك "نبيل" وحاول مجاراتها:

- طيب يا سيتي روحي شوفي حصل إيه ولاغيني.

- والشغل؟

- يا سيتي ما إحنا خلاص خلصنا مع الراجل.

- يا سلاام! والكلام اللي هو قالوا ده؟

- يا سيتي في عرضك روحي وشوفيها وأنا والله هاكلمك أوصلك كل حاجه.

- حاضر لما أشوف آخرتها معاك.

خرجت "نور" وتركت "ماجد" وحيدًا مع "نبيل" الذي اتجه إلى الداخل وأغلق الباب خلفه، لينقطع التيار الكهربائي فجأة، تاركة إياهما وحيدين في ظلام دامس. لم يكن مع "نبيل" هاتفه ليفتح كشافه، فتقدم خطوتين ليبحث عنه فوق المنضدة، ولكنه لم يجدها، رغم كبر حجمها وسط الصالة، فتابع خطوة أخرى وحرك كلتا يديه، لعله يتعثر بالمنضدة، ولكن دون جدوى، فبدأ الذعر يتملكه عندما وجد أمامه هذه العيون التي تنظر إليه رغم العتمة. خاف وتراجع خطوة إلى الوراء. لم ترفع هاتان العينان النظر عنه، ورفضت رجوعه، فاقتربت هي أكثر، مصدرة صوت مواء معروف، ففهم أنه قط ليس إلا، فحاول استعادة رباطة جأشه، ووقف صلبًا حتى باغته مصدر للضوء من خلف تلك العيون. كان جهاز كمبيوتر قد فُتح للتو رغم انقطاع التيار الكهربائي. في ثوانٍ مرت عليه كالساعات، أشارت شاشة الكمبيوتر إلى صفحة تتخذ غلافًا يعرفه هو جيدًا، فلقد "جاء وقت الحساب".

لم يستطع هو مواجهة مخاوفه، فاستدار وهرع ناحية الباب، ليصطدم بجسد ما، جسد لشخص يعرفه تمامًا، وقبل أن يحاول التهور، كان التيار قد عاد ليعمل بطبيعته، ليجد نفسه أمام "ماجد" الذي يقف في برود شديد.

- مالك يا باشا في إيه؟ معلش الكهرباء بقالها فتره مش مظبوطه، كل سنه وإنت طيب، دخلة صيف بقى.

لم يتمالك "نبيل" أعصابه، وأشار إلى الكمبيوتر صارخًا:

- هو ازاي البتاع ده كان شغال والكهربا مقطوعة؟!

ابتسم "ماجد" وقال لـ "نبيل" مهدئًا من روعه:

- يا باشا إنت عارف شغلنا مهم، فأنا موصل الكمبيوتر على مولد كهربا، عشان كانت زمان الكهربا بتقطع بالساعات.

لم يقتنع "نبيل". وقبل أن يفتك بـ "ماجد" جاءه اتصال من "هشام" في الداخلية والذي بدا مضطربًا كثيرًا:

- باشا معلش حضرتك لازم تيجي.

لم يكن صوت "هشام" مطمئنًا.

- خير يا "هشام" في إيه؟

- في صفحه جديده طلعت.

سكت، بينما حدس "نبيل" جعله يلتفت خلفه إلى جهاز الكمبيوتر الذي كان مفتوحًا:

- صفحة إيه؟

- صفحه إسمها "الوحي"، والصفحة اتوثقت بنفس طريقة "الوحي" وبتزيد بطريقه غير طبيعيه واصله لنص مليون في أقل من نص ساعة.

كان "نبيل" يقترب بخطواته من الكمبيوتر، ليتأكد من حدسه، وقد كانت فعلاً صفحة مكتوب عليها بوضوح "الوحي". أكمل "هشام" حديثه بصوت منخفض حتى لا يسمعه باقي الضباط بالمكان:

- حضرتك وأنا عارفين كويس إن الوحيد اللي قادر يعمل كده هو "سامي" نفسه، في حاجه غلط يا فندم، أكيد ده حد من رجالته، وعارف حيله.

التفت "نبيل" إلى "ماجد" وترك الهاتف وقال:

- إنت هاتنزل معايا حالاً.

سأل "ماجد" في رهبة واضحة:

- خير يا باشا؟

- أبدًا.. بس جه وقت الحساب يا روح امك.

***

من بعيد ظل هذا القط يراقبهما، محاولاً الإنصات إليهما جيدًا حتى يستطيع أن يبلغ رؤساءه، ولكنه لم يستطع، فلقد كانا يتهامسان. من داخل أحد المساجد، كان "صلاح السيد" مع رئيسه "الشيخ يوسف". يجلسان بأرض المسجد سويًّا يتناقشان في جدية الوضع.

- إحنا مش قلنا قبل كده إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال إن الحرب خدعه؟

- اللهم صلي عليك يا نبي، يعني تمام؟

- تمام إن شاء اللّه، إنت مش بتقول عليها وشها سمح؟

في ابتسامة أجاب "صلاح":

- بسم اللّه ما شاء اللّه يا شيخنا. واللّه وشها منور.

- يبقى على بركة اللّه.

- بس يا شيخنا لو طلع ملعوب؟

- يبقى حلال فيها إقامة الحد، عشان ده تشهير. ولَّا إيه يا "صلاح" يا اخويا؟

- لأ، إن شاء اللّه ماتوصلش للدرجة دي.

قالها وهو ينظر إلى الساعة التي قاربت على الثانية ظهرًا، ثم اتصل بـ"ماجي" التي كانت في انتظار مكالمته.

- ألف مبروك يا "ماجي" إنتي إن شاء اللّه معانا، إيه المطلوب؟

- المطلوب تكون في البنك من الساعة أربعه، وقبل ما الساعة تيجي خمسه والبنك يقفل تكون حاطط المليون جنيه الأولاني في حسابات في البنك هابعتهملك.

- وده بضمان إيه إن شاء اللّه؟

- ماتخافش إنت هاتطمن بنفسك، المهم يكون عندك كمبيوتر.

- لأ ماتخافيش عندي.

- تمام، بعد كده هاجيلك النهارده الساعة سبعه آخد منك شيك بالباقي، وفي نص الليل بالظبط هاباركلك إن شاء اللّه.

- على بركة اللّه تعالى.

قالها ثم توجه بنظره مبتسمًا إلى قطه الذي ظل يتأمله من بعيد.

***

الثانية ظهرًا

كان الرجل يقف في الغرفة التي أعدها للانتقام في حالة من الشرود، كالمنوم مغناطيسيًّا لا يعي ما يفعل، فلقد فقد اليوم عزيزًا وسط جهل الجميع،ليمتثل لأوامر شيطانه في استسلام! سعيًا للانتقام، والمال،ثم نظر إليه في إعجاب ورفعه على أكتافه، ونظر إلى المرآة الوحيدة بالمكان، لعله يدرك حقيقته، ولكنه لم يكن موجودًا. لم يكن أي منهما هناك، ليغضب سيده ويتركه، ليسمع صوت موائه، ليتذكر أنهم كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

كانت "سارة" تجلس داخل بيت "نور" وهي تنظر إليه في رهبة. فلقد كان كالشيطان الأخرس، يقتلها بنظراته، كان حاد الملامح كأبيه، بدا مخيفًا لها بشعره البرتقالي ونمش خديه الحزين، كان يرمقها في تحدٍّ لا مبالي لها، كان يجلس على كرسي هزاز في وسط الصالونات الشاسعة. كانت الإضاءة خافتة، وإن كان مصدرها قادمًا من خلفه،

ليقلل هو من شدتها مع حركته كل لحظة. كانت المسافة بينهما تزيد عن الأربعة أمتار حين قرر هو الاقتراب منها، فأوقف الحركة، وظل ساكنًا لحظة، ليخيفها بصوت حشرجة أنفاسه الحبيسة، ثم ترك كرسيه ووقف، ثم بدأ يمشي في اتجاهها في صمت كعادته. كاد يدرك ضحيته، فلم تعد هناك بينهما إلا خطوة واحدة، فبدأ في التهامها بعينيه، وحاول إمساكها بيده، ثم فتح فمه، ولكن أمه فتحت باب البيت، ليسكت قبل أن ينطق، لتجده واقفًا أمام صديقتها مبتسمًا، وكالعادة في صمت، فحياها برأسه وتركهما ليصعد إلى غرفته، قبل أن توبخه أمه كعادتها:

- اطلع يا "شريف" أوضتك.

قالتها "نور"، بينما توجهت إليها "سارة" بالحديث:

- أنا آسفة يا "نور" على الإزعاج.

وضعت "نور" حقيبتها على أريكة بجانب المدخل، ثم توجهت إلى "سارة" لتقبلها.

- والله عيب عليكي، الكلام ده، ده وجودك يشرفني.

- أنا عارفة، اني عمري ما جيتلك البيت، بس أنا محتاجاكي.

- يا حبيبتي، ما أنا بيتي وبيتك واحد، خليني أردلك ضيافتك، ما أنا دايمًا عندك بنقي، وبشوف عندك الهدوم.

نظرت "نور" إلى حقيبة سفر "سارة" التي أحرجت وقالت:

- لا ماتخافيش، أنا مش جايه أبات، أنا حاجزه في فندق، أنا بس عايزه أتكلم معاكي شويه.

شعرت "نور" بقلة ذوقها.

- واللّه أبدًا، إنتي فهمتيني غلط، أنا بس قلقت في إيه؟

- أنا سيبت البيت يا "نور"، وعايزة أطلق.

- لا حول ولا قوة إلا باللّه، ليه بس كده حصل إيه؟

- هو مقلكيش ولَّا إيه؟ أنا عارفه إنكم صحاب.

بدا على "نور" عدم الارتياح للحديث، ولكنها واصلت:

- لا، إطلاقًا، أنا علاقتي بـ "نبيل" أساسًا شغل، ما إنتي عارفه، أنا بقيت بقابله بس عشان أشوفك، حتى أنا بقالي كتير ماشفتوش. هو هنا ولَّا مسافر؟

- يا ريتو كان مسافر، عارفه يا "نور"، رغم إني ماعرفكيش غير من ست سبع شهور بس، إلا إني حبيتك أوي وحسيت إنك أختي بجد.

- يا حبيبتي بجد ربنا يحفظك.

- واللّه بجد إنتي أحلى حاجه عرفتها عن طريق "نبيل".

سكتت "سارة" لحظة لتتذكر ماضيها، ثم تابعت:

- يمكن الحاجة الحلوة الوحيدة.

لم تكن "نور" مرتاحة إطلاقًا للدور الذي تؤديه، ولكنها كانت ماهرة في الكذب والخداع.

- والله بجد إنتي بتبسطيني بكلامك ده، هو فين "تيتو" صحيح؟ هو معزمش عليكي بحاجه؟ أجيبلك إيه؟

أشارت "سارة" إلى كوب من عصير البرتقال كان أمامها وقالت:

- لا والله، جوزك ده جميل، ربنا يحفظهولك، هو فيه ذوق كده في الدنيا؟ هو بيقول عنده معاد مع رجل أعمال كده قالي إسمه، بس نسيت، ونزل.

- آه، "ناصف شوكت".

أومأت "سارة" رأسها بالإيجاب وهي هائمة قليلاً، ثم تابعت:

- والله أنا خفت يكون اتكسف من وجودي ونزل، أصل حقيقي جوزك ذوق جدًا.

- والله! ألفهولك في كيس؟

ضحكت "سارة" وأحرجت.

- واللّه أنا مش بحسد. "تيتو" ده زي أخويا إنتي عارفه، ربنا يحميكوا.

لم تستطع عينا "سارة" كبت دموعها أكثر، وفجأة أجهشت بالبكاء، فهرعت "نور" لحقيبة يدها لتبحث عن مناديل، ولكنها اضطربت للحظة، فأخرجت جهاز (تابلت) كان بها، ثم تابعت إلى أن وجدته:

- لأ بقولك إيه. إمسكي نفسك كده واحكيلي حصل إيه؟

***

من داخل إحدى عيادات علاج العقم وتأخر الإنجاب، كانا ينتظران النتائج في مكتب الدكتور المشرف على حالتهما، في توتر واضح، كان "نبيل" يدخن في شراهة، بينما كانت "سارة" تعض على شفتيها، وبعد دقائق من الانتظار، دخل الدكتور حاملاً ملفًّا في يده. رفض الدكتور أن يعترف بإرادة اللّه وفشله في إسعادهما، فكان مهيَّأً أن يُحمِّل أحد الطرفين جزءًا من المسؤولية.

- مدام "سارة" أنا قلت لحضرتك أكتر من مره، إحنا لازم نخس شويه، إحنا كده بنضيع مجهودنا.

كانت إجابة الدكتور واضحة، ولم يحتاجا أي استفسار من الملف الذي كان بيده. وقف "نبيل" في غضب وأطفأ سيجارته، بينما نظرت هي أرضًا لتتلقى باقي التوبيخ.

- حضرتك يا فندم سنك مابقاش صغير، وأنا مش حابب إننا نتأخر في

حملنا عن كده، بس لازم حضرتك تساعديني.

في استمتاع بالحديث، جاب "نبيل" المكتب ذهابًا وإيابًا، وهو يضرب كفًّا بكف هامسًا:

- أنا كويس، أنا زي الفل، بس أعمل إيه حظي قليل.

ثم نظر إليها وهو يحدث الدكتور:

- حظي قليل يا دكتور، هاتحسر على إبني عشان الهانم مش عايزه تبطل أكل.

كانت "سارة" تحاول حبس دموعها، ولكن دون جدوى، فارتجفت شفتاها وهي تحاول السيطرة على أنفاسها، حتى تستطيع أن تخرج حروف كلامها دونما خوف أو انكسار، فهي حزينة على ضياع حلمها، وخائفة من زوجها العصبي، والأهم أنها قد أُرهقت من التوبيخ والنقد والاتهام، محاولة جهد نفسها الدفاع. قالت والدموع تنهمر على خديها لتتذوق مر ملحه بين شفتيها المرتعشتين:

- أنا آسس...آسفه، ده بس من الأدويه اللي إنتوا إدتوهالي، والله، أنا نفسي أخلف والله، خلاص أنا مش هاكل تاني، إياكش أموت من الجوع، أنا بس الأدويه وقعدة البيت اللي تخنتني.

توجه إليها "نبيل" متابعًا لومه:

- يا شيخه دي حتى قعدة البيت طلعت صعبه عليكي، حرام عليكي

حارماني من كل متع الدنيا، حسبي الله ونعم الوكيل.

كان رذاذ فمه الممزوج برائحة دخان سجائره قد وصل إليها ليزيد من مرارتها، فارتجفت أكثر، بينما كان خوفها الشديد منه ومن شماتة أهلها التي ستزداد سوءًا قد زاد من قهرها. كانت قد كُسرت بكل معاني الكلمة. كانت تريد أن تهرب من الدنيا، كانت تتمنى أن تزول، أو أن تنشق بها الأرض لاستردادها، كانت تريد أن تعود صغيرة، هاربة من مرارة الأيام، فهي تشعر باليتم والوحدة. ظلت عاجزة والخوف يملؤها، حتى عجزت عن السيطرة على أولى غرائزها، إلى أن بللت هي تنورتها بعجزها، كما يفعل الطفل الصغير، الذي لا يستطيع السيطرة على نفسه، فنظر إليها "نبيل" في استياء دون حتى أن يحاول ستر ضعفها أمام طبيبها.

- معلش يا دكتور إحنا لازم نمشي عشان نغير للهانم، وآسفين لو وسخنالك الكرسي.

ظلت تنظر إليه في خوف وهي تودع كبرياءها وعزة نفسها، فلم تعد حتى تستطيع أن تشفق عليها!

***

- يا حبيبة قلبي تعالي في حضني.

قالتها "نور" وهي تضم "سارة" إليها، في حنان مفتعل.

- أنا آسفة. أنا نكدت عليكي.

- يا حبيبتي إوعي تقولي كده، أنا لما هاشوف "نبيل" هاعرف شغلي معاه، هو في حد أبدًا يطول يبقى معاه ملاك زيك كده؟

قبل أن تكمل كلامها، قاطع حديثها صوت صراخ وآهات في العقار، فذهبت سريعًا وفتحت التلفاز متابعة حدسها كصحفية، لعل هناك حدث ما! وإذا بها تجد مباراة لكرة القدم أحرز فيها أحد الفريقين هدفًا من ضربة جزاء، فهدأت برهة وابتسمت، قبل أن ينقطع التيار الكهربائي فجأة؛ ليزيد من هلعها. الثلاث كلمات التي لمحتها على شاشة التلفاز قبل أن تتحول إلى سواد! فانقبض قلبها وصرخت:

- إيه ده؟!

- في إيه؟!

- إنتي شوفتي اللي طلع على الشاشه؟!

- شاشة إيه يا حبيبتي؟! سلامة عينيكي، الكهربا قطعت كالعاده النهارده، عشان المحطه الجديده.

هدأت "نور" لحظة، ثم توجهت إلى إحدى النوافذ في المكان.

- إستني كده أروح أفتح الشبابيك، وأجيب كشاف. بسم الله الرحمن الرحيم.

قبل أن تذهب "نور" وجدت جهازها اللوحي يرسل إليها إشعارًا، فجلست مرة أخرى مطمئنة بنوره، وأدخلت بصمة إبهامها ليفتح الجهاز على إشعار من (الفيس بوك). كانت صفحة "الوحي" وكان هو شخصيًّا بظله يظهر كـ(سلوليت) أمام الكاميرا بفيديو مصور بخاصية (الفيديو لايف). نظرت "نور" إلى هذا الظل الذي رأته صباحًا مقتولاً في غرفته، فرغم عدم وضوح ملامحه، إلا أن بنيته الضعيفة كانت واضحة. رجل ضعيف البنية والجسد، يظهر من غرفة خالية، إلا من هذه الإضاءة الخافتة خلفه، منبعثة من جهاز كمبيوتر محمول موضوع أعلى منضدة خشبية صغيرة. كان الجهاز يبث مباراة كرة القدم. كان ينظر إلى الكاميرا بتحدٍّ واضح. فلقد نصب الصوان مؤخرًا لينتقم. فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

كان الرجل يقف داخل الغرفة وهو غاضب بعد أن خرج من محبسه، فكثير منا تحبسه الحياة بقيودها، ولعله تحرر من جسده أو مُرّ روحه، أو من ظلام أفكاره. كان يرتدي شيئًا أعلى رأسه (كالكابشون) ليخفيها. ظل صامتًا لوقت طويل، ليكسر عداد الوقت الدقيقة الأولى، والمباراة لاتزال في خلفيته، وكأنه يريد التأكيد أنه على الهواء وليس تسجيلاً، ليتكلم أخيرًا بصوت مشفر كالإنسان الآلي وهو ينظر خلفه إلى أحداث المباراة وقال:

- ضربة الجزاء دي ظلم.

تحرك الرجل إلى الخلف ووقف على يسار الكمبيوتر المحمول، ثم حرك الشاشة تجاهه، وضغط على لوحة المفاتيح، ثم أعاد الشاشة إلى مواجهة الكاميرا، لتبث كلماته الثلاث: "جاء وقت الحساب". فقد كان للرجل رسالة واضحة للعالم.

اقترب مرة أخرى من الشاشة وقال:

- وهنا مفيش مكان للظلم.

كام مره اتظلمت؟

كام مره محدش خدلك حقك؟

كام مره كان نفسك تحاسب الظالم؟

لكل واحد عاش مظلوم الصفحه دي هي مكانه.

من هنا أنا بقول للعالم كله:

خلاص..

جيه وقت الحساب.

أوقف الرجل التسجيل، وذهب إلى جدار كان خلف الكاميرا، والذي كانت المرآة معلقة عليه، وحاول مرة أخرى أن يرى فيها نفسه، ولكن دون جدوى، فلم يكن هناك أثر له، فاقترب منها أكثر إلى أن أصبحت

محل أنفاسه، ليصنع شبورة على الزجاج، فرفع كف يده وكتب بسبابته:

"جاء وقت الحساب"

***

تابع الملايين من المشاهدين المشهد في ترقب، فقد كان لخاصية الـ (فيديو لايف) سبق على الـ (فيس بوك)، لتزداد التساؤلات في الشارع، وتزيد الضغط أيضًا على "نبيل" الذي كان في غرفة مكتبه الأنيقة يتابع الأحداث عبر كمبيوتر مكتبه في توتر ملحوظ، ومن خلفه وقف "هشام" يتابع معه الأحداث في عجز، بينما كان "ماجد" واقفًا في آخر الغرفة في رهبة واضحة وهو يضع كف يده اليمنى على اليسرى من أمامه.

كانت إدارة التوثيق والمعلومات قد بدأت في إدراك أهمية الحدث وإن لم يكن هناك ما يقلق بعد.

- أنا شايف يا "نبيل" باشا إحنا نلحق نوقع الصفحه، حضرتك عارف الموضوع بياخد وقت وأنا بدأت أقلق.

قالها "هشام" وهو يبتعد ليجلس على الكرسي المقابل لـ "نبيل" الذي اعتدل في جلسته ليواجههما.

- غبي يا "هشام".

أحرج "هشام" من توبيخه أمام "ماجد" وإن كان يعلم أن هذا سيكون

رد قائده، ولكنه كان يريد التأكد من شكوكه، فأنصت إلى رئيسه ليفهم ما يدور في عقله.

- الراجل ده أكيد وراه حاجه، لازم نفهم هو عاوز إيه عشان نقدر نتحرك، أكيد ده عايز يبتز القاتل، أو يكشفه، مسرح الجريمة كان فيه أكتر من كاميرا، إشمعنى هو نشر اللي فات بس؟ الموضوع وراه حاجه محتاجين نفهمها، والأهم نفهم مين ابن الكلب اللي بيشتغلنا!

قالها وهو ينظر إلى "ماجد"، ثم وقف وتحرك باتجاهه، إلى أن وصل إليه ووضع يده اليمنى أعلى كتف "ماجد" الأيمن ثم قال:

- طبعًا يا "ماجد" إنت عارفني كويس، وعارف إني بحبك، فأرجوك ماتخلنيش أزعل، إنت عارف إن زعلي والعياذ بالله وحش.

كان "ماجد" يعرف جيدًا مدى سلطة "نبيل" وجبروته، فقال:

- يا باشا ما أنا حضرتك معاك من الصبح وماروحتش في حته أهو.

- وإيه المشكله؟ ممكن يكون ده تصوير ومتسجل.

- يا باشا ده كان ذايع الماتش على الهوا.

كان "نبيل" يعرف جيدًا أن ما رآه للتو ليس مفبركًا، وإن رفض عقله الاعتراف بذلك بسهولة.

- طيب يا سيدي بالذوق والأدب مين ابن الـ..... اللي طلع في الفيديو؟

صمت "ماجد" لبرهة قبل أن يستجيب لضغط "نبيل".

- يا فندم اللي يقدر يعمل كده هو واحد بس.

وقف "هشام" واقترب، بينما ترك "نبيل" "ماجد" ووقف أمامه.

- قولوا عليا مجنون، قولوا عليا أي حاجه، بس الوحيد اللي ممكن يعمل كده هو "الوحي" نفسه.

سكت برهة قبل أن يتابع والرهبة الصادقة تخترق قواه:

- ولو كان ده هو "الوحي" بجد يبقى ربنا يستر علينا كلنا في الساعات اللي جايه دي.

***

كانتا لا تزالان أمام الجهاز اللوحي صامتتين في الظلام، فقد كانتا تشعران بأن ما شاهدتاه للتو، لم يكن مجرد مادة إعلامية أو خدعة، فظلتا ثابتتين كالأصنام من أمام شاشة الجهاز اللوحي، ناسيتين ما كانتا تتحدثان به قبل ذلك، وقبل أن تتداركا الحدث، ظهر صوته الإلكتروني مرة أخرى، وظهر صوته على الشاشة الصغيرة، يتحدث بقوة:

- مره تانيه عدنا إليكم بالكثير من المفاجآت، دي غرفة الحق والعدل، العدالة الإلهية، وزي ما إنتوا شايفين.. إيه ده؟

أشار الرجل إلى أنبوبتين للغاز من خلفه، ثم بدأ بتحريك الكاميرا ليصورهما عن قرب، بعدما خرج هو من الكادر، ليقول ضاحكًا:

- اللي ما شافش فيكم فيلم (سو)، هايشوفوا في الساعات اللي جايه.

دخل الرجل مرة أخرى في الكادر، وبدأ يظهر على وجهه انعكاس لماسك، يشبه هذا الذي يستخدمه المختصون لمقاومة الغاز، ليؤكد للناس ما هو على وشك فعله، ثم أشار إلى كرسيين كانا قد وضعهما مؤخرًا أمام المنضدة وقال:

- بكره زي دلوقتي هايبقى في هنا ضحيتين، لأ مش ضحيتين، اتنين جناه، هاحاسبهم، أو هاتحاسبوهم لما تعرفوا منهم كل الحقيقه، دلوقتي أنا هاسيبكم عشان أجهز مكان الضيف الأول اللي كلكم أكيد تعرفوه.

ظهر صوت ضحكه من خلف ماسك وجهه وتابع:

- رجل الأعمال "ناصف شوكت"، الرجل العظيم اللي هاينورني هنا بكره، إلى اللقاء قريبًا وماتنسوش إنه خلاص. "جيه وقت الحساب".

ضحك الرجل ضحكة أخيرة قبل أن يقطع التصوير، ليختفي، بينما لا تزالان هما في حالة من الرفض وعدم استيعاب للأحداث!

- هو فيه إيه.. إيه فيلم الرعب ده؟!

قالتها "سارة".

- ما قالك (سو).

- هو إيه (سو) ده يعني؟

- دي أكبر سلسلة أفلام رعب وتعذيب ممكن تشوفيها في حياتك.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، هو إحنا ناقصين!

- المصيبه إنه بيتكلم عن "ناصف شوكت". أنا بتهيألي إن ده الراجل اللي جوزي بيتكلم عنه النهارده، ده المفروض معاه دلوقتي.

- نهار أسود! دلوقتي؟!

أخرجت "نور" هاتفها واتصلت بزوجها في لهفة ملحوظة، ليرد هو بسرعة على عكسها تمامًا:

- إنت فين يا "تيتو"؟

- إيه يا روحي، أنا مع "ناصف" بيه زي ما قولتلك.

في اندهاش وصدمة ردت "نور":

- معاه دلوقتي دلوقتي؟!

في اندهاش سأل "تيتو" بعدما ابتعد عن الرجل قليلاً:

- أيوه يا حبيبتي في إيه، محتاجه حاجه؟

- إنت ماشوفتش اللي حصل؟

- خير في إيه قلقتيني؟

- يا "تيتو" الراجل ده هايتخطف بكره الصبح، إنت لازم تسيبه حالاً.

استمتع "تيتو" بقلقها، ونظر إلى الأرض مبتسمًا، وظل يحرك قدميه كالأطفال وسألها:

- إيه ده، إيه ده، ده إحنا رجعنا نقلق زي زمان ولَّا إيه؟

لكنها أحرجته وتابعت بجدية:

- والنبي يا شيخ إكبر بقى، بقولك هايتخطف، إنت مش شايف (الفيس بوك) مقلوب ازاي؟!

- إحنا بنتكلم في شغل، "فيس بوك" إيه يا شيخه اللي بتتكلمي عليه؟

***

الثالثة عصرًا

من أمام "ماجد" الذي كان واقفًا في رهبة وخوف، كان "نبيل" يحاول الاتصال برجل الأعمال "ناصف شوكت"، ولكن دون جدوى، فقد كانت أرقامه كلها مغلقة، فتوجه إلى"هشام" وقال:

- عايزك تقلب الدنيا على كل أرقام "ناصف شوكت" وفي خلال عشر دقايق تكون عرفت هو فين.

سكت "نبيل" لحظة وهو ينظر إلى "هشام"، ثم صرخ قائلاً:

- إنت لسه واقف؟ إتفضل امشي من قدامي الساعه دي.

خرج "هشام" وهو مضطرب ليترك "ماجد" وحيدًا لـ "نبيل" الذي اقترب منه ونظر إليه في حدة وقال:

- "ماجد" آخر سؤال هاسأله باحترام، إنت تعرف "ناصف شوكت" منين؟

في رهبة كادت تفقده النطق، حاول "ماجد" التحكم في أعصابه

ليجاوب في تردد:

- يا باشا ما حضرتك عارف.

ارتجف "ماجد" وتلعثم قليلاً ثم قال:

- يا باشا ما إحنا اللي ماسكين له حملته في الانتخابات.

***

كان "ماجد" يتابع الأعمال على جهاز الكمبيوتر وهو يأكل بعض المكسرات في غرفة "سامي"، بينما كان الأخير يتفقد هاتفه من على الأريكة:

- بقولك يا "ميجو".

- قول يا كبير ماتتكسفش.

وقف "سامي" واتجه ناحيته.

- ادخل على صفحة "ناصف شوكت" كده.

- مين "ناصف شوكت" ده يا كبير؟

قالها "ماجد" باستهتار وهو يقرمش السوداني.

- يا بني ركز، ده رجل أعمال كبير ومرشح لانتخابات مجلس الشعب اللي جاي.

- وإحنا مالنا بس يا كبير بالناس دي؟ إحنا مش قلنا معندناش سياسيين، وملناش في السياسه؟

- إسمع الكلام هاتلي صفحته.

ترك "ماجد" السوداني، وبدأ في التركيز وبدأ في البحث، إلى أن وجد الصفحة.

- إتفضل يا كبير، شوف كده، هو ده؟

اقترب "سامي" من الشاشة وقال:

- أيوه تمام، إبعتلو بقى إن إحنا عايزين نمسكله حملته الانتخابيه.

صُدم "ماجد" وأدار كرسيه ليواجه "سامي":

- وهو ازاي واحد زي ده يوافق علينا؟!

ابتسم "سامي" بثقة وقال:

- هايوافق، أنا عارف كويس أنا بعمل إيه.

***

بعدما شرحت "نور" لزوجها كافة الأحداث، هدّأ من روعها، ورضخ للطلب الذي أسعدها، وهو مكالمة "ناصف شوكت" وتسجيل حوار صحفي مسجل معه على التليفون.

ليعطي "تيتو" الهاتف لـ "ناصف" الذي طمأنها على صحته وسلامته تمامًا، وإن ظل يخفي عنها الكثير، ولكنه آثر الحفاظ على رباطة جأشه حتى تنتهي لعبة الانتخابات، ولكن طمع "نور" في المزيد كان متماشيًا مع شخصيتها، فطلبت أن تقابله شخصيًّا لتضيف صورة له معها على التحقيق، فوافق الرجل إكرامًا لزوجها، وأعطاها عنوان شقته في الزمالك، فأغلقت "نور" في سعادة، وتوجهت بحديثها إلى "سارة":

- ده هايبقى سبق إبن لذينا.

- ربنا يباركلك يارب.

عاودت "نور" الاتصال بإحدى زميلاتها بالجريدة:

- آلو.. بقولك إيه، عندي ليكوا سبق فظيع.

مش هاتصدقي.

هابعتلك حالاً حديث سجلته دلوقتي مع "ناصف شوكت".

والله العظيم!

عايزاكي تنزليه دلوقتي حالاً على صفحة الجريده على النت.

عارفه يا روحي والله، وهاروح دلوقتي أسجله بالصوره من غير ما تقولي.

بس عايزه إسمي ينور كده مش زي المره اللي فاتت.

أغلقت "نور" الاتصال في سعادة، وأرسلت إليها الملفات وعاودت الحديث إلى"سارة":

- معلش يا ساره أنا لازم أنزل، ده سبق صحفي لازم أروح.

قطع حديثها التيار الكهربائي الذي عاود وغادر سريعًا فجأة كالعادة، فظهر الخوف مجددًا على "سارة".

- والنبي ما تسبيني هنا في القلق ده لوحدي، خديني معاكي حرام عليكي.

- حاضر، حاضر ماتخافيش.

في استياء أحرجت "نور" وتقبلت الأمر على مضض، ليتركا البيت بظلمته، لتنسى "نور" شيئًا هامًّا، فقد نزل "شريف" من غرفته دون خوف، ليجلس وحيدًا على الكرسي الهزاز في الظلام الذي لم تحده إضاءة النوافذ من بعيد، بينما كان مواء قطه يقترب شيئًا فشيئًا، فأشار إليه بعينيه ليجلس على حجره، ليتهامسا وهما يشاهدان رسالة التلفاز في استمتاع، حتى يعاود التيار الكهربائي مرة أخرى.

***

عندما أذاعت صفحة "نور" الإخبارية الحديث المسجل، كان الرجل يشاهده في تحدٍّ من داخل غرفة العدل التي كان يذيع منها تسجيلاته. كان يعشق التحديات، لذا قرر ما سيفعله في الساعات المقبلة، فهو

يعرف قدراته الخارقة، يعرف ما يستطيع أن يفاجئ به العالم الضعيف، فتوجه إلى الكمبيوتر ليكتب في تلذذ وتحدٍّ:

"لقد قبلت التحدي. السيد "ناصف شوكت" سيكون ضيفي في خلال الستين دقيقة المقبلة".

كتبها على صفحته بسخرية وثقة ليست لبشر، ثم أغلق الكمبيوتر المحمول وأخرج هاتفه، وترك الغرفة في ظلامها وخرج متجهًا إلى شقة الزمالك، ليظل صوت مواء القط يعلو ويرتفع.

***

ظل "نبيل" يتصل بـ "نور" التي لم تستطع الرد عليه وهي بصحبة "سارة"، حتى وصلتا إلى عنوان شقة الزمالك، فنظرت "نور" للعقار في رهبة غريبة، فهي تعرف هذا المكان جيدًا. كانت العمارة من كلاسيكيات الحي بجوار برج أم كلثوم. لم يكن هناك حارس، بل كان يوجد (إنتركوم) ولكنهما لم يجدا اسم "ناصف شوكت"، رغم أنه رجل أعمال معروف، فأخرجت "نور" هاتفها لتتصل بـ "تيتو" الذي فاجأها بفتح باب العمارة من أمامهما في توتر ملحوظ زاد من فزعها إلى حد ما!

- في إيه يا "تيتو"؟!

قالت "نور".

- ولا حاجة.

سكت لحظة، ثم وجه كلامه إلى "سارة":

- إتفضلي يا "سارة" هانم شقة أستاذ "ناصف" تالت دور، شقه أربعة.

كان وقع رقم الشقة وتوصيفها مختلفًا على "نور"، بينما اقترب "تيتو" منها لتفهم "سارة" أنها غير مرحب بها في هذه اللحظة.

- طيب يا "نور" هاستناكي فوق، خدي راحتك، عن إذنك يا "تيتو" معلش آسفة على الإزعاج.

- إطلاقًا يا فندم، أنا بس هاظبط حاجه مع "نور" ثواني وهامشي مش هاأخر حضرتك.

تركتهما "سارة" في غيرة وغضب لم تستطع إخفاءهما، بينما توجه هو معاتبًا "نور":

- فين "شريف" يا "نور"؟

صُدمت "نور" ووضعت يديها على شفتيها، وقالت في ندم مصطنع:

- معلش يا حبيبي أنا آسفه.

ثم وضعت كلتا يديها حول رقبته وتابعت:

- ربنا يخليك لينا، أنا والله مش عارفه حصل ازاي أصل أنا قلقت عليك ونسيت نفسي، معلش روحله البيت وأنا ثواني وهاكون عندك.

كان دائم عشقها، وكان يعيش على هذا الفتات، فابتسم وقال:

- ولا يهمِّك يا روحي، أنا هاطير عليه وهاوديه لماما، بس المهم ماتتأخريش عليا.

غمز لها بعينه ثم قبل يديها، بينما قبلته هي في لحيته قائلة:

- مش هاتأخر، بس إنت جهز نفسك للمعركه.

- ما بلاش إنتي، ما إنتي امبارح كنتي بتموتي.

ضحكت وهي تتركه ليذهب، قبل أن تنظر إلى العقار نظرة ندم لتنادي عليه:

- طاهر.

استدار "تيتو".

- إنت بجد طاهر؟

ابتسم لها وهو يقول:

- وإنتي بجد نور؟

ابتسمت له "نور" وتركته، ودقات قلبها تتصاعد وهي تصعد إلى هذا العقار الذي تعرفه جيدًا. صعدت في ترقب وخوف وهي تحسب ما يمكن أن تفعله إن كان حدسها صحيحًا. توجهت إلى الدور الثالث، لتجد شقة أربعة مفتوحة. كانت منقبضة جدًّا! لم تكن تصدق المكان الذي دفعتها

الظروف إليه مرة أخرى، فاقتربت لتلمح "سارة" بالداخل، فنادتها "سارة"، لتدخل "نور" في تحفظ وهي تبحث عنه بعينيها، ولكن "سارة" كانت وحيدة فسألتها:

- هو فين؟

قالت "سارة" في سعادة طفولية:

- فتحلي ودخل، بس ده باشا بجد يا "نور"، بيلمع كده.

- يا بنتي ارحمي، ما إنتي جوزك بيلمع برضه.

لم تبتسم "سارة" وتذكرت مصيبتها:

- بس ماتقوليش جوزك.

قالتها بانكسار، جعل الصمت يخيم على المكان، إلى أن كسره صوت جرس هاتف "نور" المحمول. كان "نبيل" قد علم بأنها قد استطاعت الوصول إلى "ناصف شوكت"، في حين عجز هو ومساعدوه في ذلك، فخرجت "نور" من الشقة بعدما استأذنت "سارة" لترد على الهاتف بصوت منخفض، حتى لا تجرحها:

- آلو.

- آلو إيه يا شيخه، إنتي فين؟

في عصبية ملحوظة ردت "نور":

- في إيه يا "نبيل" ماتتكلم كويس.

- "نور" ماتستهبليش عليا، إحنا في مركب واحده، "الوحي" هايخطف "ناصف شوكت" دلوقتي. إنتي فين؟

- أنا معاه فعلاً في شقة الزمالك، بس أنا مكنتش أعرف إنها بتاعته.

- شقة الزمالك؟!

- أيوه يا "نبيل" شقة الزمالك، ما إنت عارفها، هانستهبل؟!

- "نور" ماتتحركيش من مكانك، أنا أقل من عشر دقايق وهابقى عندك.

أغلق "نبيل" الخط لتتوتر "نور" أكثر، ثم اتجهت إلى الداخل لتقع عيناها على "سارة" التي غفلت عنها، فتذكرت أن عليها إخبار "نبيل" بوجود زوجته، فعاودت الاتصال به، لكن دون جدوى، فقد ظل هاتفه مشغولاً، فلم تعرف ماذا تفعل! فتوجهت إلى "سارة" التي كانت تقتل المكان بعينيها، فقد كان أشبه بـ (جرسونيره)، أو مكان للسهرات، فقد كان هناك "بار" يحتوي على كل أنواع الخمور والمزّات الممكنة، فقاطعت "نور" نظراتها قائلة:

- "سارة" بقولك إيه.

نظرت "نور" أرضًا في إحراج ثم تابعت:

- أنا الجريده كلمتني وقالولي إن الداخليه جايه.

لم تكترث "سارة" وابتسمت قائلة:

- طيب في إيه يعني، محسساني إنهم هايمسكوني ليه؟

سكتت "نور"، ففهمت "سارة" ووقفت.

- هو جاي؟

هزت "نور" رأسها بنعم، فخرجت "سارة" غاضبة، فحاولت "نور" إمساكها من يدها قائلة:

- طيب خدي مفاتيح عربيتي وروحي أي حته وأنا هاخلص وأجيلك.

توقفت "سارة" واستدارت لتواجه "نور" وقالت:

- ماتخافيش يا "نور" أنا مش زعلانه منك.

سكتت لحظة ونظرت خارج نافذة بعيدة، وتابعت:

- أنا زعلانه من الزمن.

مسحت دمعة خانتها لتنهي حديثها.

- معلش يا "نور" أنا محتاجه أتمشى لوحدي شويه، هاكلمك بعد شويه.

لم تستطع "نور" الضغط على "سارة"، خصوصًا أنها كانت تتمنى أن تكون معه وحيدة، وقد كان.

***

وقف القط له محييًا، وهو ينظر إليه في إعجاب للخطة التي وضعها حتى يأتي بضحيته إلى هنا وسط أعين الجميع، فلقد كان ذكيًّا. كان مختلفًا وكان يعرف. كان ينتظر اللحظة التي يطلق فيها سراحه، وقد كان، فلقد أطلق سراح حبيسه لينتقم، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

توجه "صلاح السيد" إلى البنك بحقيبة الأموال وهو يتابع الأحداث في شغف، فلقد فهم العلامة التي كانت تقصدها، فهو الآن ينتظر ظهور "ناصف شوكت" على صفحات التواصل الاجتماعي، ليبدأ هو بإيداع المبالغ المحددة حسب الاتفاق، وصل "صلاح" البنك لينظر إلى ساعته التي كانت تشير إلى تمام الرابعة حسب الاتفاق ليجلس في صالة الاستقبال ويخرج هاتفه منتظرًا الإشارة في ترقب.

***

الرابعة عصرًا

وصل "نبيل" إلى شقة "ناصف شوكت" التي كان يعرفها جيدًا وهو متحفز، بينما اتصل به "هشام" مرة أخرى:

- يا "نبيل" بيه لازم نبعت حد مع حضرتك، ماينفعش كده.

بغضب صرخ "نبيل" وهو يصعد السلم:

- ما تحترم نفسك يا حضرة الرائد، هو أنا صغير! قلتلك إني أمّنت "ناصف شوكت"، يبقى خلاص.

أغلق "نبيل" الخط وتوجه إلى الشقة المفتوحة، ليجد "نور" هائمة وحيدة فسألها:

- هو فين؟

كانت "نور" شاردة في عالم آخر! فكرر سؤاله:

- "نوررر"!! "ناصف شوكت" فين؟

انتبهت "نور" وهي متوترة:

- جوا، دخل جوا.

قالتها وشردت مرة أخرى، ليخرج "نبيل" سلاحه ويغتصب حرمة المكان كعادته، ويتوجه إلى الداخل... وليته ما فعل!

***

على بعد عقارين، كانت "سارة" تجلس في إحدى الكافتيريات على الكورنيش، في وحدة وألم. كانت تنظر إلى النيل الساحر، تشكو إليه آلامها، ثم أخرجت جهاز كمبيوتر صغير من حقيبة يدها، لا تتعدى شاشته العشر إنشات، وبدأت تتابع الأخبار على صفحات التواصل الاجتماعي لتتذكر ما فعله بها "نبيل" في بداية زواجهما.

***

خرجت "سارة" من عملها وهي تبكي بعدما رفض مديرها تثبيتها، متحججًا بأن نتائجها وليدة حظ أو صدف، كما أنها تستخدم طرقًا غير مشروعة تقلل من مصداقية الشركة، لتعود "سارة" إلى زوجها بخيبة الأمل، فقد كانت تحتاج إلى إثبات ذاتها أمامه، حتى تكسر الصورة التي يرسمها لها دائمًا.

عادت "سارة" ودخلت البيت دون أن تتحدث بكلمة، بينما كان "نبيل"

جالسًا يشاهد التلفاز، لم تكن معتادة على تواجده مبكرًا، فخلعت معطفها واتجهت إلى المطبخ المفتوح لتحضر الغداء.

- حبيبي، مش تقول إنك هنا؟ حالاً أحضرلك الأكل.

أغلق "نبيل" التلفاز ووقف، واتجه إليها وضمها من خلفها بعدما أخرجت الطعام من الثلاجة وتوجهت إلى الكاونتر، ضمها بحنان لم تعهده منه مؤخرًا، فبعدما تأخرا في الإنجاب، بدأ "نبيل" في التغير نسبيًّا، فقد كان يعشق الأطفال، وكان يتمنى أن ينوِّله الله العديد منهم، فقد كان وحيدًا بدون إخوة. كان "نبيل" دائم التحدث عن مستقبل أولاده، كان يتخيل عائلته الكبيرة، وكان يحب زوجته ويتمنى أن تكون أم أولاده، ولكن لم تأتِ الرياح بما تشتهي السفن! فمرت أكثر من ثلاث سنوات دون أية نتيجة إيجابية، رغم سلامة كليهما.

- وحشتيني يا حبيبتي.

قالها "نبيل" بدفء، لمس به قلبها، فاستسلمت له، واستدارت لتضمه.

- حبيبي أنا محتاجلك أوي.

كان يعلم أنها قد طُردت من العمل، فقد كان هو من توسط لها لكي تحصل عليه، فقد كان مؤمنًا بقلة كفاءتها وسقف ذكائها المحدود، ولكنه لم يتخيل أبدًا أنها قد تستخدم طرقًا غير مشروعة لتثبت العكس وتنجح.

- عارف يا حبيبتي، عارف كل حاجه.

- عارف إيه؟

قالتها وهي تبتعد عنه، فضمها وتابع:

- عارف يا حبيبتي إنهم رفدوكي.

مرة أخرى بدأت في الرفض، وتركته لتكمل حوارها من بعيد:

- رفدوني إيه؟! هما أصلاً مايستاهلوش خبرتي، هما الخسران، أنا اللي لقيت عرض أحسن من شركه تانيه، أنا كده كده كنت عايزه أمشي.

رفض "نبيل" كبرياءها وتابع:

- "سارة" فوقي، إنتي أحرجتيني جدًّا، إنتي عارفه إني ما صدقت عرفت أتوسطلك في حته، يا سيتي كان ممكن تعملي أي حاجه، لكن ماتكدبيش على الراجل وتعملي شغل (أندر جراوند) بالشكل ده، إنتي لو كنتي قعدتي ما بتعمليش حاجه زي الكرسي اللي بتعدي عليه كان خلاكي وجاملني.

رفضت غروره أيضًا وأوضحت له الحقيقة:

- صاحبك ده أصلاً مش عاملك حساب ولا حاجه، ده بقاله شهر بيهددني بالرفد لو محققتش التارجت، من ساعة ما جه العيل اللي اسمه "وحيد"، وده لو عاملك نص الحساب اللي إنت عاملهولو مكنش

حاول يذلني كده، هو أكيد بيعمل فيا كده عشان متضايق منك إنت، أنا مقصرتش.

تعصب "نبيل" جدًّا وصرخ:

- إنتي في إيه ولَّا في إيه يا بنتي؟ إنتي اتجننتي؟! مقاوحه وخلاص، إنتي مش بتاعت شغل، كفايه بقى تهزيء فينا الله يخليكي واقعدي في البيت.

- حرام عليك أنا مش فاشله، أنا بس مش بعرف أشتغل عند حد.

- آه طبعًا، إنتي اللي زيك لازم يبقى رئيس جمهوريه.

قالها ودخل إلى غرفة نومه بعدما خطف نظرة لغرفة أولاده الخاوية في حسرة وهوان!

بينما ظلت هي وحيدة في المطبخ تبحث عما يمكن أن تفعله لتغيير الصورة التي رسمها لها الجميع.

ظلت "سارة" ساعات تحاول إيجاد الفكرة التي يمكن أن تكسب بها ثقة "نبيل" واحترام الجميع، حتى وجدتها وهي تتصفح صفحات الموضة والملابس على الإنترنت من هاتفها، فلقد كانت "سارة" معروفة بذوقها الرفيع منذ أن كانت في الجامعة، فحسمت أمرها ودخلت إلى "نبيل" على استحياء، بغرفة نومهما.

- حبيبي، ماتزعلش مني، أنا عارفه إني غلطت.

لم يصدق "نبيل" أذنيه! فالتفت إليها:

- بجد يا حبيبتي، يعني خلاص هاتعدي في البيت؟

- آه.

- يا حبيبتي.. وأنا ليكي عليا أعملك كل اللي إنتي عايزاه.

- بجد؟

- آه واللّه.

- طيب أنا عايزه أسافر.

كان "نبيل" مستلقيًا على السرير، فنهض بعدما فقد صبره.

- مش فاهم!

- أنا هاعمل (أوبن داي).

- (أوبن داي)؟!

لم يفهم "نبيل" معنى كلام زوجته، فتابعت هي توضيحها:

- أيوه (أوبن داي) يعني أسافر أجيب لبس من بره وأرجع أبيعه للناس هنا، أنا أعرف واحده بتكسب دهب من الموضوع ده.

لم يتحمل "نبيل" هذا الهراء.

- يعني إنتي عايزه تسافري وتاخدي فلوس تجيبي لبس، وبعدين تيجي

تدللي عليه هنا في بيتي؟! يعني بيت المقدم " نبيل" يبقى محل هدوم!

رفض "نبيل" فكرة "سارة"، فلم يكن مستواه أو ثقافته تستطيع مساعدتها في مثل هذا الاستهتار والمجازفة، ولكنها استطاعت أن تستعطف قلب أمها لتتدخل في إقناع زوجها، بعد أن تكفلت بمساعدة ابنتها في تكاليف السفر والمشتريات، حتى أنها اضطرت أن تسافر معها ليتقبل "نبيل" هذا الأمر في بدايته؛ لتنجح "سارة" في أول شيء في حياتها العملية وإن ظلت الغيرة تتملكها من صديقاتها اللاتي يسمحن لهن أزواجهن بالعمل.

***

شعرت "نور" أن "نبيل" قد غاب في الداخل، فبدأ القلق يساورها، فنادته من الخارج، ولكنه لم يجب، فغلبها الفضول؛ لتبدأ في التسلل إلى الداخل في حذر، حيث كانت هناك طرقة صغيرة، تحتوي على أربعة أبواب. كان من بينها بابان مفتوحان لحمام ومطبخ، استطاعت أن تتفقدهما بنظرها، دون حاجة إلى الدخول، بينما كان البابان الآخران مواربين، وظهر خلف أحدهما إضاءة خافتة، فاقتربت منه تاركة الآخر خلفها ليبدأ هو في الانفتاح قليلاً دون أن تلاحظ وهي تنادي "نبيل" الذي لم يجب. اقتربت أكثر لتصبح على بعد خطوة من الباب، حتى سمعت مواء قط من خلفها، فالتفتت لتجد قطًّا يخرج من الغرفة سريعًا قبل أن يهرب خارجًا لتسمع صوتًا مدويًّا أحدثه غلق باب

الشقة والباب الذي كان خلفها سويًّا، فالتفتت بسرعة لتتأكد أنه قد أغلق هو والإضاءة الداخلية معه، لتقرر "نور" الخروج من هذا المكان المريب، فتلتف مرة أخرى معطية باب الغرفة ظهرها، الذي فُتح من خلفها، لتتسمر "نور" في مكانها للحظات، قبل أن تحاول استعادة رباطة جأشها وتلتف مرة أخيرة، لتلتقط أنفاسها عندما تجد "نبيل" يقف على باب الغرفة، قبل أن يصل إليها الخوف مرة أخرى عندما شاهدت وجه "نبيل" المتجهم، فخطفت نظرة داخل الغرفة من خلفه، ولكنها كانت مظلمة، فلم تستطع الوقوف، بل دفعت "نبيل" واتجهت إلى الداخل في فضول. كانت غرفة النوم خاوية إلا من رسالة كُتبت على الحائط بخط مشع. كانت الرسالة واضحة في الظلام، جملة من ثلاث كلمات قد حفظوها عن ظهر قلب، فانفعلت "نور" وأشعلت الأنوار حتى اختفت الرسالة، لتظل هي شاردة في هذه الغرفة الخاوية إلا من سرير ودولاب وجهاز تليفزيون! كانت "نور" تعرف الغرفة جيدًا، وإن لم تكن تتمنى أن تزورها مرة أخرى، فدمعت عيناها، بينما ازداد الأمر سوءًا بانقطاع التيار، لتظهر الرسالة واضحة لهما: "جاء وقت الحساب".

دقائق من عدم الاتزان مرت عليهما وهما عاجزان عن الكلام، إلى أن اتصل "هشام" برئيسه في شماتة:

- يا ترى لقيت "ناصف شوكت" يا باشا؟

لم يرد "نبيل" من شدة إحراجه، ليتابع "هشام":

- عارف يا فندم إنك ملاقيتوش، أصله منور على الشاشه قدامي هنا.

***

جلس الرجل مستمتعًا بالنظر إلى ضحيته الأولى المكبلة على الكرسي الأول. كان هو رجل الأعمال "ناصف شوكت"، بصلعته وبشرته البيضاء. كانت يداه مكبلتين خلف ظهر كرسيه، وكان الرجل الآخر يخاطبه من خلف الكمبيوتر وكاميرته بصوته الإلكتروني:

- قوانين اللعبه واضحه، لازم تعري كل الحقايق، لازم نشوفك على حقيقتك، مفيش هنا مجال للكذب، أنا هاسيبك تتنفس غاز شويه عشان تفهمني أكتر وبعدين نتكلم.

لم يفهم "ناصف" أنه يتم تصويره، بل ظن أن الرجل يعاني اضطرابًا ما منذ جلستهم الأخيرة التي مر عليها أكثر من عام كامل، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

- ما إنت عارف كل حاجه، يا....

قطع الرجل التصوير قبل أن يكشف "ناصف" عن هويته، ليظل المشاهدون في اضطراب من هول ما شاهدوه للتو، وسط تساؤلات إذا ما كان هذا ضمن برنامجه الانتخابي أم شيء آخر؟!

***

من شاشات "هشام" ظهر "ناصف شوكت" وهو يختنق، بينما جاءه إشعار من اللواء "محمود وهبة" وهو رتبة رفيعة بالداخلية، والذي كان مستاءً جدًّا من تصرفات "نبيل" الذي أخر إجراءاتهم كثيرًا في الساعات الأخيرة بصورة غير مفهومة.

توجه "هشام" إلى قائد قائده بسرعة، ليدخل مكتبه الشاسع في رهبة. وقف "هشام" في انتظار أوامر رئيسه الذي أشار إليه بالجلوس. أشعل "محمود" سيجارة بولاعته الذهبية، وأغلق التلفاز الذي كان بجواره، قبل أن يبدأ حديثه. كان "محمود" ضخم البنية، في الخمسينيات، أسمر البشرة، ذا شعر أبيض ثقيل، يعطيه الهيبة والوقار.

- "هشام"، أنا مش عاجبني اللي بيحصل خالص، أمن الدولة إتدخل والاختراق الإلكتروني هايوقع صفحة "الوحي" في الساعات اللي جايه، أنا مش مبسوط من إدارتكم للموضوع.

- يا فندم أنا عبد المأمور.

- ما هو ده إللي أنا عايزك فيه.

- خير يا فندم؟

- ملكش دعوه بالمأمور، إنت في القضيه دي أوامرك مني أنا شخصيًّا.

في شعور بالرضا رد "هشام":

- ده شرف ليا يا باشا.

لم يهتم "محمود" بالمجاملات، وقاطع "هشام" في جدية:

- أول حاجه عايزك تركز فيها في الساعات القليله اللي جايه.

سكت وأخرج من صدره دخان سيجارته وتابع:

- أنا عايزك تركز كل مهارتك إنك تعرف المكان اللي بيبث التسجيلات دي.

- طيب يا فندم ما إحنا فعلاً شغالين عليها، بس مالحقناش لسه نوصل لحاجه.

في حزم وغضب أوضح "محمود":

- يا "هشام" ركز معايا الله يرضى عنك، أول ما تعرف، ولازم هاتعرف، تيجي تبلغني أنا، أنا وبس.. مفهوم؟

- مفهوم يا فندم.

خرج "هشام" في سعادة واتجه إلى غرفة الضباط، ليجد "ناصف شوكت" ما زال على الشاشات يرفض التحدث، فتوجه بالكلام لأحد الضباط الذين يثق بهم، ليبلغه بأهمية معرفة مكان البث، قبل أن تغلق أمن الدولة الصفحة، بعدما ظهر فيها شخص سياسي بارز، هذا بينما كان "نبيل" يتصل بـ "هشام" ليتأكد من معلومة هامة.

- "هشام" خلي الزفت اللي إسمه "ماجد" عندك وخليه يستناني في أوضة مكتبي.

- حاضر يا باشا، بس هو مشي، إحنا أصلاً معناش أمر بالقبض عليه.

- نعم يا حبيبي! هو أنا محتاج الكلام ده عشان أمسك الهلفوت ده؟ بقولك إيه يا "هشام" ماتعصبنيش، تنزل تيجبهولي وتخليه يترزع عندك يستناني، زي الألف لغاية لما أوصل، ساعه والاقيه مرزوع عندك.

في غضب انصاع "هشام" لأوامر قائده.

- حاضر يا باشا، حضرتك جاي دلوقتي؟

- لأ، أنا رايح المشرحه وعايزك تكلملي حد من الأطباء الشرعيين تخليه يستناني دلوقتي.

في استياء كرر "هشام":

- يا باشا ما حضرتك عارف النظام، مش هاعرف أظبط لحضرتك الكلام ده ولا هاعرف أجيبلك تصريح.

- خلاص يا أخي، إنت زي قلتك، أنا هاخلي "محمود" باشا يتصرف. سلام.

قالها "نبيل" وهو يقود سيارته وبجواره "نور"، فقد كان يفكر في شيء جنوني وغير منطقي، فقد كان "نبيل" ماهرًا في مجاله. كان يعرف

كل من يعمل في هذا المجال الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي، لذا كان يعلم مهارة "الوحي" ومختلف الصفحات التي يمتلكها، وكيف يستطيع التحكم بها في الرأي العام، فقد امتلك "الوحي" صفحات الجنس، والدين، المسلم منها والمسيحي، حتى المشاهير، لم يسلموا شره.

هذا بينما ظل "هشام" شارد الذهن، لا يعلم ما تخبئه الساعات القليلة القادمة، وإن كان يعلم أن كل هذا كان من توابع قرارات "الوحي" الطائشة، خاصة مع دخوله لعبة السياسة وإن كان قد اتفق معه سلفًا أن السياسة خط أحمر.

***

- خط أحمر يا "سامي".

قالها "هشام" وهو يجلس في غرفة مكتب "سامي" الداخلية بالمهندسين، كانا يجلسا سويًا على الأريكة التي كان "سامي" قد أخذها معه من بيت عمه، عندما انتقل إلى هنا، كان يتفاءل بها، فقد كانت بدايته معها تحوي الكثير من الذكريات، كانت اريكته وسريره، كان يشعر انها بيته، كما كانت تحتوي على خزانة داخلية، وكان يخبئ بها الكثير، كما كانت هي تخبئ له الكثير ايضًا، فلقد كانت رفيقته في النهاية، كان "سامي" يحصي رزمة من الدولارات، بينما كانت قططه

الأربعة تجلس على الأرض بجوارة.

- يا باشا ما أنا عارف، أنا ماليش دعوه بالسياسه من زمان، إحنا زي الفل كده والحمد للّٰه.

أنهى "سامي" العد، ووضع الدولارات في مظروف أبيض وأعطاها لـ "هشام".

- أربعة تلاف دولار يا باشا.

- دول بتوع نوفمبر؟

- أيوه يا كبير، لسه ديسمبر مخلصش.

وضع "هشام" المظروف في جيب جاكيت بدلته ووقف، في الوقت الذي أضيئت فيه شاشة الكمبيوتر الكبيرة ببعض الإشعارات، فخطف "هشام" نظرة فضول، وكانت الإشعارات لصفحة الفنان الموهوب "مصطفى إمام"، فتعجب "هشام" وسأل في فضول:

- هي صفحة "مصطفى إمام" بتاعتك إنت برضه؟

ضحك "سامي" ووقف وذهب ليحضر لوحة المفاتيح اللاسلكية.

- يا باشا أصل الواد حلو، عامل شغل كويس، بس هو غلبان، مكنش عارف اللي فيها.

- إيه كان معترض؟

قالها "هشام" بينما كان "سامي" منشغلاً بالرد على رسائل المعجبات وطلبات التوصية، ثم أعلن ان "مصطفى إمام" يقرأ مجلة شبابية جديدة، ليجد الشباب يتهافت على صفحة تلك المجلة المغمورة، في متابعة عمياء.

- مكنش فاهم يا باشا، هو يطول يبقى عنده صفحه موثقه بإسمه وعليها أربعه مليون (فان)؟

بدأ "سامي" يتصفح ردود فعل ما كتبه عن المجلة الجديدة.

- وعملت معاه إيه؟

- أبدًا يا باشا، قلتله على النظام، يا يشتريها بعشرتلاف دولار، أو يسبنا نكمل المصلحه وهو يبقى في الصوره.

- ضيف شرف يعني؟

ضحك "سامي" والتفت إلى "هشام":

- إسماللَّه على مقامك.

قالها "سامي" في اسخفاف، ليينظر له "هشام" نظرة غضب ولوم، ليتراجع "سامي" قائلاً.

- قصدي على مقام حضرتك.

- طيب ولو مرضيش؟

قبل ان يرد "سامي" تحقق من رسالة ارسلتها صفحة تلك المجلة المغموره، لتشكره ثم تأكد من تحويلها ٢٠٠ دولار إليه، ليبتسم مواصلاً حديثه.

- واللّه لو موافقش يا فندم، هاغير إسم الصفحه وأخليها، لامؤاخذه "السيكي بيكي ميكي"، وخليهم بقى يدوروا على "ميكي".

قالها وضحك، بينما ظل يتراقص في سعادة وهو يتابع:

"السيكي بيكي ميكي، السيكي بيكي ميكي، يا سلام" ليتركه "هشام" مبتسمًا، ناسيًّا همه، دون أن يلاحظ هذه الكاميرا السقفية التي كانت ترصد وتدون كل هذه الأحداث.

***

خرج "هشام" من وزارة الداخلية ليُحضر "ماجد" إلى "نبيل" في اضطراب شديد، فلا يعرف ما سيكون لهذا الموقف من توابع!

***

اتجه "خالد الشيمي" إلى "صلاح السيد" الذي كان لا يزال جالسًا في صالة الانتظار.

- مساء الخير حضرة النايب.

ظل "صلاح" ينظر للرجل في تعجب!

- أنا "خالد الشيمي" يا فندم.

تعرف "صلاح" على الاسم حسب الاتفاق، ليتابع "خالد":

- إتفضل يا فندم في مكتبي دقايق وكل حاجه هاتبقى جاهزه.

توجه كلاهما إلى غرفة "خالد" الصغيرة، بطابق بانورامي علوي. ظل "صلاح" يراقب منه الصالة الرئيسية للبنك، هروبًا من نظرات "خالد" الذي قال:

- والله أنا لما أستاذ "محمد" قالي إنك جاي بنفسك كنت في غاية السعادة، وقلت أساعد حضرة النايب بنفسي.

- "محمد" مين؟!

قبل أن يجيب "خالد" قاطع حديثهما طرق رجل للباب، فأذن له "خالد" بالدخول، ليتوجه الرجل إلى "صلاح" بالسؤال:

- تشرب إيه يا باشا؟

- ولا حاجه.

قالها "صلاح" بحزم، ليصرف "خالد" الرجل.

- معلش يا ريت نخلص الإجراءات بسرعة.

- يا فندم حضرتك مش هاتاخد معانا عشر دقايق، والله إحنا سعداء إن حضرتك هاتبقى عميل عندنا.

- لأ، أنا مش جاي أودع لحسابي.

- أنا فاهم فاهم، ماتقلقش خالص، دقايق وكل حاجه هاتكون جاهزه.

- هو حضرتك معاك الأسماء اللي هانودع لها؟

- آه يا فندم دقايق وكله هايكون جاهز قبل ما ساعتك تيجي خمسه.

***

الخامسة مساء

وصل "نبيل" و"نور" إلـى المشرحة. ركنا السيارة في فناء داخلي يفتقد للرصف، بينما من خلف بوابة الفناء الحديدية، كان هناك قطيع من القطط ترمقهما بنظرات قاتلة، خاصة هذا القط ذو العينين الصفراوين الذي كان يكشر عن أنيابه في استياء. توجها سريعًا إلى الداخل، فلم تكن "نور" معتادة على هذه الأماكن، كما كان "نبيل" قد نسي هو الآخر مثل هذه الأمور منذ فترة، دخلا بينما اصطفت القطط أعلى عمدان السور لتتسيد أحداث الليل بعدما هرب آخر خيط من ضوء النهار لتراقب المسرح في مواء مخيف.

من الداخل، عبرا منطقة الاستعلامات بعدما كان "محمود وهبة" قد انصاع لضغط "نبيل" في استخدام نفوذه ليتوسط له عند أحد الأطباء الشرعيين بالدخول، فتوجها بعد ذلك لينتظراه في رواق داخلي طويل يفصل بينهما وبين الثلاجة. فمسح "نبيل" الرواق بعينيه فلفت نظره ذلك الشخص الذي كان يقف في آخر الـرواق، لم يستطع "نبيل"

تصديق عينيه، حيث كان ذلك الشخص نحيفًا كثيف الشعر، يشبة "سامي" تمامًا، لم يستطع "نبيل" التأكد مما يراه، فبدأ يهرول ناحيته، تاركًا "نور" خلفه، والتي قد بدأت تسرع في خطواتها لتلحق به، من بعيد بدأ الشاب في الفرار من عيون "نبيل" متجهًا إلى آخر الرواق الذي لا ينتهي، كان يرتدي معطفًا أبيض يغطي به دماء ملابسه، حافي القدمين، يحاول جاهدًا أن يسرع في خطاه، غير أن المسافة بينه وبين "نبيل" كانت تقل شيئًا فشيئًا، إلى أن عبر الرجل أحد الأبواب، فأسرع "نبيل" أكثر حتى لا يفقد آثره، ومن بعده "نور" التي خلعت حذاءها لتواكب سرعة "نبيل" بقدميها الحافيتين.

لحظات مرت على "نبيل" كالساعات حتى وصل إلى هذا الباب الغامض وعبره، ليجد نفسه في ممر آخر وإن كان أقصر كثيرًا، لا يتعدى الأربعة أمتار، كان هناك باب من ضلفتين في مقابله، بينما كان هناك باب آخر في منتصف الممر من ناحية اليمين، تقدم "نبيل" ببطء بعدما أُغلق الباب خلفه تلقائيًا، ليلتفت إلى صوته في توتر، قبل أن يعاود "نبيل" النظر أمامه، ليلاحظ شيئًا ما موضوعًا أرضًا في منتصف الممر، ليقترب منه في حذر، ليجده "نبيل" المعطف الأبيض الملطخ بالدماء، وسط نظرات الشك والفضول اقترب منه "نبيل" أكثر ليتفقده، ولكن المعطف المسكون كان يتحرك هو الآخر، بدأ "نبيل" في سماع دقات قلبه المضطرب، وبينما هو يقترب أكثر من المعطف وساكنه، داهماه

هما في تحد بالاقتراب إليه، لم تسعف "نبيل" رباطة جأشة بل خانته، ليتقهقر خلفًا في رهبة، وإن لم يستطع رفع نظره عن دماء المعطف المسكون، كما كان ساكنه هو الآخر ينظر إليه ببغض وكراهية، فقد كان يريد أن يهاجمه في اللحظة المناسبة، إلا أن "نور" كانت قد فتحت الباب الذي كان خلف "نبيل" في الوقت المناسب، ليجد هذا القط الأسود ساكن المعطف سبيلاً للفرار ليتركهما وحيدين مع الدماء، انتفضت "نور" من حركة الشيطان السريعة، بينما جثى "نبيل" على ركبتيه ليتفقد المعطف الصغير، وهو ينظر إلى البابين الآخرين في حيرة، تخلص منها عندما خرج من الباب المقابل له، دكتور يرحب بقدومه.

- "نبيل" بيه؟

قالها الرجل ليريح قلب "نبيل" الخائف.

- أيوه يا دكتور أنا.

- أهلاً يا فندم. أنا اللواء "محمود" فهمني كل حاجه، إتفضل معايا.

لاحظ الرجل وجود "نور" في اندهاش، ليطمئنه "نبيل":

- "نور سالم" صحفيه.

غضب الرجل وقال:

- يا فندم حضرتك موجود هنا بصفه غير رسميه، وده عشان سيادة اللواء "محمود" صديقي.

- فاهمين يا فندم، ماتخفش حضرتك، إحنا مقدرين الثقه دي، وصدقني إحنا قدها.

لم يقتنع الرجل بكلام "نبيل"، ولكنه وافق عندما أمسكت "نور" بيديه في دفء قائلة:

- أرجوك يا دكتور أنا محتاجاك جدًّا، محتاجاك تثق فيا.

- طيب مفيش مشكله، أنا متأكد إنك تستاهلي الثقه دي، إتفضلوا معايا.

فتح الرجل الباب باستخدام كارت رقمي ليدخل ثلاثتهم. كانت غرفة تصل درجة حرارتها إلى الصفر، توضع فيها الجثث حديثة الوصول؛ ليقوم الأطباء بفحصها الفحص المبدئي، قبل أن تتوجه كل جثة إلى ثلاجة منفصلة على حدة في درجة حرارة أبرد. كانت الغرفة كئيبة، تدل على فحواها، فلقد كانت تحتوي على الكثير من الأسرة المتحركة، وكانت أربعة منها مشغولة بأربع جثث موضوعة عليها في أكياس بلاستيكية داكنة اللون، وكل منها ملحق بها ورقة صغيرة مكتوب عليها الرقم والبيانات وساعة الوصول. توجه الدكتور إلى أحد مساعديه قائلاً:

- رقم أربعه يا بني.

- هو حضرتك إتأكدت من الوفاه؟

قالها "نبيل" بينما ضحك الدكتور ساخرًا.

- أمال حطنهم هنا ليه يا "نبيل" بيه؟ إحنا في تلاجه.

- والسبب إيه؟

قالتها "نور" في دلال مصطنع.

- عيار ناري وجاري فحصه.

قالها الدكتور بينما كان مساعده قد توجه للضحية رقم أربعة ليكشفها لـ "نبيل" ليطمئن قلبه، وفي لحظات من الترقب، أزاح مساعد الدكتور الستار عن الغطاء البلاستيكي الذي يحمل الرقم المنشود. اقترب "نبيل" ولمس هذا الجسد البارد بدرجة الثلج، وتابع رفع غطاء الرأس، ليُصدم "نبيل" قبل أن يتكلم:

- ده مش "الوحي"!

جاءت كلمة "نبيل" كالصاعقة، خصوصًا على "نور" التي اقتربت مضطرة.

- أيوه، دي مش جثة "سامي".

في لحظة من التوتر مرت على الدكتور ومساعده، توجها فيها إلى جهاز

كمبيوتر في آخر الغرفة، وبدأ في متابعة الكثير من البيانات، بينما كان "نبيل" يهمس لـ "نور" قائلاً:

- أنا كنت متأكد إنه بيتلعب بينا.

- بس هو مين يعني اللي بيلعب بينا كده؟

سألت "نور"، بينما توجه "نبيل" بنظره إلى الدكتور، ليزيد من توتره.

- ده اللي هانعرفه دلوقتي.

قالها "نبيل" وهو يقترب من الدكتور في لحظة من الغضب، بينما استمر الدكتور في إدخال البيانات والكشف عن أخرى.

- "نبيل" بيه! معلش يا فندم إحنا عندنا لخبطه شويه، أنا مدخل حضرتك بس عشان مكالمة اللواء "محمود"، بس حضرتك لازم تمشي دلوقتي.

في غضب صرخ "نبيل":

- أمشي إيه؟ أنا مش ماشي غير لما أشوف الجثه.

ضغط الدكتور على زر يطلب فيه مساعدة، ولكن "نبيل" لم يكترث ورفع سلاحه عليه.

- يا دكتور، أنا مجنون، فين أم الجثه؟

كان الدكتور عاجزًا دون تواجد أفراد الأمن، فتابع محاولاً كسب بعض

الوقت، حتى هدأ أخيرًا قائلاً:

- موجودة يا فندم بس تقريبًا في الثلاجة التانية، أنا بس اتلخبطت اصل احنا كان عندنا شغل كتير النهاردة.

- طيب هي فين دي؟

قالها "نبيل" بينما انقطع التيار الكهربائي فجأة، ليخيم الظلام لأكثر من ثلاثين ثانية من الصمت، على أربعة من الأحياء وأربعة من الموتى، ليستغل هؤلاء الأربعة تلك اللحظات، ليصولوا ويجولوا في المكان كاسرين قيود حبسهم، قبل أن يبدأ المُولد في العمل، ليستعيدهم مرة أخرى إلى محبسهم معيدًا القليل من الإضاءة الحمراء الاستثنائية للمكان، ليجد "نبيل" الدكتور عند الباب في محاولة فاشلة منه للهرب، فتابع "نبيل" توجيه سلاحه إليه قائلاً:

- بقولك إيه ماتجربنيش، هي فين؟

- الباب التاني، إتفضل معايا.

قالها الدكتور متوجهًا معهما إلى الغرفة المجاورة التي كان بابها مازال يتحرك، وكأن هناك من دخل للتو، تقدمهما الدكتور ودخل الغرفة ومن خلفه تابعاه "نبيل" و"نور" في توتر في ظل هذه الإضاءة المخيفة للمكان، أشار الدكتور لمساعده الذي كان قد سبقه، ليكشف الغطاء المرقم بأربعة واربعين، فكشفها الرجل، ليضع "نبيل" سلاحه جانبًا ،

ويكشف باقي الغطاء، ليجد نفسه أمام جثة "سامي" بالفعل، اختلست "نور" هي الأخرى نظرة تأكيد، في اللحظة التي دخل فيها أربعة أفراد من الأمن، ليشير إليهم الدكتور باصطحاب"نبيل" إلى الخارج بينما أعاد مساعد الدكتور إغلاق الغطاء، ليلامس جسد "سامي" يد "نبيل" التي شعر بدفئها، فأمسك "نبيل" يد المساعد ليمنعه من إغلاق الغطاء، ليتفحصه عن قرب، قبل أن يتدخل رجال الأمن الأربعة بتقييد "نبيل" لتخونه طلقة طائشة من سلاحه كادت أن تصيب أحد موظفي الأمن، لتسود لحظة من الترقب والرهبة، حتى اطمأن الجميع على سلامتهم، ليستعيد "نبيل" أنفاسه، ويهدأ مستسلمًا لرجال الأمن الذين طردوه خارجًا، بينما حاولت "نور" بخفة رفع الغطاء مرة أخرى، لتتأكد من شكوك "نبيل" وصدق حدسه المشوش، فلقد مرت عليه ساعات ثقيلة لم يذق فيها طعم النوم، ولكن يد الدكتور الباردة منعتها، بعدما تحرر من مفعول سحرها.

- أنا آسف، الزياره انتهت.

وجد "نبيل" و"نور" نفسيهما في الفناء الخارجي، بينما ظل حراس السور الأربعة والأربعون يرمقونهما في ارتياح، لينظر "نبيل" إلى هذه التماثيل الحية بانكسار، ليهرب من هذا المكان الميت حاملاً المزيد من الشكوك!

***

وصل "هشام" إلى بيت "ماجد"، وبدأ في طرق الباب بعصبية، ليسرع الأخير بالفتح.

- "هشام" بيه؟!

اغتصب "هشام" البيت بنظراته، وبدأ في التفتيش، حتى دخل إلى غرفة نومه، ليجد أن "ماجد" كان يحضر أغراضه للهرب، فاتجه إليه وبعصبية أمسكه من قميصه.

- إنت عايز تهرب ليه يالا؟

في خوف قال "ماجد":

- أنا هاروح لابويا يا باشا، أهلي برضه أوّلى بيا في الظروف دي.

- أهلك برضه، هو إنت تعرف حاجه عنهم أصلاً؟

بدمعة صادقة لمس بها "ماجد" قلب "هشام":

- هو أنا لو ما افتكرتهمش دلوقتي، هافتكرهم إمتى بس يا باشا؟ هو أنا عارف إنتوا هاتعملوا فيا إيه؟ أهو على الأقل يعرفوا إذا كنت ميت ولّا حي، بدل ما ابقى زي قطط الشوارع بيداس عليها وما يلاقوش حد حتى يدفنهم.

ترك "هشام" "ماجد" الذي جلس أرضًا يبكي خوفًا مما سيلاقيه في ساعاته القادمة، ليندم على هذا الطريق السهل الذي خطاه مع صديقه

الذي تخلى عنه وتركه وحيدًا بين أنياب النمور التي لا ترحم، دون أن يعطيه مخرجًا للهروب، فلقد كانا "المخ والعضلات"، وكان المخ قد ذهب؛ لتترك العضلات حائرة دون نفع! انحنى "هشام" على "ماجد" وقال:

- أنا هاصدقك يا "ماجد" وهاساعدك كمان.

مسح "ماجد" دموعه، ونظر إلى "هشام" في سعادة.

- إنت عارف طبعًا إن "الوحي" لسه بيتحرك ويمكن يكون لسه ما ماتش، وأنا هاصدق إنك ماتعرفش حاجه، بس بشرط واحد.

قالها في جدية زادت من رهبة "ماجد" قبل أن يتابع:

- إنت لازم تعرفلي هو فين.

لم يكن "ماجد" يعلم إذا كان ما يسمعه في صالحه أم لا، ولكنه كان يفتقر إلى الاختيارات، فأومأ برأسه مطيعًا.

- وأنا ليك عليا أوصلك بنفسي لأهلك.

- ربنا يكرمك يا باشا.

- بس دلوقتي يالَّا، إنت هاتيجي معايا، بس ماتخفش أنا هاحميك بنفسي.

وعده "هشام" بوعد كان صعبًا أن يفي به، قبل أن يخرجا سويًّا تاركين

حقيبة حياة "ماجد" مفتوحة على مصراعيها!

***

كانت الأخبار تتطاير في الشارع المصري، رغم سرعة الأحداث وضيق الوقت؛ نظرًا لانتشار التعليقات على صفحات المشاهير، ومن ثم القنوات الإخبارية التي انجرفت في الأحداث بعد خطف رجل الأعمال "ناصف شوكت"، ولكن السبب الحقيقي لانتشار صفحة "الوحي" كان ملامسته الجانب الحبيس في المجتمع، فعرض الصفحة كمُخلص من الظلم والقهر، استفزت مشاعر الكثيرين، فلقد انهالت آلاف الرسائل على "الوحي"، من بين مقهور أو صاحب مظلمة، طالبين منه القصاص لهم، وقد اكتشف "الوحي" كم الضغط الذي يعيشه الشارع! لم تكن الشكاوى سياسية أو اقتصادية، بل أغلبها اجتماعية لأقصى الحدود. كم من الرسائل المرسلة من زوجات يُردْن التحرر من حبس أزواجهن، أو من الرجال المظلومين من أرباب أعمالهم أو شركائهم! ليتيقن "الوحي" أن إصلاح المجتمع يجب أن يبدأ من البيت، من الأسرة، سبب الداء دائمًا، وهي أيضًا الدواء، فلكي ننهض بمجتمعنا يجب علينا النهوض بهذه الأسرة الصغيرة التي لم يلمسها العدل أو الدين منذ عقود كثيرة. كان "الوحي" قد أصبح المخلص أو المهدي المنتظر الذي يأمل الجمهور في أن يخلصهم من حبسهم، فكل منا ينتظر من يفك قيوده، ويحرر أسره. كان "الوحي" قد بات فكرة، وكانت

الكلمات الثلاث هي حديث المجتمع الذي انتبه، أنه قد جاء حقًّا وقت الحساب. فعندما قرأ "الوحي" هذه الرسائل، كتب شيئًا على الصفحة لجمهوره، الذي كان قد ارتبط به عاطفيًّا وبدأ يتساءل إن كان قد قُتل فعلاً أم لا! صمت برهة قبل أن يكتب شيئًا على صفحته:

"جمهوري العزيز.. رسائلكم تصلني، أقرؤها جميعًا، الوحي لم يمت، بل وُلد للتو، الأفكار لا تموت، اطمئنوا فقد جاء وقت الحساب".

***

شاهد الرجل رد فعل الجمهور قبل أن يتجه إلى ضحيته، الأولى، الذي كان قد استجاب أخيرًا للكلام، فلقد ظهر عليه الاختناق والانكسار. شغل الرجل الكاميرا دون أن يلاحظ "ناصف" ليسمع الجمهور الذي كان يشاهد (الفيديو لايف) اعترافات "ناصف" في تشوق لفهم الأحداث، فبدأ "شوكت" أخيرًا في الكلام.

- أنا أول مره عرفت "الوحي" كان من تلات أشهر، قبل الانتخابات، وهو بعتلي إنه عايز يمسكلي الحملة الإعلانية للصفحه، بس أنا طبعًا رفضت، بس هو أرغمني إني أوافق.

قالها وهو منكسر، فما هو بصدد الاعتراف به مؤلم حقًّاومُشين.

***

- مش قلتلك يا كبير إنه مش هايوافق.

قالها "ماجد" لـ "سامي" الذي استقبل الرد بمنتهى الهدوء، فقال لصديقه أن يترك له المجال ليتابع هو الحوار، فتخلى "ماجد" عن كرسيه، ليكتب "سامي" بثقة:

"صديقتي ماجي.. أعتقد أنك من تجيبيني الآن، أرجو منك التوجه لـ"ناصف" بك شخصيًّا، لتعلميه أني قادم لزيارته في شقة الزمالك في الرابعة عصرًا. برجاء عدم التأخر، فللوحي جدول مزدحم".

جاء وقع الرسالة كالصاعقة على "ماجي" سكرتيرة "شوكت" التي كانت تستقبل الرسائل من مكتب "شوكت"، فكيف علم المتحدث بأنها هي من ترد عليه الآن! شعرت "ماجي" بأهمية الرسالة، فتوجهت فورًا إلى مديرها الذي كان يجتمع مع موظفيه في غرفة الاجتماعات، فقاطعت "ماجي" الاجتماع وسط اندهاش الحضور، وتوجهت إلى "شوكت" وانحنت بجواره لتهمس في أذنه بما جاءها. ظهر على "شوكت" الرهبة فوقف وطلب من السادة الحضور الانصراف، ليقف وحيدًا بجوار "ماجي":

- مين الولد ده؟

- معرفش يا فندم.

- هو في حد غيرك يعرف شقة الزمالك؟

- لأ طبعًا.

في غضب أجابت، قبل أن ترتسم علامات التعجب على ملامحها.

- إنت بتشك فيا؟

بسرعة تراجع "ناصف" فلقد كان يعرف أن هذه هي نقطة ضعفها.

- لأ أبدًا، طيب إكتبي اللي هاقولك عليه بالنص.

- حاضر.

توجهت "ماجي" إلى مكتبها في جدية وخوف وكتبت:

"عزيزي الوحي.. شكرًا لاهتمامك، سنكون في انتظارك في الميعاد".

رد "سامي" بابتسامة وأنهى الحديث، ثم توجه إلى "ماجد" الذي كان مشغولاً بمتابعة أعمالهم من هاتفه، فجذب "سامي" انتباهه قائلاً:

- خلاص يا سيدي هاروح استلم العربون النهارده.

صُدم "ماجد" متسائلاً:

- ازاي يعني؟!

ترك "سامي" الكمبيوتر واقترب من صديقه الذي كان يجهل حقيقته وابتسم.

- "ماجد"، أنا "الوحي" مفيش حاجة معرفهاش، أنا أقدر أعرف كل حاجه عن كل الناس، ممكن حتى أقرا أفكارهم.

كاد "ماجد" يُبلل بنطاله من حِدة نظرات "سامي" القاتلة! قبل أن يتوجه بتلك النظرات إلى قططه الأربع التي كانت بدأت تلتف حوله، في موقف زاد من شكوك "ماجد"، حتى غاص "سامي" بنظره داخل عيون هذا القط الكبير، الذي كان يبتسم له في رضا.

***

وردت مكالمة غريبة إلى "محمود وهبة" من صوت إلكتروني مخيف، تعطيه معلومة غريبة، بقيام "ناصف شوكت" بإيداع مبلغ ضخم في حساب العقيد "نبيل" صباح هذا اليوم؛ ليظل "محمود" مشتتًا مما يسمعه، يجهل صدقه من عدمه، وإن ظل الشك حليفه في الساعات القادمة!



السادسة مساءً

كان اللواء "محمود" قد أنهى متابعته للأحداث، ثم بدأ بتوبيخ "نبيل" الذي قد عاد أخيرًا بعدما أوصل "نور" إلى سيارتها في الزمالك.

- إنت عارف اللي إنت بتقوله ده معناه إيه؟ دي مصيبه، لو "الوحي" لسه عايش ده معناه حاجه واحده بس.

سكت لحظة ليبتلع ريقه، ثم أكمل:

- إن إحنا كلنا بيتلعب بينا، أنا لازم أرجع لحد في النيابه أو كبير الأطباء الشرعيين، أما إنت يا "نبيل" فكفايه عليك كده.

- طيب يا "محمود" باشا لو سمحت إديني فرصه أخيره أكمل تحقيق مع "ماجد"، هو زمانه على وصول مع "هشام". أرجوك يا فندم.

لم يكن من طبع "نبيل" الاستعطاف مسبقًا، ولكنه كان مضطرًّا، فسمح "محمود" لـ "نبيل" بهذه الفرصة الأخيرة، ليصرفه ويتواصل هو مع النيابة، ليتحقق من حقيقة مقتل "سامي" من عدمه.

***

وجه الرجل الحديث إلى الضحية الثانية، مؤكدًا على قواعد اللعبة جيدًا.

- طبعًا إنت عارف كويس إنت هنا ليه، مطلوب منك تعري نفسك تمامًا، لازم تقول كل الحقايق، يمكن نعرف نفيدك، إنت شوفت الحوار الأولاني، يا ريت تقدم حاجه أحسن منه.

كانت الضحية الثانية لرجل ضعيف البنية، تبدو عليه الطيبة والملائكية التي عادة ما يفتقرها الرجال، حتى بمظهره، فهو ناعم البشرة والخدين، ذو شعر ذهبي طويل أشبه بقصات النساء، ضعيف النظر والشخصية. كان متوترًا وإن ظهر عليه الاستسلام، فهو يعرف قوانين اللعبة تمامًا، بل وقد شاهد اعترافات "ناصف" أيضًا، فلم يحتج إلى أي مجهود في الحديث، بل كان أسهل كثيرًا، فقد كان نادمًا على لقائه بـ "ناصف"، كما كان مشمئزًّا منه أيضًا، وقد أراد الجميع أن يعرف أنه ليس بسوء "ناصف"، ولذا قرر أن يقص حكايته كاملة، والتي انتهت بلقائه لـ "ناصف" ها هنا.

- إبدأ، إبدأ من الأول.

- حاضر.

من داخل محبسه رد برهبة واضحة:

- حاضر، أنا "محمد" موظف في بنك، قسم السندات والبورصة،

حياتي عاديه، أو يمكن أكتر من عاديه.

ولكنه سكت لحظة ليتذكر شيئًا ما ثم تابع:

- أو يمكن أنا كنت فاهم كده!

***

من داخل البنك، كان "محمد" يقنع أحد عملائه بشراء بعض السندات الأجنبية، التي تخص شركة أوروبية.

- بص حضرتك أنا الإيجنت بتاعك وعايز أساعد حضرتك بأقصى نفع.

رفض الرجل عرض "محمد" مدعيًا أنه قد خسر الكثير في البورصة مسبقًا.

- والنبي يا "محمد" كفايه بورصه، أنا خسرت فيها فوق الأربعة مليون جنيه قبل كده.

- يا فندم السندات دي حاجه مختلفه خالص عن أسهم البورصة، دي حضرتك بتشتريها لسنه مثلاً وبعد كده بتاخد أصل فلوسك بس بتكسب أرباحها، فمفيش (ريسك) زي البورصه، ده غير إن مكسبها ممكن يوصل لـ ٥٠٠ في الـ ١٠٠ أو أكتر. والله حصلت كتير.

- طيب هاذاكر الموضوع وهاقولك إنت ممكن تشتري بإسمي إيه.

- حاضر يا فندم، بس خلي بالك، البنك هو اللي بيشتري السندات بإسمه، لأنها مابتتعرضش على أفراد، والبنك بعد كده هو اللي بيوزع الأرباح على عملاؤه حسب نسبة شراهم للسندات دي.

ضحك الرجل وعلق قبل أن ينصرف:

- يعني لو السندات بتاعتي كسبت جامد أوفرلكم تموتوني وتورثوها انتم.

ضحك "محمد" وعلق أخيرًا:

- بعد الشر عليك يا فندم. أنا في انتظار رد حضرتك.

سرح "محمد" قليلاً في كلام الرجل ليرسم بخياله السيناريو الذي قاله الرجل للتو، وقبل أن يتوصل لفكرة، جاءه تليفون غير متوقع:

- مساء الخير أستاذ "محمد".

- أهلاً يا فندم مين معايا؟

- أنا الدكتور "علي الشناوي"، ممكن آخد من وقتك دقيقه؟

كان رقم الدكتور "علي" مميزًا، يعطي انطباعًا بمدى أهميته وجديته. توقع "محمد" أن يكون الرجل يريد منه نصيحة في العمل؛ فتقبل المكالمة بحماس.

- إتفضل يا فندم تحت أمر حضرتك.

كان "علي" يجلس في غرفة عيادته بشارع "هارون الرشيد". كانت غرفته غنية، مريحة للأعصاب، بها (شازلونج) يميز طبيعة عمله.

- أنا يا فندم دكتور أمراض نفسيه وعصبيه، وكنت محتاج حضرتك تشرفني في عيادتي، بخصوص موضوع يهمك.

لم يفهم "محمد" المطلوب، فرد باندهاش:

- والله يا فندم أنا مش عارف إيه اللي مخلي حضرتك متخيل إني ممكن أجيلك، أو ممكن يهمني أو يخصني عند حضرتك؟!

وقف الدكتور "علي" وتحرك ناحية شباك، يحوي منظرًا لفناء مدرسة النصر، وأكمل:

- أنا هوضَّح لحضرتك، بس أتمنى إن حضرتك تهتم بسرية الموضوع، على الأقل لغاية لما نتقابل.

بدأ "محمد" بالشعور بأهمية الوضع، فخرج من مكتبه، متوجهًا إلى الخارج، وهو يسمع كلمات الدكتور القاتلة.

- حضرتك يا فندم الموضوع يخص المدام عندك، هي بتتعالج عندي من فتره في سريه تامه، بس أنا حاسيت إن لازم حضرتك تبقى في الصوره.

من خارج البنك، لم يدرك "محمد" ماذا يفعل! فلم يكن يتخيل إطلاقًا

أن تكون زوجته تعاني أي اضطراب، فهي عاقلة جدًا، والأهم أنهما سعيدان جدًّا، فبدأ يمسك في خصال شعره الذهبية في توتر وتابع:

- حضرتك متأكد إنك تقصد مراتي أنا؟! أكيد ممكن يكون في تشابه في الأسماء.

- مش أستاذ "محمد أحمد عبد الفتاح" من بنك "سي إن بي"؟

سكت "محمد" وشعر بحالة إنكار رهيبة، أو بوجود خدعة ما، فشعر "علي" برد فعله وتوقعه، فأوضح:

- حضرتك يا أستاذ "محمد" أنا لقائي بيك مش هاياخد أكتر من دقايق معدوده ممكن ننقذ بيها بيت وأسره من الخراب، خصوصًا في وجود أطفال، حضرتك ممكن تدخل على (الفيس بوك) أو الإنترنت عمومًا وتعمل (سيرش) عليا، هاتعرف أنا مين بسهوله، تقدر تشرفني أي وقت، هتلاقي عيادتي مفتوحالك.

بس رجاء شخصي، لو حضرتك مش هاتيجي يا ريت ماتواجهش مراتك بالمكالمه دي، عشان أنا مش عارف ساعتها ممكن يحصل إيه!

أغلق الدكتور "علي" مكالمته مع "محمد" تاركًا إياه في حالة يرثى لها! ليدخل البنك ويتجه إلى مكتبه في صمت. جلس "محمد" مصدومًا ليجد نفسه أمام جهاز الكمبيوتر، فيدخل ليبحث عن اسم الدكتور، ليجده رجلاً مشهورًا وصاحب ندوات ولقاءات تليفزيونية كثيرة،

فاستبعد أن يكون ضحية نصب، فبدأ في تصديق الأمر على استحياء، فلم يستطع التحكم في فضوله، وأخرج هاتفه وطلب زوجته، ولكن هاتفها كان مغلقًا، فنفد صبره، وأخرج عنوان عيادة الدكتور "علي" من على الإنترنت، وترك عمله وذهب إليه ليقف على الحقيقة.

***

كان الدكتور "علي" مريح الهيئة، طيب الطباع، طويل القامة، أسمر البشرة، بشارب أبيض كثيف، ويمتلك عينين خضراوين ثاقبتي النظرة من خلف نظارته الذهبية، وعلى عكس سنه، كان يرتدي ملابس شبابية وعصرية نوعًا ما، ومن أمام مكتبه كان يجلس "محمد" في صمت متأملاً بعينه المكان، فلم يكن يتوقع أبدًا أن يزور طبيبًا نفسيًّا من قبل!

- أنا سعيد جدًّا يا "محمد" بيه على تحضرك وتفهمك للموقف، وده اللي خلاني أتصل بحضرتك، أنا عارف حضرتك كويس وكنت متوقع استجابتك.

أخرج الدكتور "علي" سيجارة واشعلها ثم قدم ل"محمد" واحدة الذي رفض، فلم يكن مدخنًا.

- أنا مش عايزك تتوتر خالص، أنا هنا عشان أساعدكم.

لم يهدئ كلام الطبيب من روع "محمد"، بل زاد من واقعية الموقف، الذي حاول عقله أن يدرجه تحت بند الأوهام أو الأحلام!

- يا دكتور أرجوك، بدون مقدمات طمني في إيه؟

- حاضر يا فندم، أنا مدرك صعوبة الموقف على حضرتك، بس ساعات المقدمات دي بتكون مهمه. أولاً المدام عارفه إن أنا هاكلمك، مع إنها كانت متحفظه شويه، بس هي حقيقي بتثق فيا.

ابتسم الدكتور ليخفف من توتر اللقاء وتابع:

- أصلي أنا راجل عجوز، وفي سن المرحوم والدها، وحضرتك عارف الستات بتصدق الرجاله الشاييه.

فشل الدكتور "علي" في فك توتر "محمد"، فتابع في وضوح:

- "محمد" بيه، مراتك مريضه عندي بقالها ست شهور، وهي بتشتكي منك.... نفسيًّا.

وقعت كلمات الدكتور على "محمد" كالصاعقة، هذا الشعور بالإنكار الذي يجعل العقل يعطي إشارة الاستسلام لباقي أعضائه، متخليًا عن دوره في القيادة، مستسلمًا للمرض أو الشلل، أو حتى الموت. تلك اللحظة التي يشعر فيها المرء باحتياج لحضن أمه ودعم أبيه، ليتذكر أن اللّه قد سلبه إياه منذ دهر. حاول عقله إعطاء فرصة أخيرة للمقاومة، فتحرك لسانه في صعوبة ليتساءل مرة أخيرة:

- حضرتك بتقول إيه؟!

- "محمد" بك، أنا عارف إن وقع الكلام ممكن يحرج حضرتك، بس صدقني، أنا كل همي هو إني أساعدك، وبالمناسبه، ده مش علشان مراتك مريضه عندي، لأ، ده عشان حضرتك تستحق حياة أفضل.

***

كانت الجماهير تتابع تطور الأحـداث، كما لو كانت تتابع المنتخب في نهائيات البطولة الأفريقية فكانت بعض الكافتيريات قد قاموا بتوصيل حواسيباتهم إلى شاشات التلفاز، ومن بين تلك الجماهير كانتا "سارة" و"نور" تتابعان الأحداث من أمام شاشة تلفاز كبيرة في كافتيريا الزمالك، بعدما ذهبت "نور" إلى "سارة" حسب اتفاقها مع "نبيل" حتى لا تتهور الأخيرة أكثر من ذلك.

- الموضوع كده شكله هايطول، أنا عايزة فيشار؟

ضحكت "نور" وأجابت:

- يا شيخة، ما إنتي لو تسمعي كلامي وترجعي معايا على البيت، هاعملك كل إللي إنتي عايزاه، بدل المرمطة دي.

- بقولك إيه أنا متعودة أقعد هنا بالساعات،ولا كأني في بيتنا، كل إللي إنتي محتاجاه موجود، ولا كهرباء تقطع ولا نيلة.

- هي الصراحة القعدة هنا حلوة، أنا ممكن بس أبقى أسيبك أغير هدومي وأرجع.

نظرت "سارة" إلى قميص "نور" الذي كانت تربطه من الصباح.

- يا سيتي شكلك كده حلو، هو مش ده القميص إللي إنتي اشتريتيه من عندي.

- مكنش قميص اشتريته منك ده هاتذليني عليه.

- هو إنتي نفعتيني بغيره من ساعة ما عرفتك أصلاً؟

ضحكتا سويًّا قبل أن تذكِّرها "سارة":

- فاكره أصلاً أول يوم اتقابلنا فيه؟

كانت "نور" تحاول نسيانه، بينما أصرت "سارة" على تذكره.

***

كان "تيتو" و"نور" يتجولان في محاولة لشراء بعض الملابس لابنهما "شريف"، ولكن "نور" لم ترضَ بأغلب المتواجد في السوق، فطلب "تيتو" منها الاستراحة قليلاً في إحدى الكافيتيريات التي تطل على الكورنيش، دخلا سويّا لتقع عيناها عليه، كما فعل هو، فقد كان "نبيل" و"سارة" سويًا في الداخل، على إحدى الطاولات، كانا قد حاولا مرارًا التنصل من اللقاء، فهما يعرفان جيدًا قواعد اللعبة، حاولا كثيرًا إنكار مشاعرهما، فلكليهما شريك آخر، فلقد اكتفيا في هذا الوقت بأن يعيشا حبًا عذريًا وعشقًا مخفيًا وألمًا منسيًا، ولكن مع اقترابهما من بعضهما جسديًا لم يعرفا المقاومة فكلاهما كان إنسيًّا، وليسا ملائكة،

لم يستطيعًا منع خطواتهما التي تتقارب كالمغناطيس، لم يفهما، لم يفعلا هذا رغم إدراكهما للقوانين واحترامهما لها، قاوما، حاولا، وفشلا وباقتدار، وإن كانت دائمًا هي صاحبة المبادرة.

بابتسامة توجهت "نور" إلى "نبيل" ناسية "تيتو" خلفها.

- أنا مش مصدقة نفسي، سيادة القائد "نبيل" عاش من شافك.

كان "نبيل" واقفًا بالفعل وهو ينظر إليها، دون أن يستطيع إخفاء سعادته.

- أنا اللي مش مصدق نفسي والله، ازيك يا "نور".

بعد لحظات من لقاء أعينهما تذكرا وجود شريكيهما، فقدم "نبيل" زوجته إليها.

- أحب أعرفك بنصي الحلو، "سارة" مراتي وأستاذة أزياء.

- أهلاً "نور".

قالتها "سارة" في غِيرة واضحة، فقدمت "نور" زوجها أيضًا.

- أهلا يا فندم فرصة سعيدة، أنا "نور" صحفية في اليوم الرابع، ودة "تيتو" نصي الوحش وصاحب شركة "ميديا إن" للإعلانات.

- أهلا يا فندم.

قالها "تيتو" مُحييا "نبيل".

- عقيد "نبيل مصطفى"، اهلا يا فندم، يا ريت تقبلوا ضيافتي.

- معلش يا فندم خليكوا على راحتكوا، احنا هانخطف حاجة (تيك اواي) ونمشي علطو..

قاطعت "نور" زوجها موافقة على الاستضافة مُحرجةً زوجها.

- مفيش مشكلة، ممكن نقعد معاكو شوية، لو مش هنضايق المدام.

- لا أبدًا يا حبيبتي، اتفضلوا، نورونا.

جلس أربعتهم،بينما كانا هما الاثنان في عالم آخر، عالم أنساهما واقعهما الأليم، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

- حضرتك فين يا مدام "نور"؟

كانت "نور" شاردة حتى انتبهت إلى سؤاله فاجابت.

- أنا موجودة واللّه يا فندم، بيجي بس أي تحقيق سقع كدة وهاتلاقيني عند حضرتك.

توجهت "نور" بحديثها إلى "سارة".

- أصل يا "سارة" هانم، أنا مش باظهر لجوزك غير لما أكون عايزة منه مصلحة.

ابتسمت "سارة" ابتسامة مصطنعة، والغيرة لاتزال تزعجها، ثم توجهت بالحديث ل"تيتو" الذي بدا عليه الشرود.

- أنا على فكرة يا فندم كنت شغالة في التسويق برضة بس "نبيل" بقى زهق وأعدني في البيت.

- تاني يا "سارة"، تاني نفس الموضوع، أنا برضة إللي أعدتك في البيت.

قالها "نبيل" في استياء، فتحدث "تيتو" ليقلل من حدة الحوار.

- والله يا فندم أحسن حاجة عملتيها، أنا أصلاً "نور" نفسها اقفل الشركة وابقى موظف.

ضحكوا جميعًا بينما قالت "نور" مدافعة.

- والله أحسن يا شيخ بدل الهم والخساير، أنا الصراحة باكره الشغل الخاص، أحلى حاجة الواحد يكون شغال في حاجة مضمونة وثابتة، ولا حضرتك رأيك إيه يا "نبيل" بيه؟

قالتها في مغازلة مخفية ل"نبيل" الذي استمتع بها، وإن اضطر إلى الادعاء بالعكس.

- والله يا مدام "نور"، أنا موظف وبشتكي برضه، محدش عاجبه حاله.

قالها وهو ينظر إليها نظرة ذات معنى، ليسكت أربعتهم عن الكلام دهرًا.

***

من داخل غرفة "نبيل"، ظل يعاود الاتصال بـ "هشام" في توتر، بينما كان يأكل وجبة سريعة، فلم يكن قد تناول شيئًا منذ الصباح وسط هذه الأحداث المتلاحقة.

- آلووو.

- أيوه يا باشا.

- يا عم "هشام" والله إنت اللي باشا، فين الزفت "ماجد"؟

- معايا أهو يا باشا، أنا بس كنت بخطف لقمه وداخل على حضرتك علطول.

- يا سيدي وهو ده وقته، يالَّا إنجز.

قالها "نبيل" وسند رأسه على المكتب ليهرب إلى قيلولة سريعة، ليرى فيها ما كان يحاول الهروب منه طوال يومه، فمن داخل محكمة شاسعة وواسعة، وسع الدنيا، وقف "نبيل" فيها ضئيلاً حبيسًا في قفص الاتهام، عاري الجسد كما ولدته أمه، بينما كانت شريكته في الجريمة عارية هي الأخرى بجواره تنتظر دورها في الحساب، وهي تعاتبه على ما آلت إليه الأمور، لم يستطع تحمل آلام جرح مخالب نظراتها التي نهشت جلده الهش، الذي استهلكته نظرات الحضور فلقد كانوا بالملايين، ينهشون في لحمه وهم يشاهدون محاكمته في استمتاع، يصدقون الحقائق المغلوطة، ويكذبون الصادق منها، فحاول الدفاع

عن نفسه، ولكنه كان عاجزًا عن النطق، فحاول أن يرسل إلى لسانه مذكرة الدفاع، ولكن لسانه كان حبيس فمه المعدوم، ليُحرم من النطق، بينما نطقت يداه بالاعتراف بما فعلت وسط ذهوله وعجزه، أما المستشارين فلقد كانوا ثلاثة، يتوسطهم رجل أسمر طويل بنظارة ذهبية في زي طبيب، بينما عن يمينه ويساره كانا مساعديه مختفيان في الظلام، وبينما مازالت يداه تعترف بجريمتها، أقر باقي أعضاء جسده بما كانوا يفعلون، ليحاول "نبيل" بترهم جميعًا حتى يتحرر من خطاياه، وقبل أن يذوب في عذابه، ظهر له محام، حافي القدمين اقترب من المستشارين والدماء تتساقط من قميصه الأبيض، تقدم في حركة رشيقة بشعره الكثيف، كان يمسك بوسادة الخيانة، محاولاً إظهار الحقيقة المؤلمة وهو يشير إلى أحد المستشارين، ليقف ثلاثتهم في تحدٍّ، لتختلط وجوهم بإضاءة المحكمة السماوية، وتنكشف، لينتبه "نبيل" إليهم جيدًا فهو يعرفهم جميعًا، ليستسلم لحكمهم، خاطفًا نظرة لرحم الخيانة الخبيث عن شماله، قبل أن يجثو على ركبتيه معطيًّا رقبته لمنفذ الإعدام مغمض العينين، ينتظر استئناف حكم ربه في رضا، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

وصلت "ماجي" إلى بيت الشيخ "يوسف" قبل الميعاد بدقائق، ليرحب بها، ومعه "صلاح السيد" بحرارة.

- فعلاً وشها منور يا أخ "صلاح".

- مش قولتلك يا شيخ "يوسف" وشها سمح.

- متشكره جدًّا، إنتوا بس اللي عينكيوا حلوه واللّه.

قالتها "ماجي" قبل أن تجلس في ضيافتهما.

- يا ترى الشيك بتاعي جاهز؟

- وحضرتك مستعجله كده ليه؟ إحنا قدمنا السبت زي ما طلبتي.

- يعني إيه؟

- يعني إحنا لسه ما شوفناش حاجه.

- أمال البلد كلها مقلوبه على إيه؟

- أيوه بس إحنا لسه ماشوفناش حاجه.

- هاتشوف ماتخافش.

- طيب، خلاص هاتلنا الفيديو.

- قلتلك نص الليل.

- طيب يبقى ندفع نص الليل.

- بس ده مكنش اتفاقنا.

قالتها "ماجي" ووقفت منفعلة.

- يا جماعه صلوا على النبي.

قالها الشيخ "يوسف" ليحسم الجدال.

- المواضيع مش مستاهله، إحنا يهمنا نكسبك قبل كل حاجه، إنتي اقعدي معانا شويه وهاتقومي من هنا مرضيه، اقعدي بس وصلي على النبي.

جلست "ماجي" لتسمع إلى همس الشيطان الذي كان يرمقهم من بعيدٍ في سعادة ورضا.

***

السابعة مساء

قاطع بث "الوحي" ذكريات "نور" و"سارة"، فتوقفتا عن الحديث، ووقفتا أمام الشاشة منتبهتين في محاولة لربط خيوط الأحداث، بينما كانت الضحية الأولى "ناصف شوكت" قد ظهر مرة أخرى ليتابع الحديث:

- كان لازم أوافق أقابله لمَّا لقيته يعرف شقة الزمالك.

- إشمعنى؟

سكت "ناصف" لحظة ليتذكر حادثًا مر عليه في صغره.

كان "ناصف" في الخامسة من عمره، وحيدًا بدون إخوة، وكان أبوه مزواجًا محبًّا للنساء، كما كان محبًّا للسيطرة عليهن، ليظهر جانبه الذكوري، حتى إنه كان يجمع بين زوجاته الثلاث في فيلا واحدة.

كان أبوه إقطاعيًّا، غنيًّا وذا سلطة واسعة. كان كثير السفر والترحال، فكان يزور القاهرة أيامًا قليلة، أما "ناصف" فكان يحب والده، ويتشوق

لرؤيته، ولذلك كان ينتظر مجيئه في سعادة بالغة، حتى يحتمي به من زوجات أبيه وقسوتهن، في ظل عجز أمه السلبية، والتي كسرها جبروت زوجها، وجمعه بينها وبين نزواته في نفس المنزل!

كان "ناصف" ينتقل إلى غرفة والده عندما يأتي إلى المنزل لينام إلى جواره محتميًّا بظهر أبيه، أما الأب فكان يعشق ابنه الوحيد ويفضله على جميع زوجاته، ولكنه لم يكن يعي أن "ناصف" لم يعد رضيعًا كما كان.

كان أبوه يأتي زوجاته في غرفته دون اهتمام لوجود "ناصف"، الذي كان يراقب أباه في صمت، ليشاهده وهو يصل إلي نشوته كل يوم مع إحدى زوجاته، وهو كان "ناصف" يدَّعي النوم، إشباعًا لتطفل الطفل الصغير الذي يريد أن يعرف كل شيء.

وفي ذلك اليوم كان أبوه يجامع أمه الرافضه له، ليقهرها بجبروته وقوته في مشهد صرخت فيه أمه من الآلم بينما تابع الأب اغتصابها، غير مبال لصرخاتها التي أيقظت "ناصف" ليكتشف الأب مراقبة ابنه، لأفعاله فيطرده الأب ويحرمه من التواجد بعد ذلك في غرفته، كما ظل فترة طويلة من الوقت، يقتله بنظراته المعاتبة لتصرفاته دون أن يلقي اللوم على نفسه بعدما ترك العنان لخيال ابنه، الذي لم ينس قط، بل ظل يتذكر الأب وعنفوانه مع آهات زوجاته الثلاث اللائي كنّ يستمتعن بقوة الأب وخبراته.

حاول "ناصف" نسيان هذه المواقف كثيرًا، ولكنها كانت محفورة في ذهنه، ليتذكرها الآن وهو حبيس مع "محمد" يجهل ما سيكون مصيرهما في الساعات المقبلة، فتنهد "ناصف" ونظر إلى "محمد" ليتذكر أول لقاء بينهما، كان هذا عندما قرر الذهاب إلى الدكتور "علي الشناوي" محاولاً إيجاد علاج لدائه.

***

كان الدكتور "علي" جالسًا يستمع إلى مريضه الذي كان يقص عليه مشكلته الزوجية، فلقد كان "ناصف" ينفر منها دائمًا، لم يكن يستمتع معها جنسيًا على الإطلاق، ولم يستطع مواجهتها أبدًا، حاول مرارًا وتكرارًا أن يجد متعة أبيه دون جدوى، تلك النشوة التي كان يشعر بها في أعين أبيه المغمضة، تلك الرعشة التي تهدئ من طوفانه، ليستكين بعدها إلا من هذه الأنفاس الهادئة، التي كان يخلطها مع دخان سجائره، تاركًا خلفه، شريكاته اللائي كن يحتضن وسادات السرير، ويضممن عليها بشفاههن، ليذُبن في نشوة الآلم الذي كان يشبع احتياجاتهن الشرعية، ليزدن من تعرية أجسادهن وعقولهن أكثر، برقصات وتنازلات لعله يتابع ما بدأه قبل أن ينتظرن أيامًا بعيدة حتى يُعاودهن مرة أخرى.

فهم "علي" ما كان يشير إليه "ناصف" ليسأله:

- إسمحلي يا أستاذ "ناصف" أقدر شجاعتك وجرأتك، قليلين أوي

اللي ممكن يواجهوا حتى نفسهم بمرضهم، حقيقي دي أهم خطوه في العلاج، المهم عشان أقدر أساعدك، إنت لازم تقولي كل حاجه ممكن تكون أثرت في تكوينك النفسي.

- ما أنا حكيت لحضرتك على اللي حصلي وأنا صغير.

- يعني حضرتك مفيش حاجه تانيه قابلتها وإنت صغير ممكن تساعدني بيها؟

ظهر على "ناصف" الانكسار والذل، ليضغط الدكتور "علي" أكثر في كلامه:

- أستاذ "ناصف" حضرتك عارف إنت هنا ليه؟ عشان أساعدك، وده محتاج شفافيه أكتر، يا ترى في أي واقعه معينه حصلت لحضرتك غير وجودك في غرفة والدك، ممكن تواجهني بيها؟

دمعت عينا "ناصف" فلم يجد مفرًّا من المواجهة، وتذكر ما جاء لسببه في الأصل، فهو يبحث عن الترياق، مهما كان الثمن، ليتذكر "ناصف" ما حاول أن ينساه مرارًا.

***

في سن الرابعة عشر كان "ناصف" يتابع كل دروسه جيدًا إلا دروس اللغة العربية فلم يكن يستهويها، ولذا كان يتخذ مساعدة من أستاذ "حسن" الذي كان يعطي مجموعات من الطلبة دروس تقوية في بيته

أسبوعيًّا يوم الجمعة، وكان "ناصف" أحد طلبة المجموعة الأربعة الذين داوموا على الحضور، كان أستاذ "حسن" يشبه كثيرًا والد "ناصف" الذي توفى قريبًا، كما كان يحنو عليه منذ ذلك الوقت، فلقد كسر اليُتم ظهر "ناصف"، الذي كان وحيدًا بين جدران الحياة بدون أخوة، ليظل حبيس أمه التي لم يكن لها حول ولا قوة، حتى إنها لم تكن تنتبه دائمًا لاحتياجات ابنها أو حتى مواعيده الدراسية، فمُهملة هي مكسورة الجناح، لذا كانت دائمة التأخر، تتركه ساعة أو اثنين بعد مواعيد دراسته ودروسه، كما كانت رافضة استخدامه للتاكسي كوسيلة للمواصلات وسط سخرية أصدقائه، وأبناء سنه.

لم يشتك "ناصف" أبدًا عندما كانت تنساه أمه بالساعات عند أستاذ "حسن" ليتابع "ناصف" مع المجموعة التالية، ليرتبط أكثر نفسيًّا بأستاذ "حسن"، ليشعر بالقوة التي سلبتها منه الظروف.

حتى جاء هذا اليوم الذي لم يكن هناك بعد درسه مجموعة أخرى، ليظل يقترب بنظراته إلى مدرسه المحبوب، والذي لم يكن يستحق لقبه، ليستغل جسد الضعيف في نزوة، أراح فيها نشوته المكبوته، نشوة راح ضحيتها عقل "ناصف" الصغير، الذي أصبح أسيرًا لدرس الغة العربية أسبوعيًّا، لتتشوه رجولته وأحاسيسه وسط أهات زوجات أبيه التي ظلت تحاصر سمعه.

***

دخل "محمد" غرفة الدكتور بعدما خرج "ناصف"، ليقص عليه الدكتور "علي" ما تدعيه زوجته وشكواها النفسية من ضعفه وسلبيته.

- يا دكتور أنا حاسه إني مش متجوزه راجل، أنا نفسي مره حتى يشتمني أو يلطشني بالألم.

قاطع الدكتور "علي" حديث زوجة "محمد" بحسم:

- لا أعذريني يا فندم، الراجل الضعيف بس هو اللي يمد إيده أو لسانه على مراته، إحنا كده بنخرج من الموضوع.

- يا دكتور ماتمسكليش على الحرف، أنا نفسي بس أحس إني ست وإني متجوزه راجل أطمن معاه، مش كل حاجه عليا، من أول فلوس البيت لغاية الشغل، طيب استنى يا دكتور أنا هاحكيلك.

***

من داخل بيت "محمد" كان يجلس على منضدة الطعام ومعه آلة حاسبة، يحسب التزاماتهم الشهرية.

- يا حبيبتي إحنا عندنا عجز جامد.

- عشان طلبات البيبي يا محمد.

في استهتار رد "محمد":

- طيب أنا كده مش هاقدر أدفع قسط العربيه.

- يعني إيه؟ إتصرف.

- أتصرف ازاي، أسرق يعني؟ ما انتي عارفه، شغلي على أده، بقولك إيه خدي فلوس من عندك وحطيهم على الحساب.

في ثورة ردت:

- حرام عليك يا أخي، أنا بقى شكلي زفت قدام عيلتي ونفسي والناس كلها، فين باقي الفلوس اللي كانت معاك؟

في ابتسامة مستفزة رد "محمد":

- ما إنتي عارفه.

- بذمتك ده رد راجل محترم؟ نفسي يا شيخ ألاقيك نافع في حاجه، ده حتى الشغاله اللي جايينها أنا اللي بدفع مرتبها، مابيفضلش حاجه أجيب بيها صباع (روج) حتى، بشتغل تمن ساعات في اليوم، وبجيب أد اللي بتدخله إنت في شهرين، نفسي أفهم مين فينا الست ومين الراجل!

في منتهى البرود رد "محمد" في دفاع:

- أولاً، البيت ده كبير علينا، وقولتلك قبل كدة نبيعه ونشتري حاجة صغيرة على ادنا، بدل النزاهة إللي ملهاش لازمة دي.

- عايزني ابيع البيت إللي ورثته عن اهلي يا "محمد".

- خلاص يا ستي إنتي حرة، بالنسبة لموضوع الشغاله، أنا قولتلك إني

واخد على الحاجات دي، وإننا مش محتاجين شغاله.

- يعني إيه، هاتكنس وتمسح؟

رد "محمد" بصوت منخفض:

- مش عيب، المهم إنتي ترتاحي يا حبيبة قلبي، أنا بحبك أوي بجد، ومش عايز أزعلك.

قالها وهو يقترب إليها بود، ولكنها نفرت منه.

- يا إبني إنت راجل، عارف يعني إيه راجل!

- طيب وإيه المشكله؟ إنا راجل على الدنيا كلها، لكن عليكي إنتي لأ.

في صراخ قالت وهي تتجه إلى الداخل:

- لأ، لأ يا "محمد" أنا محتاجاك راجل معايا أنا، إفهم بقى يا أخي.

في عودة لحديث "محمد" والدكتور "علي" اعترض "محمد" قائلاً:

- الفقر مش عيب يا دكتور، أنا مش ذنبي إن إمكانياتي محدوده وإن هي ربنا كرمها في شغلها وأنا لأ.

- لا يا "محمد" بيه إسمحلي، أنا مشكلتي مش في الفلوس خالص.

قاطع "محمد" الدكتور "علي" مرة أخرى قائلاً:

- طيب هي ماقالتلكش فلوس الشهر ده راحت فين؟

في إيماءة من الدكتور بالنفي، فاجأه "محمد" قائلاً:

- في أنسيال دهب جيبتهولها بمناسبة عيد جوازنا.

قالها "محمد" ودمع بحساسية يفتقرها أغلب الرجال، ليشعر الدكتور بأن هناك الكثير من جانب "محمد" لا يزال يجهله!

- إنت موضوعك كبير يا "محمد" روح دلوقتي ونتقابل الأسبوع اللي جاي، بس زي ما قولتلك خليك بعيد عنها.

في انكسار رد "محمد":

- بس أنا بيتي واحشني أوي يا دكتور.... وهي كمان وحشتني.

في ود ربت الدكتور على كتف "محمد" قائلاً:

- معلش يا "محمد" قريب أوي، قريب أوي كله هايبقى كويس إن شاء الله، إنت بس خليك عند والدتك اليومين دول لغاية لما أنا اهدي مراتك خالص.

قالها ثم نظر في عين "محمد" نظرة قوية يفتقدها، وتابع:

- إنت مش بتثق فيا ولّا إيه؟

كان "محمد" بالفعل يثق بدكتوره، الذي هو بالأصل دكتور زوجته، فقد كان يجد فيه حكمة الأب الذي يفتقده حاليًا أكثر من ذي قبل.

- ربنا يعلم يا دكتور والله أنا معنديش غيرك دلوقتي، بس بالله عليك ما تئذيني أبدًا.

قالها "محمد" في استعطاف للدكتور الذي ظن أن في يده خلاصه وإقناع زوجته بحبه لها، ثم خرج.

***

بعدما شاهدت "نور" و"سارة" بث "الوحي" الأخير، شعرت "سارة" بوحدتها، ولتزيد غيرتها من "نور" التي كانت تلاحقها اتصالات "تيتو" المتكررة في غياب من تواجد زوجها الذي لم يكترث لتركها بيت الزوجية على عكس عادتها.

- سبحان الله، كل مشاكل الدنيا دايمًا أصلها البيت.

ضحكت "نور" وردت.

- عندك حق، زي المعده كده، أصل الداء.

ضحكت "سارة" وعقبت:

- بمناسبة الدواء، معاكيش أي حاجه مهدئه، لحسن اليوم النهارده علالي الضغط وكل حاجه.

- طبعًا يا حبيبتي، وهو أنا أقدر أعيش من غيره؟ استني.

أخرجت "نور" من حقيبتها علبة لمهدئ، وأعطته إلى "سارة" التي

كانت مُتعجبة لما قد تحتاج "نور" إلى مهدئات، فليس لديها أية مشاكل تُذكر، فلديها المال والولد والزوج المحب المخلص!

- طيب تيجي نروح نتغدى ونرجع تاني،أنا مش بحب أكل الكافتيريات.

- طيب وإللي بيحصل؟

- إنتي صدقتي إننا بتفرج على التليفزيون بجد، أنا معايا (تابلت).

- بس نرجع تاني هنا.

- هانرجع.

***

- أظن مش محتاجين أكتر من كده عشان آخد فلوسي.

قالتها "ماجي" في ثقة، تستر بها ندمها على ما آلت إليه الأمور، فلقد شهدت للتو "ناصف" وهو يكسر نفسه أمام الجميع، بعدما وثق فيها وائتمنها على جميع أسراره. كانت نادمة، فبرغم جميع خطاياها، إلا أنه كان هناك بصيص من النور ما زال يحاول إيجاد ثغرة إلى قلبها.

- والله إنتي مش خساره فيكي حاجه.

قالها الشيخ "يوسف" وهو يحرر الشيك بابتسامة منتصر.

- إتفضلي يا سيتي الشيك بتاعك.

انتبهت "ماجي" التي كانت شاردة، لتأخذ الشيك وتقف.

- لأ إستني رايحه فين؟

قالها الشيخ "يوسف" وسط اندهاش "صلاح" الذي كان قد فهم أن المصلحة كانت قد تمت!

- خير يا شيخ "يوسف"؟

- كل خير، اقعدي بس.

لم تجلس "ماجي"، بل ظلت مترقبة، ليتابع الشيخ "يوسف" دون استحياء:

- أنا عايز أعرف إيه اللي هايحصل في نص الليل بالظبط؟

- ما قولتلك الفيديو هايتذاع.

- أيوه وبعدين؟

- ولا بعدين ولا قبلين.

- بس إحنا عايزين أكتر من كده.

- يعني إيه؟

- مش إنتوا مسمينها المحكمه الإلهيه؟

- تقصد إيه؟

- أقصد إنكم لازم تطبقوها فعلاً.

لم يكن "صلاح" يفهم ما يرمي إليه الشيخ "يوسف". فلِمَ يلوثون أياديهم طالما سيصلون إلى غايتهم دون حاجة؟! وقد تعجب أكثر عندما سمع ما يقدمه الشيخ "يوسف" من إغراءات:

- وأنا هادفع خمسه مليون جنيه عشان العداله تتطبق.

لم تستطع "ماجي" الصمود عندما سمعت الرقم، لتجلس في صمت وهي تخرج هاتفها لترسل إلى عشيقها برسالة نصية، بينما ظل القط يراقب شيطانها في سعادة بالغة.

***

ظل القط يراقب "نبيل" في مكتبه، ليترك الأخير هاتفه في حيرة من أمره، قبل أن يطرق "هشام" الباب وهو يصطحب "ماجد"، ليستريح "نبيل" أخيرًا وينظر إلى ساعته.

- ما لسه بدري الساعه بقت تمانيه.

***

الثامنة مساء

من داخل غرفته، كان "نبيل" يتابع تحقيقه مع "ماجد" الذي كان قد بدأ يثور بعدما شعر بدعم "هشام" نسبيًّا.

- باشا أنا عايز أعرف أنا هنا ليه بالظبط؟

- "ماجد".. بلاش الطريقه دي معايا، عايز تمشي إمشي، بس تقول على شغلك بعد كدة يا رحمان يا رحيم.

ظهر على "ماجد" التوتر، حتى أن "نبيل" قد شعر أن تهديده لن يفيد، فبدأ يتكلم بحدة أقل:

- يابني أنا خايف عليك، إنت عارف إن أكتر واحد ليه مصلحه في موت "الوحي" هو إنت.

في اعتراض واضح، دافع "ماجد" عن نفسه.

- ليه يا باشا ده كان صاحبي؟ ده أنا لحم اكتافي من خيره.

- لحم اكتافك إيه يا "ماجد"، إحنا هانستهبل؟ ما انا عارف كل حاجه، إنت غلبان، يادوب بتاخد حبة فكه، غير بس يمكن هو السيط.

- ما حضرتك عارف يا فندم السيط ولا الغنى.

وضع "نبيل" يده على كتف "ماجد" وتحرك به ناحية الكرسي، وأشار إليه ليجلس.

- ما أنا عارف يا صاحبي.

قالها وجلس أمامه في مودة مصطنعة.

- أنا عارف يا "ماجد"، بس هي الحكومه ماتعرفش، تعرف بس إن إنت الوحيد إللي هاتستفيد لما تبقى مكاسب "الوحي" كلها في جيبك، انت عارف ان صفحات "الوحي" دي انت اللي هتورثها كلها، ودي يا حبيبي تسوى ملايين.

ظهر التوتر أكثر على "ماجد"، بينما تابع "نبيل":

- لكن أنا حاسس إن "الوحي" ما ماتش، وإن إنت حرام تتبهدل لغاية لما نثبت ده.

شرد "ماجد" قليلاً، متذكرًا كلام "هشام"، ثم قال مفاجئًا "نبيل":

- صح.

- أفندم؟!!

قالها "نبيل" وهو يقترب من "ماجد".

- أنا شايف كل حاجه بتحصل من أكاونت "الوحي"، بس إنتوا اللي قلتولي إنه مات.

- إنسى.

بصوت مرتفع قالها "نبيل".

- طيب لو كده تسمحلي أوري حضرتك حاجه؟

قالها "ماجد" وأشار إلى جهاز الكمبيوتر، فتوقف "نبيل" لحظة وهو يرمق "ماجد".

- أنا هاثبت لحضرتك.

كان "نبيل" يحتاج لأي معلومة، فتوجه إلى الكمبيوتر ليدخل كلمته السرية "رقيا"، ليتذكر شيئًا ما.

***

كان "نبيل" مع "سارة" يقضيان شهر العسل في أسوان، كانا متحابين، لم يختبرا بعد قسوة الأيام، كانا في وسط النيل، من مركب يقودها عجوز أسمر البشرة، أبيض القلب والضحكة.

- نفسك في إيه يا "نبيل"؟

قالتها "سارة" من بين أحضانه تحت أشعة الشمس الدافئة.

- نفسي أجيب أربع عيال.

- إيه، متجوز بقره؟!

ضحك "نبيل" من قلبه وأوضح:

- أصلي طول عمري نفسي يبقى عندي اخوات.

- يا حبيبي، طيب ما أنا طول عمري زي أختك.

غمز لها وعلق:

- نعم يا ختي!

فضحكت في كسوف.

- "نبيييل"!

- إيه اللي "نبيل"؟ أنا طول عمري عيني عليكي وإنتي في بيت عمي، وعارف إنك بتاعتي وهاتبقي مراتي، عشان كده عملتك على إيدي.

- يا حبيبي، طيب خلاص أنا وافقت بعد الكلمتين الحلوين دول، بس هانسميهم إيه؟

نظر "نبيل" إلى معبد كانت معالمه بدأت تتضح من بعيد.

- أنا بحب الأسماء اللي أصلها فرعوني. إيه رأيك في "رقيا".

- ده قديم أوي.

- بس حلو.

- طيب والتاني؟

- "رومانا" والتالته "أناليا".

- يا "نبيل" دي أسماء غريبه أوي، وبعدين كلهم بنات. إيه هو أنا مش كفايه عليك؟

- لا يا حبيبتي، خلاص نجيب "آثر" في الآخر، يبقى واد لوحده كده عشان يبقى ديك البرابر.

نظرت "سارة" في عيني "نبيل" ودمعت قائلة:

- "نبيل".

- عيون "نبيل".

- هو أنا لو مخلفتش منك هاتسيني؟

- أنا!!

قالها "نبيل" في دهشة، مطمئنًا إياها بوعد أثقل ظهره وجهل حجمه، فإن السنين تغير النفوس، ودوام الحال من المحال.

***

- يا باشاا.

قالها "ماجد" من خلف "نبيل" الشارد وهو يراقبه بدقة، لينتبه الأخير ويقف معطيًا المجال لـ "ماجد".

- آه، معلش، إتفضل وريني.

جلس "ماجد" وأدخل حسابه على (الفيس بوك)، ليكشف لـ "نبيل" أسرار الصفحات، ليبدأ "نبيل" في التصفح، ويجد أن كل الأحداث السابقة، من صنع حساب (بيزنس) باسم "الوحي" بالفعل، وأن وجود مثل هذا النوع من الحسابات على الصفحة يعطي فقط صاحب هذا الحساب ملكيتها، كما يستطيع مالك هذا الحساب إضافة أكثر من مستخدم داخل نفس الحساب (البيزنس) وإن لم يكن "ماجد" واحدًا منهم، لتظل احتمالية وجوده حيًّا أقرب إلى المنطق، فلم يكن "سامي" يثق بأحد.

- شايف يا باشا، الحساب ده أنا عمر ما "الوحي" إداني إذن دخول عليه.

- إشمعنى؟

- عشان الحساب ده هو ملكية الصفحه.

- طيب هو كان ممكن يدخلك على نفس الحساب من تحته؟

- يا باشا "الوحي" عمره ما إدى الثقه دي لحد.

- طيب هي مش غريبه دي برضه إنه ما يدلكش إنت الثقه دي بعد كل

السنين دي؟

قالها "نبيل" رغم اقتناعه بكلام "ماجد".

- والله يا فندم زي ما قولتلك هو طول عمره غريب، بس إن شاء الله هايطلع عايش.

خرج "ماجد" من حسابه الشخصي، وترك الكمبيوتر وأغلقه، ووقف مكانه أمام مكتب "نبيل" الذي جلس ليتأكد من إغلاق الكمبيوتر، ليتابع التحقيق الذي قاطعه "هشام".

- "نبيل" بيه.

- أفندم يا "هشام"؟

- "محمود" باشا عايزاك.

في انزعاج تقبل "نبيل" الدعوة، وتركهما وذهب وهو يحسب خطواته التي قادته في ثوانٍ معدودة إلى مكتب "محمود وهبة" الذي كان منفعلاً في مكتبه، ينتظره ليصب عليه جام غضبه.

- بقى يا راجل يا محترم، ترفع سلاحك على دكتور طب شرعي، وكمان تضرب نار، إنت فاكر نفسك فين يا بني آدم؟! ده لو كان حد حصله حاجه، كنا كلنا روحنا في داهيه.

- ما هو يا فندم أنا قلتلك إن "الوحي" ما متش وإني كنت بح...

بقوة قاطعه "محمود" :

- مات ولا مامتش، إنت هاتشرح إيه يا محترم؟ إنت واضح إنك مش قادر تفهم اللي إنت عملته، إنت بتلعب بإسمي... "نبيل"...أنا آسف... إنت مو...

بينما كان "محمود" يبلغ "نبيل" بقراره، قاطعه "هشام" الذي دخل في توتر واضح وخبر مهيب:

- أنا آسف يا "محمود" باشا.

تعجب "محمود وهبة" من تدخل "هشام" بهذه الطريقة ودون استئذان!

- خير يا "هشام"؟

سكت "هشام" ونظر إلى "نبيل" بغضب وتابع:

- باشا حصل (شير) لبث "الوحي".

- طيب وإيه الجديد؟

- يا فندم البث المره دي حصل.

سكت "هشام" لحظة وهو ينظر نظرة قاتلة إلى "نبيل".

- حصل من صفحه من صفحاتنا.

وقف "محمود" منتبهًا، ليتابع "هشام" رصاصه:

- صفحه من صفحات الداخليه يا فندم.

نظر "محمود" إلى "نبيل" الذي كان قد هرول خارجًا من المكتب، بينما صرخ "محمود" بقراره:

- "نبيل" إنت موقوف، ملكش دعوه.

حاول "هشام" منع "نبيل" من الخروج، ولكنه لم يكن يعلم ما يتوجب عليه فعله في مثل هذه الظروف، فلم يشرح لـ "محمود" كل شيء بعد، فأسرع بالمعلومات كلها ليتلقى التعليمات.

- باشا الشير حصل من حساب....

- سكت ليه؟ ما تنطق.

- يا باشا الشير حصل من حساب العقيد "نبيل" نفسه.

في ذهول جلس "محمود" وبصوت ضعيف قال:

- الحقه.

- أفندم؟!

بصوت أكثر حزمًا توجه إليه "محمود" قائلاً:

- بقولك الحقه بسرعه وهاتهولي هنا.

- حاضر يا باشا.

خرج "هشام" بسرعة، بينما كان "نبيل" قد وصل إلى مكتبه ليبحث عن "ماجد"، ظنًا منه أنه اكتشف كلمته السرية عندما استخدم جهازه، ولكن "ماجد" كان قد اختفى، فتوجه بحديثه إلى العسكري الذي كان واقفًا خارج مكتبه.

- فين ماجد؟

- ماجد مين يا باشا؟

- الزفت اللي كان هنا.

- أيوه يا فندم "هشام" باشا روَّحه.

- بقف.

قالها "نبيل" ثم صفع الشرطي المسكين على وجهه، بينما انتبه "نبيل" إلى "هشام" الذي ظهر يهرول ناحيته من آخر الرواق، وكان يقترب منه مسرعًا، فهرب منه "نبيل" تاركًا العسكري شريد الذهن، بينما انتهز "نبيل" الزحام ليختفي عن الأنظار، ليصل "هشام" إلى الشرطي ويسأله:

- قالك راح فين؟

- والله يا فندم ماخبرش.

- بقف.

قالها "هشام" ثم صفع الشرطي المسكين على وجهه، دون أن يفهم شيئًا!

استمتع "هشام" بفرار "نبيل" الذي كان دائمًا يحصد تعبه ومجهوده ليتذكر ما كان يحدث في شماتة.

***

- "هشام" أنا عايزك تفهم إحنا بنعمل كده ليه.

قالها "نبيل" وهو جالس على مكتبه، بينما كان "هشام" جالسًا أمامه وهو يحمل ظرفًا صغيرًا.

- باشا أنا مش عايز أفهم، أنا بس يهمني رضاك عليا.

قالها "هشام" وأعطى الظرف إلى "نبيل" الذي أعجبه رضوخ "هشام".

- لأ يا "هشام" إنت لازم تفهم.

قالها وأخرج بعض دولارات كانت في الظرف.

- كام دول؟

- دول أربع تلاف دولار بتوع نوفمبر، ديسمبر لسه ماخلصش.

- ماشي الكلام وده يا سيدي الألف بتاعك.

قالها "نبيل" وهو يعطي بعض الدولارات إلى "هشام".

- يا فندم أنا معملتش حاجه، ده كله بتوجيهات سعادتك.

- لأ يا "هشام" طباخ السم بيدوقه، عارف يا "هشام"إحنا بندفَع العيال دي فلوس ليه؟

قالها "نبيل" وتحرك تجاه "هشام" واستند إلى المكتب.

- ليه يا باشا؟

- عشان يعملولنا حساب، عشان يحبوا النظام، عشان مايحصلش زي قبل كده، ده نوع من أنواع الاحتواء.

اتجه "نبيل" إلى الكرسي المقابل من "هشام" وتابع مؤكدًا كلامه بكلتا عينيه:

- التبعيه يا "هشام"، يبقوا وراك مايبقوش قدامك.

في صدق وافق "هشام" سيده.

- أستاذ يا باشا والله، أنا كل يوم بتعلم منك.

- وإنت تلميذ نجيب يا "هشام"، وهايبقى ليك مستقبل كبير، بس المهم تحافظ على السريه، وأفضل أنا دايمًا بعيد عن الصوره.

- يا باشا أنا رقبتي فداك.

- عارف يا "هشام"، عارف، ربنا يديم المعروف.

***

أكمل "ناصف" حديثه للدكتور الذي كان يدون تعليقاته، على ورقة بيضاء تخص مريضه، من داخل (دوسيه) كتب عليه رقم أربعة وأربعين.

- طيب يا "ناصف"، كملي عملت إيه بعد كده؟

- اشتريت شقة الزمالك.

قالها "ناصف" ليتذكر مأساته.

***

من داخل شقة الزمالك، كان "ناصف" يجلس ومعه "ماجي" التي كانت تداعبه، وتراقصه مرتدية ملابس ساخنة، حافية القدمين، تتمايل بجسدها الرخيص، لتعرض كل ما تملك، بينما كان "ناصف" يشعر بالملل، فاقتربت منه، وهمست بأذنه مطمئنة إياه بمفاجأة أثارته.

- بجد؟!

- أنا عمري وعدتك بحاجه وخلفت بيها؟ ادخل استنى جوا.

قالتها وهي تغمز له، ليدخل هو منتشيًا لوعدها، لتقف هي وحيدة بالصالة، فانتعلت حذاءها من أمام البار، ثم سكبت لنفسها كأسًا وشربته، ثم نظرت إلى ساعتها، وقبل أن تخرج هاتفها، سمعت الجرس، فتوجهت إلى الباب لتفتحه، لتجد رجلاً مريبًا كانت تعرفه،

لتسرع "ماجي" بإدخاله، قبل أن ترحب به وتعطيه بعض النقود، ثم أشارت له إلى غرفة "ناصف" الذي كان مستلقيًا في الداخل عاري الجسد، ليدخل الرجل لينهي عمله في صمت، بينما توجهت "ماجي" مرة أخرى إلى الصالة، لتجلس تشاهد التلفاز في برود.

***

من غرفة العدل أنهى "ناصف" حديثه وهو يشعر بالعار، وقبل أن يبدأ "محمد" دوره في الحديث، شرد فيما حدث له منذ أيام قليلة.

فقد كان "خالد الشيمي" وهو أحد مديري "محمد" ومن صناع القرار في البنك قد استدعاه مرة أخرى، فذهب إليه "محمد" في قلق، ليجالسه في غرفته الصغيرة بالطابق البانورامي العلوي.

- أهلاً أهلاً يا "محمد".

مد "محمد" يده وحيّا "خالد" في قلق، وجلس أمامه. لم يطل الرجل الحديث، وكان جريئًا، فلم تكن المرة الأولى التي يعرض فيها مثل هذا العرض على "محمد"، وإن كان الإغراء هذه المرة أقوى بكثير.

- أهلاً يا فندم خير؟

- ماتقلقش هو خير.

- شوقتني يا فندم.

وقف الرجل وانتقل للكرسي المقابل إلى "محمد" ليدخل في صلب الموضوع.

- "محمد" أنا عارفك بقالي أد إيه؟

في اندهاش رد "محمد":

- سنتين يا فندم تقريبًا!

- طيب أنا هاكلمك بوضوح.

- إتفضل.

- أنا عارف احتياجاتك وظروفك ومشاكل بيتك.

- وأكيد تعرف كمان نزاهتي.

قالها "محمد" ليصد مقدمة "خالد" بوضوح.

- أنا عارف، وعارف إنك طيب وبتحكي معانا كلنا.

- ربنا يخليك يا فندم، ما إنتوا عيلتي.

- ما عشان كده أنا جايبلك فرصه، متجيش في العمر إلا مره واحده... أو ممكن ماتجيش خالص.

انجذب فضول "محمد" لمعرفة ما يرمي إليه "خالد" رغم رفضه مرارًا لأي عمل خارج، ورفضه لمئات الألوف من الجنيهات.

- حضرتك شوقتني يا فندم.

- فاكر العميل اللي إنت أقنعته يشتري سندات (الكيو سيفن)؟

- أيوه يا فندم، دي ماشاء الله كسبت خمسين ضعف.

- بالظبط كده، يعني التلاتة مليون جنيه بقوا حوالي ميه وخمسين مليون جنيه.

في فخر أجاب "محمد":

- الحمد للّه.

سكت "خالد" برهة وأشعل سيجارًا كان معه، وقدم إليه آخر، غير أنه رفض، فهو لم يكن مدخنًا.

- عارف يا "محمد" العميل ده فين؟

- هو كان في لندن بيتعالج يا فندم.

- بالظبط كده، بس ربنا ما أرادلوش النجاه.

تذكر "محمد" حديث الرجل له قديمًا، وكأنه كان يشعر بذلك، وبدأ يفهم ما كان يرمي إليه "خالد" في الحديث.

***

لم يكن "نبيل" يعرف إلى أين يتجه، ولكنه كان يفهم أنه قد أصبح

هاربًا! فقد كان يعرف جيدًا ما فعله في الساعات الماضية عندما ذهب إلى "سامي" بالأمس. كان "نبيل" مرهقًا مشوشًا لا يعي ما يفعل، فلم ينم منذ ساعات طويلة، كما كان يشعر بالألم، فقد بات هذا العقيد مطاردًا بعدما كان هو الحق والعدل، فشعر فجأة باحتياجه إلى "سارة" فاتصل بها وهو مقهور:

- آلو.

كانت "سارة" تتناول الغداء مع "نور" في أحد مطاعم الدقي، فوقفت وابتعدت عنها لتجيب.

- أيوه!.

- وحشتيني.

لم تصدق "سارة" ما تسمعه! ولكنها استمتعت به.

- خير يا "نبيل" في إيه؟!

- ولا حاجه، أنا بس عايزك تسامحيني.

- على إيه ولَّا إيه يا "نبيل"؟

قالتها "سارة" وهي مندهشة مما تسمعه!

- على كل حاجه يا "سارة".

قالها "نبيل" وهو يحاول إيجاد مخرج لما هو فيه، ليتذكر أن ضالته في

إيجاد "الوحي"، فلعله لم يمت، ليستيقظ "نبيل" من هذا الكابوس، ولكن كيف يكون "الوحي" حيًّا؟ هل يمكن أن تكون يداه قد أخطأت؟! كان "نبيل" يتمنى ذلك، كان يتمنى أن يتأجل الحساب ولو ليوم واحد، حتى يستطيع إصلاح الكثير، فلقد كان يحتاج إلى الوقت ليعطي "سارة" ما كانت تستحق من حب ومودة، فدائمًا ما يندم المرء على ما لم يفعل، أكثر من ندمه على أفعاله في الحياة!

- كل حاجه!

قالها "نبيل" وأنهى اتصاله لتعود إلى طاولتها شاردة، وهي تنظر إلى "نور" وهي تفكر فيما تفعله! هل تكمل في عنادها، أم تعود إلى المنزل وتنهي هذه الحرب؟

- في إيه يا "سارة"؟

- ولا حاجه ده "نبيل" بينكد عليا كالعاده.

***

ظل "محمد" يقص على الدكتور تفاصيل حياته، بينما كان الدكتور يدون ملاحظاته في ملفه بدوسيه أربعة وأربعين. كان "محمد" يشرح له ما أدانته به زوجته مرة أخرى من سلبيته في العمل.

- بعد ما اشتغلت في البنك عشان أرضي مراتي، إتعرض عليا أكتر من

مره أبيع ضميري.

- ازاي؟

- أنا ماسك قسم السندات.

- بورصه يعني؟

- أيوه يا فندم بس السندات غير الأسهم، هاشرحهالك ببساطه.

كان الدكتور "علي" مستمتعًا بالمعلومات التي ظل "محمد" يقصها.

- السندات دي الزباين بتشتريها عن طريق البنك، أو شركات معينه للبورصه، مش مفتوحه للأفراد.

- وبعدين؟

- البنك هو اللي بيشتري السندات بإسمه، وبيوزع المكاسب للزباين حسب كل واحد متعاقد مع البنك في شراء إيه.

- طيب وإنت في إيدك تعمل إيه؟

- لوحدي ولا حاجه.

سكت "محمد" لحظة قبل أن يتابع:

- بس لو معايا حد من أصحاب القرار، ممكن يحصل تلاعب شويه.

- ازاي؟

كان الدكتور "علي" متشوقًا لمعرفة الحيلة.

- يعني لو حضرتك اشتريت سند كسب عشرين في الميه، وأنا اشتريت سند كسب ٥٠ في الميه، ممكن ببعض الإجـراءات المعقده يحصل تلاعب.

- بس ازاي العميل ما يخدش باله؟

- في ساعات ناس مابتبقاش فاهمه.

- يعني لو العميل صاحي مستحيل يحصل حاجه؟

- بالظبط كده.

ابتسم "محمد" وقال كلمة أخيرة:

- لو صاحي.

***

ظلت "ماجي" شـاردة وهـي تجوب الكورنيش ذهـابًا وإيـابًـا، بينما كان هذا القط إلى جوارها كظلها، فظل يرمقها وتقاومه، فقد كان "ناصف" رب عملها، وإن كانت تعلم أنها خانته، ولكنها كانت مضطرة. كانت خياراتها شبه معدومة، خاصة أن تلك الخيانة كانت ردًّا على إهانته لها في ساعات الصباح الأولى، أما الآن فهي تحاول الخروج من حبسها، ولكنهم كانوا قد أغروها بخمسة ملايين من الجنيهات، ثروة

بكل المقايس، فنظرت إلى هذا القط الذي ظل يذكِّرها بهذا الشيك بحقيبة يدها، لتخرجه وتمعن النظر إليه، في نظرات من النهم يملؤها الطمع، قبل أن تخرج هاتفها وتتصل بعشيقها.

***

ظل "نبيل" شاردًا بعدما أغلق مكالمة الهاتف، فلقد زاده الإرهاق تشويشًا. كان بسيارته متوقفًا في انتظار وحي أفكاره، ظل يحاول إيجاد المكان الذي يمكن "للوحي" نشر كل ألاعيبه منه -إن كان مازال حيًّا- ليهبط عليه "الوحي" بما نسيه، منزل "سامي" القديم، أو عمه، ليتذكر أن "ماجد" كان قد كتب له العنوان، فبحث في جيب قميصه عن الورقة في لهفة، ليجدها أخيرًا في جيب بنطاله، ليبتسم "نبيل" ويشعر ببريق أمل، ويتوجه إلى العنوان المذكور، ليلفت انتباهه هذا القط الذي أشار له إلى شيء أخير، فلقد كان مكتوبًا في أعلى الورقة اسم "وحيد القط"، فنظر "نبيل" نظرة أخيرة إلى هذا القط الغريب الذي اعتلى مقدمة سيارته وهو يصرخ فيه في تحدٍّ من خارج الزجاج، ليرتبك "نبيل" ويسرع بتشغيل السيارة ممسكًا الورقة بشماله، ليغطي أصبعه الكثير من الحروف، عدا الحروف الثلاثة الأولى لاسم "وحيد" المكتوب، فتعجب "نبيل" وهو يقرأ الاسم المكتوب بوضوح "وحي"!

***

التاسعة مساء

- خمسه مليون جنيه يا شيخ "يوسف"؟!

- ولو طلبت عشرة مليون هاندفعملها.

قالها الشيخ "يوسف" وهو يقف من داخل منزله المظلم.

- طب ليه يا شيخنا؟ ما إحنا كده نقدر نقول لنفسنا مبروك، ده الراجل ماطلعش راجل يا سيدنا، ليه بقى الدم؟!

ضحك الشيخ "يوسف" واقترب من "صلاح" الجالس على أحد كراسي الصالون.

- هايفضل تفكيرك ضيق وقلبك خفيف يا "صلاح" يا اخويا.

- طيب فطمني يا كبير.

اقترب الشيخ "يوسف" من إحدى النوافذ لينظر إلى القاهرة من طابقه العلوي كاشفة سحرها، ليقول:

- إحنا بنلعب سياسه يا "صلاح" وإنت وأنا والبلد كلها عارفه إن السياسه ملهاش دين، السياسه ليها نظام، وطول ما هايبقى في نظام، لازم هايتخلق تنظيم، النظام والتنظيم دايمًا هايبقوا بيحاربوا بعض لغاية يوم الدين، ودايمًا هايفضل النظام بيجمع معلوماته من الشارع، ودايمًا هايفضل التنظيم بيستمد معلوماته من جوا النظام نفسه، عشان يهز صورة النظام مره تانيه قدام الشارع، وإحنا مش هنلاقي فرصه أحسن من كده نهز بيها الثقه في النظام.

وقف "صلاح" محييًا قائده:

- واللّه يا شيخنا بنتعلم منك دايمًا.

في شرود تابع الشيخ "يوسف":

- كاس وداير يا صاحبي، كاس وداير.

***

توجه "نبيل" إلى بيت عم "سامي" بعد أن حل الليل، ليقف هو خارج المنزل في تردد، فلم يرد "نبيل" عمل بلبلة، لذا قرر التسلل إلى الداخل وإن لم يكن في حاجة إلى ذلك، فلقد لاحظ أن باب الحديقة لم يكن موصدًا بإحكام، فراقب "نبيل" الشارع الهادئ ثم ركل الباب بقدمه، ليُفتح على مصراعيه. راقب "نبيل" الشارع مرة أخرى قبل أن يتسلل إلى الداخل في خفة مغلقًا الباب خلفه.

لم تكن إضاءة الحديقة مُشغلة، إلا من كشافات صغيرة موجهة من أعلى غرفة "سامي" معطية انطباعًا أنها قلعة محصنة، تترقب قدوم العدو. اقترب "نبيل" أكثر ليجد قبيلة من القطط تحيط بغرفة "سامي" فلم يستطع إخفاء رهبته وأخرج سلاحه، فلقد قتله الإرهاق مسبقًا. من بعيد شاهد "نبيل" أربع قطط ضخمة تعتلي سطح الغرفة، وعندما رصدت خطواته، بدأت جميعًا في الصراخ، كقادة الجيش الذين يقومون بتشجيع جنودهم، وبث الرعب في نفوس أعدائهم، وقد نجحوا في ذلك، فلقد زرعوا الرعب في قلب "نبيل" الضعيف قبل أن تُغلق الكشافات جميعًا فجأة، لتترك الخيال إلى "نبيل"، الذي قد بات فريسة سهلة لأصحاب مملكة الليل. مع اقتراب تلك العيون من "نبيل" فقد السيطرة على أعصابه، وبدأ في إطلاق النار بعشوائية، ليُفتح باب الغرفة فجأة، كاشفًا عن ظل أسود لشخص ما يظهر من داخل إضاءة الغرفة الحمراء، ليوجه "نبيل" سلاحه إليه وهو يهرول ناحيته، ليرفع الظل كلتا يديه إلى السماء، لترتسم ابتسامة نصر على وجه "نبيل".

***

- طيب وإنت عملت إيه يا "محمد"؟

قالها الدكتور "علي" وهو يدون ملاحظاته.

- رفضت طبعًا يا دكتور، يعني إيه أسمح إن البنك يكتب السندات

بإسمه، ويحول المكسب ليه، ونرجع أصل الفلوس بس للعميل؟

- طيب وليه لأ؟

- يا فندم دي تبقى سرقه، نرجع أصل الفلوس وزياده حبه مكسب وناخد إحنا الباقي.

- طيب وهو كان في حد غيرك والعميل يعرف؟

- لأ.

- طيب هو البنك كان هايعمل إيه بالظبط؟

في سعادة بطولية بسط "محمد" ظهره على الكرسي وتابع:

- كانوا هايودعوا الفلوس، ويكتبوا السندات بإسم البنك، ويشتروا للعميل سندات تانيه كسبت عشره في الميه بس.

- طيب إنت ما شكتش يا "محمد" إن ممكن يكون مديرك هو اللي كان هايودع الفلوس ليه هو مش للبنك؟

توقف "محمد" برهة ليتابع:

- وهو الراجل ده كان هايجيب المبالغ دي منين يعني؟ خالد ده موظف برضه.

- طيب وبعدين؟

تنهد "محمد" وقال:

- كل مره برفض بتوقف فتره عن العمل.

قالها ودمعت عيناه قبل أن يتابع:

- أنا تعبت يا دكتور، كل الناس عايزاني أنا أعمل كل حاجه، كل الناس بتزعل مني وبتلومني، أنا تعبت من الاضطهاد، أنا مظلوم، مظلوم في البيت وفي الشغل وفي الأصحاب، حتى أبويا ظلمني ومات قبل ما يوقفني على رجلي.

نظر الدكتور "علي" إلى "محمد" من أعلى نظارته، ثم تابع تدوين ملاحظاته في صمت.

***

كان "نبيل" قد اقترب أكثر وهو لا يزال يوجه سلاحه إليه. لم يكن "نبيل" يميزه بعد، حتى تراجع صاحب الظل خطوتين إلى الوراء ليكشف النور ملامح وجهه، لينتبه إليه "نبيل"، فقد كان يعرفه بالفعل. تابع "نبيل" خطواته إلى الداخل، ليتأكد من ملامحه، بينما كان صاحب الظل ما زال واقفًا رافع اليدين.

- خير يا باشا وحشتك؟!

***

أخيرًا تكلم الدكتور "علي" شارحًا لـ "محمد" مشكلته في سطور كتبها له في ورقة بيضاء.

- شوف يا "محمد"، الدنيا ما بتمشيش كده، إنت عايش في جنينه، جنينه ليها سور، إنت مش شايف اللي برا السور ده، مش عارف إن في حراميه ونصابين كتير، المشكله مش في مراتك يا "محمد"، المشكله فيك، إنت اللي لازم تخرج من دور الضحية.

قاطع "محمد" الذي كان منتبهًا لكلام الدكتور:

- الضحيه؟!

تنهد الدكتور وأعطى "محمد" الورقة وهو يقرأها له عن ظهر قلب.

- قلل شعورك بالاضطهاد، بطل تلعب دور الضحية، بطل تستمتع بيه، الشعور اللي بوصفه دايمًا بالمخدرات، اللي بتمتعك حبة وقت بس وبعدين تدمر حياتك وتخليك أسير ليها، أصحاب الشعور ده يا "محمد"، بيتمتعوا بيه، عشان بيصدقوا إنهم بيلعبوا دور المفعول به، ما بيمتلكوش شيء، كل الناس خانتهم، محدش راعى عشرتهم، بتحس دايمًا إن الكل مقصر تجاهك، وكله واخد من حقك زيادة عن اللزوم.

وصل كلام الدكتور إلى قلب "محمد" الذي ظل يقلبه في رأسه مقتنعًا به نسبيًّا.

- طيب وإيه الممتع في كده يا دكتور؟

- هروب، عشان تصعب عليك نفسك، وماتحاسبهاش على تقصيرها، ده غير استعطاف الناس وإنت بتشتكي طول النهار من القتل النفسي اللي إنت بتتعرض له.

- طيب وإيه المشكله يا دكتور؟ ده مش مرض يعني.

- بالعكس، ده إدمان ماتقدرش تهرب منه، إنت بتحط الإحساس ده قبل أي علاقه بتخشها، إنت بتقنع نفسك إنك هاتتعرض للقهر كده كده، فعمرك ما هاترتاح في علاقه.

- يعني إيه يا دكتور؟

- يعني إنت اللي بتدي الناس السلاح اللي بيقتلوك بيه؛ عشان تفضل مستمتع بدور الضحيه، الاستمتاع بيه بقى إدمان عندك، عشان كده عمرك ما هاتعيش سعيد ولا هاتدخل في علاقات إنسانيه عميقه، دايمًا حزين على الفراق والوحده.

تنهد الدكتور لحظة وأخذ نفسًا عميقًا ليستريح من طول الحوار وتابع:

- "محمد" مشاعر الضحية اللي إنت بتغذي بيها نفسك دي بتاكل كل شيء حلو جواك، وهايفضل عندك إحساس إن مفيش حد هايديك حاجة حلوة من غير ما يستغفلك أو يحاول يكسرك.

في استسلام لحكم الدكتور سأل "محمد":

- طيب يا دكتور أعمل إيه؟ ساعدني أرجوك.

- عشان تعيش سعيد يا "محمد"، لازم تخرج من الشعور ده بسرعه، اللي ظلمك مش هايفرق معاه ألمك، إنضج يا "محمد"، ما تعممش خبرات ألمك حتى لو كانت كلها بشكل واحد، بس عشان تقدر تطلع من الإدمان ده أنا أفضل نوع معين من العلاج.

شعر "محمد" فجأة بالأمل واستفسر في لهفة:

- إيه يا دكتور؟

- "السَّيْكودراما".

***

كان ثلاثتهم يعترفون ويتكلمون، بينما كان رابعهم يحسن الإنصات. ظل يدون ملاحظاته في عقله الحبيس، كان يقتلهم بنظراته الشيطانية، نظرات القط في الظلام، يرى في العتمة نفوسهم. كان ذكيًّا، ولكنهم لم يدركوه، يشعرون به دون أن يلاحظوه. قرر أن يخرج عن صمته، بل قرر أن يحررهم من قيودهم، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

تابعت "سارة" و"نور" بث "الوحي"، من خلال جهازها اللوحي ليُكملا اعترافات "ناصف"، الذي كان قد استُهلك في الساعات الأخيرة، وإن

ظل يتكلم ويتكلم.

- مجلس الشعب، حلم أي حد، كتير نصحوني ومنهم الدكتور نفسه، بس أنا دايرتي كانت صعبة، ومليش جمهور كتير، بس السلطة كانت حلم، يمكن الناس كانت عايزاني أخوض التجربه عشان أنشغل أو اهتماماتي تتغير، ويبقى عندي مسؤولية أكبر.

بالفعل كان "ناصف" قد بدأ رحلة العلاج، بجانب رحلة الانتخابات التي كانت نسبة نجاحه فيها ضئيلة جدًّا، فقد كان يتوجب عليه أن يواجه عملاقين، مرشحًا واضحًا للدولة هو "ماهر الجمل" وهو رجل نظيف اليد وإن أُخذ عليه ولاؤه الزائد للدولة ونظامها، ومرشحًا آخر عن التيار الديني وهو "صلاح السيد"، كما كان هناك بعض المرشحين الآخرين مجهولي الهوية، لذلك كان الجميع يعلم أن مرشحي الدولة والدين هما أصحاب الفرصة الأكثر منطقية، فقد كانت حربًا ضروسًا بين "ماهر" و"صلاح"، تدخل فيها "ناصف" ليكتسب رصيدًا وخبرة دون أن يتوقع أية نتائج إيجابية في ظل جهل الكثيرين به، ولكنه كان يجهل أن ملصقاته التي كانت توضع على العقارات والشوارع ستجذبهم إليه، وخاصة هي، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

قبل المرحلة الانتخابية الأولى، كان "صلاح السيد" والشيخ "يوسف"

يجلسان بأرضية أحد المساجد يخططان سويًّا لخطة المعركة الانتخابية بمنتهى الاحتراف.

- فرق تسد.

قالها "الشيخ يوسف" وهو يسبح بمسبحته الفضية.

- مش فاهم يا مولانا.

ضحك "الشيخ يوسف" وتابع:

- طول عمر مخك على قدك يا أخ "صلاح".

- يا باشا خدامك وبتعلم منك.

في غرور أوضح الشيخ "يوسف":

- إحنا لينا تقل في الشارع، بس للأسف بقى في ناس كتير ضدنا، وأكيد هايتكتلوا عشان منكسبش.

- أيوه يا شيخ "يوسف" ده حقيقي.

- عشان كده إحنا لازم نفك التكتل ده.

- ازاي يا شيخنا نورني؟

- إحنا هانفرق صفوفهم، طبعًا إحنا مش قلقانين من الجوله الأولى، المشكله هاتبقى في الجوله التانيه.

- مش فاهم يا شيخنا! ما توضح الله يكرمك.

في ابتسامة شر، كان الشيخ "يوسف" مستمتعًا بفضول "صلاح".

- هايكرم إن شاء الله، إحنا قلقنا من مرشح النظام، "ماهر" اللي هاتكون فرصته كبيره.

- أيوه يا كبير، بس ربنا قادر عليه.

- قادر يا "صلاح"، إحنا هاندعم في الخفاء مرشح من طينتهم، ونحاول نخليه ياخد من أصوات مرشحهم الأساسي.

- تقصد مين؟

- "ناصف شوكت"، رجل الأعمال.

- بس ده فرصته قليله أوي.

- إحنا مش هانخليها قليله، الراجل معاه فلوس، وإحنا هانهاجموا ونستفز الشارع والمنطقه كلها، هانخلي مواقع التواصل الاجتماعي تطلعه بطل.

- طيب وبعد كده يا شيخنا؟

- لا ماتقلقش، إحنا بس نضمن إن هو اللي يبقى معاك في الجوله التانيه، وبعدين هانقدر نمسحه بأستيكه.

لم يستطع ذلك القط عبور المسجد ليحييهما، ولكنه اعتمد على

نفسيهما الضعيفتين، ليظل يراقبهما من بعيد.

***

من شقة الزمالك، كان "ناصف" و"ماجي" يجالسان "سامي" و"ماجد". كان أربعتهم يخططون للحملة الانتخابية في الأيام القليلة المقبلة.

- بص يا فندم، إحنا مش هانتدخل في شغلكوا خالص.

قالها "سامي" ليبتسم "ناصف" بسخرية:

- أمال عايز إيه، هاتشجعني بس؟

في ثقة، أكمل "سامي":

- باشا، ماتتريقش على شغلي ولا تقلل منه.

انتبه "ناصف" لكلام "سامي".

- أنا ورايا ناس كتير في الدوله، ولو اتعرف إني ماسكلك حملتك، هايتخرب بيتي.

- طيب يا سيدي إيه اللي راميك علينا يعني؟

قالها "ناصف"، بينما جاءته "ماجي" بكأس من الخمر ليهدئ من روعه.

- أنا هاخد من حضرتك مليون جنيه.

في غضب وقف "ناصف" ثائرًا:

- نعم يا روح خالتك!

وقف "سامي" هو الآخر مواجهًا لـ "ناصف"، بينما ظل "ماجد" منكمشًا لا يعرف لِمَ جاء هنا! وإن زاد إعجابه وغيرته من "سامي" الذي يصغره ببعض الشهور ولكنه، قارئ للأفكار، محرك للظروف، لا يردعه رادع.

- هاتدفع لما تكسب الانتخابات.

قالها "سامي" بثقة، ليُهدئ من عصبية "ناصف" الذي جلس قائلاً:

- إنت مش قلت ملكش دعوه بحاجه؟

- يا باشا أنا هاشتغل يومين، يومين بس، هانجحك فيهم في الجوله الأولى.

قالها "سامي" وهو يشير إلى "ماجي" لتجلب له كأسًا هو الآخر، فقد أحب الفكرة لتوه، ثم تابع:

- محدش هايعرف إني اشتغلت في المرحله دي على الأقل، لكن في المرحله التانيه، هاشتغل معاك في النور.

جلبت "ماجي" كأسًا إلى "سامي" الذي شربها من مرة واحدة؛ ليشعر

بالنيران في صدره، ليسعل قليلاً، لتضحك "ماجي" و"ناصف" سويًّا.

- أنا عاجبني حماسك، بس أنا مش هادفع مليم أحمر قبل المرحله الأولى.

قالها "ناصف" ليستر ضعفه؛ فهو لا يدرك ماذا يعرف "سامي" عن الشقة غير عنوانها، ولم يكن حقًا يريد مناقشة ذلك.

-يا باشا بعد ما تاخد الكرسي كمان.

في اندهاش أثار "سامي" إعجاب "ناصف".

- طيب ليه؟!

- يا باشا أنا عايز يبقالي ضهر، ومش هلاقي غيرك أتسند عليه.

في ضحكة مسموعة علق "ناصف":

- لا ياروح امك، إنت عايز ضهر ومليون جنيه؟

اشترك "سامي" وضحك "ناصف" وأعطاه كفه معلقًا:

- عليا النعمه يا باشا، إنت هاتبقى نايب مسخره.

واصل "ناصف" الضحك بعدما رفع التكليف وأعطى "سامي" الأمان وصدق ادعاءاته،فلم يكن لديه الخيار.

***

لم يفهم "نبيل" ما جاء به إلى هنا، وظل موجهًا إليه السلاح.

- طبعًا وحشتني.

- طيب وإيه لزوم السلاح ده يا باشا؟

- إنت إيه اللي جايبك هنا، وبتعمل إيه، وعلاقتك باللي بيحصل ده كله إيه؟

- يا باشا اللي جابني هو اللي جابك.

- إنت هاتصاحبني يا روح امك؟ أنا عفاريت الدنيا بتتنطط قدامي.

أنزل يديه وقال لـ "نبيل" في هدوء:

- طيب يا باشا روق بس وأنا هاحكيلك كل حاجه.

***

كانت خطة "سامي" بسيطة جدًّا، ولكنه كان قلقًا من "هشام" الذي كان قد وعده مسبقًا بعدم التدخل في السياسة، ولكنه كان مجبرًا وليس مخيرًا، لذا كان يجب أن تنجح خطته في أقل من ٤٨ ساعة، قبل أن يصطاده "هشام" بأنيابه.

كان "سامي" يعرف بسهرات المرشح "ماهر الجمل" مع المشاهير والراقصات، وكان عنده الكثير من المقتطفات التي تثير العامة إذا ما وُضعت في إطار استفزازي، مع إضافة بعض الحيل المركبة، ولكنه كان

يعرف أنه إذا ظهرت هذه الحيل على صفحاته سيكون محل تساؤل، لذا انتظر وراقب أداء حملة "ناصف" التي كانت ناجحة إلى حد كبير مع دعم الشيخ "يوسف" لها في الخفاء، ليبدأ نجمه في الصعود وإن كان لم يزل بعيدًا عن السباق، وخاصة "ماهر الجمل" الرجل الذي دعمه الكثير من رموز الدولة الموثوقين.

قبل يومين من الانتخابات، استطاع "سامي" الانتهاء من بعض الحيل المركبة على فيديوهات مسربة لـ "ماهر الجمل"، ومن ثم أرسلها في الخفاء إلى "صلاح السيد" مرشح التيار الديني، والذي لم يتهاون في نشرها على جميع صفحات التيار الديني وتابعيه.

ليصبح "ماهر الجمل" حديث الساعة، قبل أن يتدخل "سامي" بضربته القاضية في المشاركة بنفوذه وتسليط الضوء على هذه الفيديوهات على صفحات المشاهير وغيرها، لتنتهي فرصة "ماهر" وتتوجه أصوات مؤيديه إلى "ناصف"، رجل الأعمال الوسطي المستقل ومناهض التيار الديني، حسبما رسمته وسائل الإعلام وصفحات التواصل الاجتماعي، بفعل الشيخ "يوسف" و"سامي".

***

انقلبت موازين الدنيا عندما انتهت المرحلة الأولى للانتخابات باجتياز "ناصف شوكت" و"صلاح السيد" على حساب "ماهر الجمل" وباقي المرشحين، لتنهال التساؤلات على "نبيل" الذي أحرجته إدارته

ورجاله كثيرًا.

- إيه التسيب ده يا حضرة الرائد؟ هما دول العيال اللي إنت مسيطر عليهم؟

كان "هشام" محرجًا جدًّا من الإهانات التي يسمعها من "نبيل"، فحاول الدفاع عن نفسه قائلاً:

- يا فندم أنا متأكد إن العيال دي مالهاش في السياسه خالص، ولا هاتلاقيهم فاهمين حاجه.

- طيب يا سيدي لو هما مش فاهمين حاجه، سيادتك كنت فين؟

- يا فندم ملحقناش، كل حاجه حصلت بسرعه، والإعلام اتدخل بدري عنا بدقايق بس.

- أيوه يا حضرة الرائد، دقايق، بس الدقايق دي فرقت كتير، عشان هما شايفين شغلهم وإنتوا بتهرجوا. إنت عارف لو "صلاح السيد" كسب الدايره دي معناها إيه؟ معناها إن إحنا مخترقين يا "هشام".

قالها "نبيل" وهو ينظر إلى "هشام" نظرة ذات معنى في نفس كل منهما، ليدافع "هشام" عن نظافة يده قائلاً:

- مش هايكسب يا فندم، مش هايكسب.

***

- إنت هاتستعبط يا روح امك!

قالها "هشام" وهو يمسك "سامي" من قميصه في مكتبه بالمهندسين.

- يا باشا أنا مكنتش أعرف إن "ماهر" ده مرشح يهمكم، أنا لقيت الدنيا كلها بتتكلم عليه، فعملت زيهم، وبعدين يا باشا صفحات "صلاح" ده هما اللي نشروا الفيديوهات.

هدأ "هشام" وترك "سامي" وتابع:

- أنا هاموت واعرف ابن اللذينا ده جاب الفيديوهات دي منين!

سكت "سامي" وهو يرمق قططه المبتسمة، ثم قال:

- أكيد حد ابن حرام يا باشا، بس أنا هاعوض حضرتك.

التفت "هشام" إلى "سامي" مستهزئًا.

- ازاي يا اخويا، أنا اتمسخرت على اللي حصلي من وراك، وممكن الناس تشك فيا!

شرد "هشام" برهة ثم نظر إلى "سامي" وهو يقول:

- تصدق يا "سامي" يشكوا فيا أنا؟! فيا أنا يا "سامي"؟!

اقترب "سامي" من "هشام" وأمسك به ليجلس.

- ما عاش ولا كان اللي يقول عليك كلمه، بص يا باشا، أنا عارف إنهم

ممكن يعاتبوا حضرتك عشان الشغل اللي حصل عندنا، وأنا عارف إن الدايره دي مهمه عندكم، فأنا هاعوضك.

نطر "هشام" إلى "سامي" ليوضح الأخير:

- هما مش خايفين من مكسب" صلاح السيد"؟

- أيوه طبعًا مش محتاجه ذكاء.

- مش هايحصل يا باشا.

- ازاى؟!

في دهاء تابع "سامي":

- حضرتك لو أذنتلي إني أدخل وأمسك حملة "ناصف شوكت" تقدر تعتبر الموضوع خلص.

- إحنا قلنا بلاش سياسه يا "سامي"، السياسه خط أحمر.

- الضرورات تبيح المحظورات يا باشا، ده عشان نصلح اللي انكسر وارفع راسك، وأنا ليك عليا حضرتك تشرف على الموضوع بنفسك.

سكت "هشام" ليحسب النتائج.

- بس إنت عارف إن "صلاح" مش سهل، ده ممكن ياكل "ناصف" بسنانه.

- يوضع سره في أضعف خلقه، ويا باشا ما إنت معانا وأنا كمان هاخدمك.

- ازاي؟

- الفيديوهات اللي "صلاح" ركبها.

- مالها؟

- هاعرف أجيب أصلها، وده هايبقى مسمار في نعش"صلاح السيد".

كانت ابتسامة "هشام" كافية لموافقته على هذا المنعطف الجديد.

***

ظل "محمود وهبة" يشاهد اعترافات "ناصف" التي كانت تحرج الجميع في عجز تام، حتى قطع حبل أفكاره اتصال صديقه طبيب الطب الشرعي.

- آلو.

- إزيك يا باشا.

- واللّه لسه مكسوف من اللي حصل لحضرتك بسبب "نبيل" النهارده.

- ولا يهمك يا باشا، أنا بس الجماعه بلغوني خبر يهمك.

- خير يا دكتورنا؟

- الكشف المبدئي على "سامي" خلص.

- يعني هو مات فعلاً؟

- آه طبعًا يا باشا، مات وشبع موت، بس مش دي هي المشكله.

- أمال إيه؟

- بصمة السلاح اللي على الفارغ اللي اتلقى في مسرح الجريمه.

- ماله يا دكتور؟

- مطابق لبصمة الفارغ اللي اضرب من سلاح العقيد "نبيل" عندنا النهارده.

وقف "محمود" من هول الصدمة وهو يسمع هذه الأخبار! بينما تابع الرجل:

- أنا الصراحه شكي في تصرفات العقيد "نبيل" هو اللي خلاني أكشف على الفارغ.

كان "محمود" لا يزال شاردًا، بينما تابع الدكتور الذي كان في الثلاجة بجانب جسد "سامي" المغطى بهذا الغطاء البلاستيكي:

- باشا، الأخبار دي وديه ومش رسميه خالص، حضرتك فاهم طبعًا، شوف تحب أعمل إيه؟

قالها الطبيب ثم أغلق الخط، وكشف الغطاء عن وجه "سامي" مبتسمًا، بينما طلب "محمود وهبة" من "هشام" القدوم إليه مسرعًا، ليظل هو يدخن سيجاره فى شرود!

***

العاشرة مساء

- يعني إيه إنتوا اللي عملتوا الفيديوهات دي؟

قالها "نبيل" وهو يصوب إليه السلاح في عصبية أكثر.

- يا باشا إهدا والنبي السلاح ممكن يطول، حضرتك عارف إني عبد المأمور وإني مكنش ليا دور خالص.

- طيب كمل.. كمل بدل ما ادفنك هنا.

***

من شقة الزمالك كان اللقاء حارًّا بين "ناصف" و"سامي" ومساعديهما، بعد النجاح الذي تحقق في المرحلة الأولى، ليطيح "ناصف" بـ "ماهر الجمل" ويتصدر مركزًا ثانيًا، واضعًا نفسه في المرحلة الثانية في السباق. كانت ثقة "ناصف" بـ "سامي" قد كسرت كل الحدود، وأصبح يعامله معاملة مختلفة دون تكليف.

- باشا، "هشام" بيه اللي قلتلك عليه على وصول هنا، وزي ما قلتلك

إني معرفتكش غير من يومين.

ضاحكًا قال "ناصف":

- ماتخافش يا "سامي"، أنا بحب شغل الجواسيس ده أوي.

قالها بصبيانية ملحوظة، قبل أن يسمعوا جرس الشقة، لتفتح "ماجي" في أنوثة أثارت بها "هشام"، الذي توقف وظل ينظر إلى صدرها الممتلئ وقوامها الممشوق، ليغازلها بعض الوقت قبل أن يدخل.

***

من نفس المسجد مرة أخرى، كان "صلاح السيد" يستمع إلى توجيهات الشيخ "يوسف" في المرحلة الجديدة.

- أنا مش عاوزك تتبسط يا "صلاح" لسه الجوله الأخيره.

- يا كبير أنا مبسوط إني معاك، حد كان يصدق إن "ماهر الجمل" بنفسه يطلع من الجوله الأولى!

- بس لسه يا "صلاح"، أنا هاباركلك قريب لما تبقى على الكرسي رسمي.

تنهد "صلاح" متخيلاً مستقبله، ليحجِّم الشيخ "يوسف" من خياله.

- بس ماتنساش يا "صلاح"، إنت مجرد صوره، صوره يا "صلاح". فاهم؟

تذكر "صلاح" حجمه وأجاب سيده:

- يا باشا خدام، ورقبتي كمان.

- عشان كده إحنا بنحبك يا "صلاح".

- طيب يا كبير اللي جاي هانعمل فيه إيه؟

- الرسول الكريم قال إيه يا "صلاح"؟

- عليه أفضل الصلاة والسلام. قولي يا كبير.

- قال: "الحرب خدعة" وإحنا في حرب.

انتبه "صلاح" وأنصت جيدًا إلى كلمات الشيخ "يوسف"، الذي شرد بعيدًا وابتسم قائلاً:

- عشان كده إحنا هانحاربهم بنفس سلاحهم.

قالها بشيطانية؛ليبتسم له قطه من بعيد مؤيدًا.

***

تعارف "هشام" و"ناصف" في جلسة ودية، مليئة بالمسامرة والضحك، مع تمايل جسد "ماجي" أمامهم وشربهم للسجائر المحشوة بالكثير، والتي شارك بها "ماجد" في الحدث، حتى شعر "سامي" بالغثيان، ليطلب منهم استخدام المرحاض، تاركًا إياهم في نشوتهم الكاملة، ليدخل ويتجه إلى الغرفة الأخيرة خفية، فقد كانت خطته سليمة

وواضحة منذ البداية، فلقد "جاء وقت الحساب!"

دخل "سامي" غرفة نوم "ناصف" في خفة، ليجد على يساره مرآة، بها الكثير من البروزات الخشبية، استطاع أن يضع فيها كاميرته الخفية صغيرة الحجم، التي اشتراها بمئات الدولارات لمثل هذا الحدث، وقبل أن يلاحظوا تأخره خرج بسرعة، ولكنها كانت أمامه، تنظر إليه في شك وريبة.

- معلش! أنا مش عارف الحمام أني باب.

- ما هو قدام عينك، الأعمى يشوفه.

قالتها "ماجي" مشيرة إلى الحمام الذي كان أمامه، ليدخل هو قبل أن تتجه إلى المطبخ لتجلب بعض المزات.

دخل "سامي" إلى الحمام والعرق يتصبب منه، فلقد شعر أنه قد انكشف للحظة، فتوقف ليلتقط أنفاسه قبل أن يبدأ في تفقد هاتفه. ضبط "سامي" بعض الإعدادات، حتى وجد صورة الغرفة واضحة من أمامه على شاشة الهاتف الصغير، ثم خرج متوترًا، ليجد "ناصف" أمامه، فظن أن "ماجي" قد وشت به، فتسمر في مكانه، حتى تكلم "ناصف":

- إنت فين يا حبيبي؟ إنت كويس؟

اطمأن "سامي" لهدوء "ناصف" وتابع:

- يا باشا معلش تقلت في الشرب.

- طيب محتاج حاجه؟

- الصراحه آه.

في كرم رد "ناصف":

- إنت تؤمر.

- معلش عايز (الباسورد) بتاعت (النت) هنا.

ضحك "ناصف" في براءة.

- بس كده؟ ده إنتوا الجيل بتاعكوا ده مايقدرش يقعد دقيقتين من غير (نت)، إتفضل يا سيدي (الباسورد) أهيه "ماجي٢٠١٥".

قالها "ناصف" ليعطي "سامي" سلاح قتله، فقد أدخل "سامي" إعدادات الشبكة في هاتفه وأرسلها للكاميرا، ليطمئن من استطاعته كشف الصورة من الخارج بسهولة.

وبينما كانت "ماجي" تتراقص وهي ترمي "هشام" بأسهم من العشق المعسول، أمسك "ناصف" به ليتجها سويًّا ناحية البار ليحصلا على بعض الخصوصية.

- "هشام" بيه أنا مقدر جدًّا وجودك معانا هنا، بس أنا كان "سامي" قاللي إن حضرتك هاتقدر توصلني بحد من رجالة الدولة التقال، دي

إنتخابات إنت فاهم.

لم يفهم "ناصف" أنه يقوم بتوبيخ "هشام" والتقليل منه، ولكنه كان على حق، فـ "هشام" كان مجرد رتبة صغيرة، ولكنه كان على اتصال بالكثير.

- طبعًا طبعًا يا فندم، أنا هاوصل حضرتك بـ "نبيل" بيه وهو هايظبط لحضرتك كل حاجه.

قالها "هشام" وهو يشعر بغيرة من الرجل الذي يلتهم وجباته دائمًا، ولكنه اضطر إلى الاتصال به هاتفيًّا.

- "نبيل" بك.

- ازيك يا "هشام".

قالها "نبيل" بجدية وحزم، فقد كان ما زال غاضبًا من تلميذه الذي أساء عمله.

- يا باشا إنت لسه زعلان مني ولَّا إيه؟ طيب ده أنا حتى كنت بكلمك عشان أصالحك.

- تصالحني ازاي يا اخويا؟

ابتعد "هشام" بالهاتف وتوقف عند النافذة، ثم تكلم بصوت منخفض:

- باشا، أنا عند "ناصف شوكت".

- مين؟!

- زي ما بقول لحضرتك كده، أنا خليت "الوحي" يظبطلنا الدنيا، وقولت أسيب بقى لحضرتك (التاتش) الأخير، حتى قبل ما حد غيرك يخش في الصورة.

- واللّه برافو عليك يا "هشام"، واللّه وطلعت تلميذي بجد.

- حبيبي يا كبير، تقدر تنورنا دلوقتي؟

- دلوقتي؟!

- يا باشا حلاوتها في حموتها، خلينا راكبين المصلحة من الأول.

- طيب ماشي، بس إنت مشيلي "سامي" والعيال السيس دي، قلهم الكبير جاي.

- أوامر يا معالي الباشا.

أنهى "هشام" الحديث بعدما أعطى قائده العنوان، والتفت إلى "ناصف" وطمأنه، ثم اتجه إلى "سامي" قائلاً:

- "سامي".

وقف "سامي" واقترب من "هشام".

- أؤمرني يا كبير.

- خد الزفت بتاعك ده وامشي بسرعه.

- لا يا باشا، دي المصلحه بتاعتي.

نظر "هشام" إلى "سامي" نظرة صارخة، ثم قال:

- الكبير جاي يا "سامي"، الكبير جاي.

سكت "سامي" ليبتلع ريقه، ثم سأل:

- "نبيل" بيه؟!

- أيوه يا سيدي، وماتخافش حقك محفوظ وواجبك وصل، و"نبيل" بيه بيشكرك.

- يالَّا بينا يا "ميجو" لازم نمشي.

قالها "سامي" وهو ينظر إلى "ماجد" عندما علم بقدوم "نبيل"، فلم يكن يتمنى لقاءه أبدًا.

***

- آه يا ولاد الكلب!

قالها "نبيل" في عصبية، فلقد فهم ما حدث، استطاع فك طلاسم أغلب الأحداث، فلم يستطع كتم غيظه، فهو يعرف ما تم تصويره في هذه الغرفة جيدًا. ترك "نبيل" نفسه لشيطانه، الذي أطلق رصاصة

طائشة استقرت في رأس ضحيته، ليقع "ماجد" أرضًا، في غرفة أحلامه، التي رسم له فيها شيطانه كل أوهامه. ظلت عيناه مفتوحتين تستقبل نظرات هذا القط الذي ينظر إليه من الخارج، ليستقبله صديقه في عالم جاء فيه وقت الحساب.

***

في غضب هاجم الدكتور "علي" "محمد" على عدم انصياعه لأوامره.

- حرام عليك يا "محمد"، حرام عليك تعبنا ده كله.

في برود استفهم "محمد":

- في إيه يا دكتور؟!

- "محمد"، أنا مشيت معاك مشوار كبير في "السيكودراما" لغاية لمَّا فعلاً اتغيرت، وأنا اتدخلت وخليتك ترجع البيت لمراتك علشان قلت إن انت فعلاً اتغيرت.

في حالة من الضياع والشجن رد "محمد":

- أنا مش عايز أتغير يا دكتور، أنا لو اتغيرت ناس كتير هاتتئذي بسببي.

بنظرة ثاقبة اخترق الدكتور نفس "محمد".

- "محمد"، إنت مراتك زمان كانت بتشتكي منك نفسيًّا من سلبيتك، وأنا اتعاطفت معاك، بس دلوقتي مراتك، بتشتكي منك جنسيًّا!!

بحزم أكد الدكتور "علي" على كلامه.

- "محمد" لما الست بتشتكي من الحاجات دي، ده بيبقى مؤشر خطر، ممكن لا قدر الله يوصلنا لمصيبه.

انتبه "محمد" لحديث الدكتور، الذي أراد أن يقلل من حدة الحديث.

- بلاش مخك يروح لبعيد، أضعف الإيمان ممكن توصل للطلاق، اللي ممكن يكسرك في المرحله دي يا "محمد"، أنا عارف قد إيه إنت بتحب مراتك.

لم يرد "محمد"، في إشارة أكدت للدكتور أن هناك ما لا يزال يجهله!

- في إيه يا "محمد"؟ أنا الدكتور بتاعك ولازم تفهمني في إيه عشان أعرف أساعدك، أنا يمكن طلبتك النهارده لما مراتك جاتلي واتكلمت معايا، كنت بكلمك من وجهة نظر مراتك، اللي هي مريضه عندي في الأساس، لكن إنت ببصاتك دي بتخوفني، في إيه يا "محمد"؟!

دمعت عينا "محمد" بحساسية مفرطة:

- مش قادر أخون.

- تخون مراتك؟! مع مين؟!

- لأ، مش مراتي يا دكتور، أنا مش قادر أخون اللي خطفت قلبي.

سكت ليتلقى أنفاسه قبل أن يتابع:

- مقدرش أخون الإتنين، مقدرش، أنا مش خاين.

في ذهول أعاد الدكتور ظهره للخلف، ليدخل في عالم جديد.

***

- بحبك.

- باعبدك.

- مكنش المفروض نتقابل.

- أنا مقابلتكش، إنت ملاك.

- لأ، أنا شيطان.

ضحكت هي في نفسها، فهي تعرف كلاً منهما.

- أبدًا، إنت كل كلمة كنت بتقولها كانت بتخترقني، طاقتك كانت بتوصلني بطريقه فظيعة، عايزة أقعد عمري كله أسمعك، مش عايزه حتى أنام.

- إنتي اللي شوفتيني في الوقت اللي الناس كلها كانت بتعدي جنبي زي السراب، أول مره ألاقي حد شايفني كده، كنت عريان قدامك، مكنتش عايز أغطى نفسي.

- دي كانت قوانين اللعبه، بس إحنا كسرناها.

- لأ، الشيطان اللي كسرهالنا، أنا مش هاخون، عشان أنا عمري ما كنت خاين.

- إنت أعظم إنسان قابلته.

- وإنتي أول حد أقابله.

- أول حد يشوفك.

- أول حد يلمسني.

- إنت ساحر.

- كنت، كنت ساحر، كنت مش موجود.

- إنت هاتفضل علطول موجود.

لامست يده ورفعتها لتقبلها في حنان كان يفتقده، لتأسره عبدًا لقلبها، فلم يعد يستطيع خيانتها، لم يعد يشعر بشيء غيرها. كان يتمنى الخروج من محبسه ليتوجه إليها بشفتيه، كان يستطيع أن يسعدها، سعادة لم تتذوقها من قبل، كان يستطيع أن يكشف لها كيف يكون العشق كما كان يعرفه. ظل يتساءل كيف استطاعت هي إحياء قلبه! كان يتمنى أن يشبع بها غرائزه، فقد امتلكت قلبه وعقله كما لم يفعل أحد من قبل. ظلا يتأملان بعضهما من خلف القضبان، لم يستطيعا حتى التلامس، فليس لهما الحق، ولن يستطيعا عبور القضبان، ظلا يرمقان مياه الخليج، من

داخل محبسهما بجزيرة اللؤلؤ، متمنيين أن يغرقهما أمواجه، لعلهما يُبعثان سويًّا في عالم آخر، فلقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

***

ظل "هشام" يُبادل "ماجي" نظرات العشق الخبيث، بينما كانا مع "ناصف" في انتظار وصول "نبيل"، إلى أن وصل وطرق الباب لتفتح "ماجي" في أنوثتها كالعادة، مثيرة "نبيل" هو الآخر الذي وقف على الباب في حسرة واضحة على حاله الذي وصل إليه، بينما ظل "هشام" يرمقه في غضب، فلن يرحمه إذا حاول مقاسمته هذا العشق الذي لم يبدأ بعد. ظل "هشام" بنظراته، وظل "نبيل" يتذكر ليلته الأخيرة في حسرة.

فقد كانت "سارة" غاضبة كعادتها من انتقاد "نبيل" لها وعملها، فهي تظل بالساعات في الغرفة الثانية التي كانت من المفترض أن تكون لأولادهما ولكنها اتخذتها صومعة لعملها. وضعت بها جهاز كمبيوتر، لتظل طوال الأيام تتابع الأزياء العالمية على صفحات الإنترنت المختلفة، حتى تعرف وجهتها المقبلة، لتتابع سفرها من بلد لأخرى، تاركة إياه وحيدًا حتى تعود بالكثير من الملابس، لتبدأ في سباق بيعها، ثم تكمل رحلتها مرة أخرى في صومعتها مختفية عنه، لتقتله الوحدة والكبت، حتى نجاحها المادي لم يُرضِ غروره، بل دفعه لقبول الكثير

من الرشاوى ليظل هو رجل المنزل وصاحب السيطرة.

- إنتي مش هاتيجي تقعدي معايا شويه؟

قالها وهو يقف على باب الغرفة في تزمر واضح.

- معلش يا "نبيل" عندي شغل.. محتاج حاجه؟

- أيوه يا ست هانم محتاج، محتاج أحس إني متجوز.

اختلست "سارة" نظرة إليه لا تدل على اهتمامها، وقالت:

- وإنت ناقصك إيه عشان تكون متجوز؟

- ناقصني إيه؟ قولي مش ناقصني إيه، إنتي عارفه آخر مره نمنا سوا كانت إمتى؟

أغلقت "سارة" الكمبيوتر ونظرت إليه قائلة:

- طيب ما تقول كده.

وقفت "سارة" لتتوسط الغرفة الفارغة، وخلعت حمالات قميص للنوم كانت ترتديه، ليسقط أرضًا وتسقط معه كرامته، لتصبح عارية، جميلة، بيضاء، ولكن باردة كالجثث، ظلت واقفة تراقبه.

- إتفضل، مستني إيه؟... آه افتكرت.

قالتها وجثت على ركبتيها أرضًا فوق قميصها الأسود كقلبها الجريح،

لينظر إليها بعدما أشعرته بحيوانيته، ليجد نفسه عاجزًا عن السيطرة على غضبه وكرامته، ليصفعها بيده اليمنى بقوة، ليتمايل وجهها إلى يساره، دون أن يهتز جسدها، لترجع هي بوجهها إليه في تحدٍّ قائلة:

- مش هاتقلع؟

- سافله.

قالها وهو يصفعها بيساره، لتعاود هي بالنظر إليه، ليعاودها بيمينه ثم يساره، إلى أن تألمت يداه عجزًا عن كسر كرامتها وعندها.

***

بعدما تعرف "ناصف" على "نبيل" شعر بالدعم الحقيقي الذي كان ينتظره، فلم يكن "نبيل" مجرد ضابط مرتشٍ، بل كان مؤسسة كاملة، يستطيع الولوج إلى الكثير والكثير، كالحاوي، يظل دائمًا بجعبته المزيد.

ظلوا يتقاربون كالقطط، ليصبحوا كقبيلة واحدة في دقائق معدودة، لتنتهي السهرة الأولى بين الشياطين، بعدما اتفقوا على خطتهم القادمة، جاعلين من وكر الزمالك غرفة للعمليات، يتقابلون فيها يوميًّا في الأيام القادمة، تحت أنظار قطط العقار التي كانت تؤمِّن اجتماعاتهم في سلام.

***

أخيـرًا تقابل العاشقان أمـام هـذا النيل الساحر، بعد العديد من الاتصالات والرسائل التي رسما بها أحداث هذا اليوم، متلاعبين بالكثيرين، ليرضيا شياطينهما ويصلا إلى غايتهما التي اقتصرت على المال والسلطة.

- خمسه مليون جنيه؟

- أيوه يا حبيبي، بس ده دم.

- بس دول خمسه مليون جنيه يا حبيبتي.

- بس أنا مقدرش أقتل يا "هشام"، إحنا كان اتفاقنا من الأول إن محدش يتئذي وما يكونش في دم.

- ومين قال إن إنتي هاتقتلي، إنتي بس هاتجيبي الفلوس.

قالها وهو راكع لهذا القط الأسود الذي اعتلى عرش المشهد، يراقبهما عن كثب، بينما ظلت هي تنظر إلى هذا الجسد العاري الذي يمشي بخطى ثابتة على مياه النيل، ملطخًا بالدماء، يحاول تطهير نفسه بمياه النهر الخالد، يستسمحه عن خطاياه، بل يحاول إيجاد الترياق، فلقد كان مريضًا ليس أكثر، ولم يجد طريقًا صحيحًا للعلاج. ظل هذا الجسد الذي يشبه "ناصف" يرمقها من بعيد وإن لم يكن يعاتبها، بل كان يشفق على جسدها الرخيص، أما هو فلقد كان منشغلاً بتطهير

جسده من الخطايا. ظل يمشي فوق المياه في خفة غير اعتيادية، وظل ينظر إلى عرش هذا القط في سخرية. كان قد تحرر منه، فظلت "ماجي" ترمق هذا العرش المزيف في تحدٍّ، وظل القط يهددها بنشر فضائحها، لم تكترث، فبدأ بعرضها أمامها، لتنظر إلى مشاهدها وهي بين أحضان "هشام" وغيره، دون أن تبالي، فاقترب منها القط وهو غاضب ليذكرها بالعهد، لتجد نفسها سجينة، في قفص حديدي مليء بالخطايا، ليصيبها الذعر للحظة، ولكن قبل أن تعلن استسلامها، أشارت إلى "ناصف" من بعيد، الذي استجاب إلى هتافها الأخرس وابتسم لها مشيرًا إليها بالهروب، لتنظر "ماجي" إلى القفص، لتجد بابًا واضحًا لطالما كان موجودًا، ففتحته وخرجت، لتجد ما أمامها مجرد قط صغير، هرب عندما خرجت خوفًا من الحساب.

- "ماجيييي"..

انتبهت "ماجي" وهي شاردة في هذا المركب الخشبي الذي يسبح في النيل، لتبتسم له قائلة:

- "هشام" أنا معايا نص مليون جنيه، أنا لغاية هنا دوري خلص، عايز تفضحني، عايز تكرهني، عايز تحبني، دي مشكلتلك، أو مشكلتكوا إنتوا الاتنين.

قالتها "ماجي" وهي تنظر إليهما بابتسامة ساخرة، ليشعر "هشام" بصفعة على وجهه حرمه منها أبواه، ليظل شاردًا مع هذا العرش الكبير في تجهُّم.

***

ظل "نبيل" يتذكر ما كان يهرب منه، وهو ينظر إلى"ماجد" الغارق في دمائه، فقد كان يجالس "ناصف" و"ماجي"، بعدما أصبح دائم الزيارات لهما ليحصل على المال أو المتعة. كانوا يلتقون بصفة شبه يومية، خاصة بعد ما زاد الخلاف بين "نبيل" وزوجته، ليجد "نبيل" ملاذًا من همه بعيدًا عن الناس، حتى أنه لم يكن يرحب بوجود "هشام" الذي تقبل تجاهلهم له على مضض.

أما هذا اليوم، فلقد وعد "نبيل" صديقه "ناصف" بتحقيق صحفي سيضيف إليه الكثير. ظل "نبيل" جالسًا مع "ناصف" و"ماجي" الذي كاد يغتصبها بعينيه، فهي مثيرة وذكية. حاول "نبيل" السيطرة على كبته وقد فعل، إلى أن اضطر "ناصف" و"ماجي" الذهاب، فقد وقع حادث مروع في فرع شركته بالإسكندرية، ليتوتر "ناصف" الذي استأذن من "نبيل" وتوجه مع مديرة مكتبه إلى هناك ليتركاه يكمل العمل وحيدًا.

وحيدًا حاول الاتصال بها مرارًا دون جدوى، إلى أن عادت هي إليه، لم

يستطيعا السيطرة على ضعفهما كثيرًا، فبعد دقائق معدودة كان قد خلع عنها ملابسها، قاومت كثيرًا، ولكنها لم تستطع منع احتياجها، ولقد استغل ضعفها، لم تكن تعي ما تفعل، فلقد كانت معجبة به منذ البادية، كانت تشعر أنها على وشك الغرق، وقد كان، ليتلاحم جسداهما، ليتراقصا وشفتاهما تلتهمان بعضهما. ظلا يتمايلان وهما يصارعان فطرتهما النظيفة، دارت بهما الشقة حتى أوصلتهما إلى الغرفة المشئومة، لم يستطيعا احترام حرمة المكان، ظل يصفع جسمها منتشيًا، بينما ظلت أسيرة لقسوته، حتى استطاع شيطانهما قتل ما تبقى من ضمير، ليندما بعد لحظات من المتعة على ما آلا إليه. جلست هي على السرير لتستر ما قد عراه عقلها المريض، فسترت جسدها العاري بغطاء السرير بندم، بينما ارتدى هو بنطاله وجلس على كرسي في مواجهة الشباك، ليختفي في ظلام الليل، ليحاول جاهدًا نسيان ما حدث وإنكاره، محاولاً الرجوع إلى فطرته، فليست الخيانة من الفطرة.

من مكان آخر كان "الوحي" يتابع المشهد من على شاشة صومعته في تعجب، فلم تكن تلك هي الخطة أبدًا، وإن كان قد حصل للتو على صيد ثمين، فكتب بقلم أحمر على ورقة بيضاء من أمامه:

"جاء وقت الحساب"

***

تابع الواحدة صباحًا

كان "نبيل" يحلق ذقنه في حمام غرفته، بينما كانت زوجته نائمة والتلفاز مفتوحًا كالعادة، وكان جرس هاتفه يرن من على الشاحن بالكمودو المجاور لها، لم يكترث وتابع حلاقة ذقنه، إلى أن استيقظت الزوجة في غضب وأمسكت بالهاتف لتجد رقمًا مميزًا يتصل، فردت بصوت منخفض وفضول:

- أيوه.

بصوت إلكتروني رد المتصل:

- أيوه يا "سارة" هانم ازيك.

- مين معايا؟

ضحك المتصل وتهكم:

- فين جوزك؟

- في الحمام.

من داخل غرفته، تابع باستمتاع كان يفتقده كثيرًا.

- طيب لما يطلع خليه يتفرج على الفيديو اللي بعتهوله وأنا هاكلمو تاني.

أغلق وهو يضحك كثيرًا، منتظرًا رد فعل "نبيل" الذي كان قد وصل خلف "سارة" التي حاولت فتح هاتف "نبيل" بفضول، ولكن كلمته السرية عطلتها، فجربت اسم "رقيا"، فلم يتجاوب، ولكن الهاتف قد تجاوب عندما كتبت "آثر"، وقبل أن تفتح الرسالة الواردة، كان زوجها يدفعها بقوة على السرير ممسكًا هاتفه في غضب:

- هي دي أخلاق ولاد الأصول برضه؟

قالها قبل أن يتجهم، ويضعف كبرياؤه الذي انكسر أمامها وهو يسأل مرتجفًا:

- هو مين اللي اتصل؟

- هو فيه إيه الفيديو ده؟

في توتر فائق، شعر "نبيل" أنها قد شاهدت الفيديو قبل أن يصل هو إليها، فظل متجهمًا، إلى أن تابعت:

- واحد اتصل قال إنه هايبعتلك فيديو، وهايتصل بيك تاني، فيه إيه الفيديو ده؟

تنفس "نبيل" الصعداء وهو يقرأ الرسالة الملحقة بالفيديو والمكونة من الكلمات الثلاث، ثم قال:

- شغل.

قالها وارتدى ملابسه في لمح البصر واختفى من أمامها، لم يدرِ إين يذهب في هذه الساعة المتأخرة! فلم يكن يعي أية حقيقة، إلا أنه تم تصويره في شقة "ناصف شوكت" بالزمالك، فتوجه إليها وهو يحاول معاودة الاتصال بالرقم المميز الذي اتصل به، ولكن دون جدوى، ليذوق مرارة الانتظار.

في دقائق قليلة، وصل "نبيل" إلى شقة "ناصف" وظل يقرع الباب كثيرًا حتى فتحت له "ماجي" على استحياء، فدفع "نبيل" الباب بقوة، لتقع "ماجي" أرضًا.

- هو فين؟

لم تجب "ماجي" وهي في حالة من الفزع، فأمسك بها من شعرها وكرر:

- هو فين الكلب اللي مشغلك؟

لم تستطع "ماجي" النطق، فتركها "نبيل" ليخترق حرمة المكان كعادته، حتى توجه إلى هذه الغرفة ذات الإضاءة السهاري التي تظهر من زجاج الباب، فتوجه إليه في غضب قائلاً:

- بتسجلي يا روح امك؟

فتح "نبيل" الباب ليجد "ناصف" بين أحضان رجل عتي عاري الجسد، ليصعق "نبيل" من هول ما رأى، بينما تملكت "ناصف" حالة من الصدمة والبكاء واللطم كالنساء وهو يستر جسده بروب حريريّ، نسائي الطراز يصعب وصفه بالرجالي!

أسرع الرجل الذي كان معه في الغرفة بستر نفسه هو الآخر وارتدى بنطاله وهرب من جانب "نبيل" الذي كان يشعر بالغثيان وهو ينظر إلى "ناصف" الذي جلس أرضًا في الغرفة، واضعًا يده على رأسه، بينما ظل "نبيل" يبحث عن شيء ما داخل التسريحة، حتى عثر على الكاميرا الموضوعة بها، فأمسكها ونظر إليه في الأرض.

- طيب إنت عيل.... مَرَه، تستاهل، أنا يتسجلي ليه؟

انتبه "ناصف" إلى كلمة تسجيل، ونظر إلى الكاميرا التي بيد "نبيل".

- تسجيل، تسجيل إيه؟!

يا فضحتي، يا فضحتي يا فضحتي يا فضحتي!

قالها وهو يلطم على وجهه، بينما رن جرس هاتف "ماجي" التي كانت واقفة في الطرقة، تترقب الموقف في ذهول، فلم تجب؛ نظرًا لخطورة الموقف، ليتوقف هاتفها عن الرنين، بينما بدأ هاتف "ناصف" هو الآخر في الرنين، فلم يكترث وظل يلطم خديه، ليبدأ أخيرًا جرس

"نبيل" في الرنين، من نفس الرقم المميز، فأجاب "نبيل" على الفور ليظهر صوت إلكتروني ساخر:

- "والله متجمعين عند النبي".

- إنت مين يا ابن الكلب؟!

قالها "نبيل" منفعلاً، فخطف "ناصف" منه الهاتف متأسفًا، ووضعه على خاصية السماعة الخارجية.

- معلش سامحه، حضرتك مين، وعايز إيه؟

- "أيوه يا بطه أحبك وإنتي مؤدبه، بس الواد إيه هجمه يابا، قطعك، أنا شخصيًّا كواحد من الجمهور اتبسطت".

في انهيار قال "ناصف":

- لأ، إيدك أبوسها أستر عليا، إنت عايز إيه؟ أنا من إيدك دي لإيدك دي.

- "ما أنا عارف يا حبيبتي".

قالها وضحك، قبل أن يكمل، بينما كان "نبيل" لا يزال في حالة من الصدمة، وهو يكلم نفسه:

- مش أنا اللي يحصل فيا كده!

- "والنبي هدّي الباشا شويه، عشان نشوف شغلنا".

- يا باشا أنا معاك عايز إيه؟

- "تلاته مليون جنيه".

- نعم يا روح امك!

قالها "نبيل" باندفاع وهو يخطف السماعة من يد "ناصف".

- "مالها أمي بس يا باشا؟ على الأقل كانت ست محترمه، أنا معنديش وقت أضيعه، بكره الصبح قبل الساعه عشره، تودع الفلوس في حساب هابعتهلكوا دلوقتي، قسموها بقى بينكوا وبين بعض براحتكوا".

أغلق "الرجل" الخط ليظلا هما في ذهول!

- هانعمل إيه في المصيبه دي؟

أنكر "نبيل" المسئولية.

- يا عم مين فينا اللي هايتفضح؟ إنت ممكن تروح تحط الفلوس، أنا بقى مش هادفع، أنا مش هنام غير لما أعرف هو مين وأخلص منه، اللي عمل كده حد كان عايزك إنت مش أنا.

انتبه "نبيل" إلى شيء ما؛ ليطرح تساؤلاً هامًا على "ناصف" ليزيد من شكوكه التي حاول أن يخفيها.

- هو الواد اللي كان هنا ده جاي منين؟

نظر "ناصف" نظرة شك إلى "ماجي" ليقترب إليها "نبيل" صافعًا

إياها.

- إنتي مين اللي مسلطك علينا يا بنت الكلب؟

سقطت "ماجي" وهي تنظر إلى "ناصف" في استعطاف ليحميها منه، ولكنه نظر إليها بشك، قائلاً لـ "نبيل":

- إضربها يا باشا، هي بنت الكلب دي اللي أكيد ورا كل حاجه، آه يا واطيه يا مومس يا بنت الكلب.

تابع "نبيل" ركل "ماجي" وهي على الأرض بقوة في خصرها، حتى بدأ الدم يتساقط من فمها وهي تنكر كل شيء، حتى قالت:

- "ساميييي"، "سامي" واللّه حرام عليكوا.

جثا "نبيل" على ركبتيه وأمسك بوجهها.

- "الوحي" هو اللي مسلطك؟

- لا واللّه، أنا لحم اكتافي من خير "ناصف" ولايمكن أخونه أبدًا.

صفعها "نبيل" مرة أخرى دون اعتراض من "ناصف" فظلت "ماجي" تنظر إليه في عتاب قائلة:

- واللّه أنا عمري ما خنتك، أنا لو عايزه أخون كنت خنت من زمان، إنت مكنتش مخليني محتاجه حاجه، إنت عوضتني عن أهلي اللي رموني في الشارع، ومكنتش بتنهش في لحمي.

- ما عشان مش راجل يا روح امك، بلاش كلام الأفلام ده وقولي، علاقتك بالـ "وحي" إيه؟

قالها "نبيل" وهو يصفعها مرة أخرى لتتابع هي:

- ماليش علاقه بيه، بس شوفته خارج من الأوضه في مره لما كان هنا، والله العظيم ما خنتك، إقتلني لو عايز، بس والله العظيم ما خونتك.

في لحظة صدق وصلت قلب "ناصف" أمسك بكتف "نبيل" وقال:

- صح، أنا فاكر اليوم ده.

وقف "نبيل" والتفت إلى "ناصف" قائلاً:

- إنت متأكد؟

- أيوه متأكد، حتى هو سألني على (الباسورد) بتاعت (النت).

لم يكن "نبيل" يحتاج أكثر من ذلك ليخرج ثائرًا وهو يتلفظ بالكثير من السباب، ليستوقفه "ناصف" بسؤال:

- رايح فين؟

- هاروح اقتله.

- طيب ليه؟ ما أنا هادفع الفلوس وبلاش دم، أكيد هو عامل حسابه، أنا في عرضك.

- مش أنا اللي يتعمل فيا كده، أنا كده كده هاقتلو وسيادتك ممكن برضه تحط الفلوس، ده لو جاتلك منه رساله قبل ما أخلص عليه، أنا مايهمنيش، أنا مش متصور مع راجل لامؤاخذه!

انتبه "ناصف" وسأل "نبيل" سؤالاً أخيرًا:

طيب هو إنت إيه اللي متصورلك، وإزاي في شقتي، وإمتى ومع مين؟

هرب "نبيل" من السؤال والمكان، وخرج وهو يبحث عن هاتفه ليجري اتصالاً هامًّا:

- "هشام".

- أيوه يا باشا خير؟

- فين عنوان "الوحي"؟

- إشمعنى يا باشا خير؟

- "هشاااااام" أنا ممكن أصور قتيل دلوقتي، بقولك فين عنوان الزفت "سامي" ده؟

صعق "هشام" من أسلوب "نبيل" وهلع، وأعطاه العنوان وهو يشعر بأن هناك مصيبة قد حدثت، فأغلق الخط واتصل بـ "ماجي" التي صارت عشيقته منذ أن قابلها في شقة "ناصف"، فكلاهما نفس التكوين والطينة التي خلق اللّه منها الإنسان بخطاياه وآثامه. لم تجب "ماجي"،

بل رفضت مكالمته، فقد كان "ناصف" يعتذر لها ويقوم بوضع كمادات على جروحها، ولكنه لم يكن ليستطيع معالجة الشرخ الذي قام به، ولن تفهم هي أبدًا شعوره. ظلت تنظر إلى رقم "هشام" الذي عاود الاتصال، لتطلب من "ناصف" أن يتركها وحدها قليلاً.

- معلش يا "ناصف" أنا محتاجة أكون لوحدي.

- حاضر يا حبيبتي، أنا آسف مرة تانية.

كانت "ماجي" مستاءة جدًّا من الاتهامات التي وُجهت إليها وإن كانت تعرف أنها ليست بريئة على أية حال، فوضعها بالفعل مشين، كما علمت أنها قد أصبحت في خطر، فهي لا تعلم إن كان هناك ما يدينها أكثر، فاقتربت من إحدى النوافذ، واتصلت بعشيقها، فهو الوحيد الذي تستطيع الوثوق به، ولعله يسامحها، أو يجد لها مخرجًا بنفوذه.

- أيوه يا حبيبتي في إيه بس؟

- أنا اتبهدلت يا "هشام".

- أنا مش فاهم حاجه، "نبيل" كلمني وشخط فيا وطلب مني عنوان "سامي". حصل إيه فهميني؟

- هو رايح يقتله.

- أفندم! لأ فهميني بسرعه حصل إيه؟

لم يكن "هشام" يصدق ما يسمعه! فأغلق الهاتف وأجرى اتصالاً آخر:

- "سامي" إنت فين دلوقتي؟

لم يكن "سامي" يتوقع أن تكون الأحداث بهذه السرعة، ولم يكن يعلم هذا المنعطف الذي ستؤول إليه الأمور، ولم يكن يتخيل أبدًا أن تكون هذه هي النهاية، فأغلق الخط ليقوم باتصال أخير، فلقد كان يعلم أنه قد "جاء وقت الحساب".

***

الحادية عشرة مساء

ظل "هشام" شاردًا يحارب شيطانه، بعدما صفعته "ماجي" التي حاولت التمرد والخروج من محبسها، لتثير غيرته هو الآخر، وقبل أن يدخل "هشام" إلى مكتبه، جاءه الاتصال المعهود، من صاحب الصوت الإلكتروني:

- إزيك يا "هشام"؟

- أهلاً، عايز إيه تاني؟ أنا عملتلك كل اللي إنت طالبه.

- لأ ناقص حاجه.

- إيه تاني اللي ناقص؟

- العدل.

- مش فاهم!

- القصاص.

- برضه مش فاهم!

- اللي قتلني لازم يموت.

- يا سيدي كفايه اشتغالات فيا بقى، إنت مين؟

- أنا "الوحي" الذي لا يموت.

قالها وضحك، بينما ظل "هشام" تائهًا!

- إنت مُسير يا "هشام" مش مُخير.

قالها القط الذي كان ينظر "هشام" إليه، ليحاول هو النفي.

- لأ، أنا مُخير.

- بس إنت ناسي الفيديوهات؟

- وإيه يعني الفيديوهات، أنا لا متجوز ولا تفرق معايا.

- لأ، أنا بتكلم على الفيديوهات اللي كنت بتقبض فيها مني الفلوس،هابعتهالك دلوقتي يمكن تفتكر، دي يا بطل فيها سجن.

في يأس، ركع "هشام" للقط، الذي طلب منه الدم، طلب منه إنهاء المشهد كما يريد هو، ليجد "هشام" نفسه في وضع مزرٍ، مطلوب منه القتل، وإن كان يفكر فيه منذ قليل، ولكنه لم يكن يتخيل أن يقتل صديقًا، ليجد "هشام" نفسه في عاقبة الطريق الذي سلكه منذ البداية، محصورًا بين خيارين أحلاهما مر، إما أن يكمل ما بدأ

وينهي الطريق ويقتل صديقه، قاتلاً معه ما تبقى في داخله من بقايا الإنسان، أو يبدأ من جديد ليخسر كل ما بناه، أو ربما يعاقب عليه، ليشعر "هشام" بالندم على لحظة اختياره لهذا الطريق منذ البداية، فلم يكن يمتلك ما يكفي ليُحاسب على كل أفعاله التي ولدت صغيرة لتمسي وحشًا لا يستطيع قهره، فيستسلم له أسيرًا في محبسه دهرًا، مُسيَّرًا وليس بيده الخيار.

***

بعدما تأكد "نبيل" من مسح كل آثاره من غرفة "سامي" بفيلا عمه، وأزال فارغ الطلقة التي خانته، خطف نظرة أخيرة إلى جثة "ماجد" مصحوبة بلحظة ندم، فقد كان "ماجد" صبيًّا، ولكن شيطان "نبيل" سرعان ما أقنعه أنه قد حذرهم مرارًا بعدم اللعب بالنار، وإن لم يكن "نبيل" يتمنى أن يكون "ماجد" متورطًا، ولكنه كان مضطرًّا أن يكمل ما بدأ منذ ساعات هذا اليوم الأولى.

قبل أن يهرب "نبيل" وجد هاتفه يرن، والغريب أن المتصل كان رقم الخط الأرضي بمنزله، الذي لم يكن "نبيل" يستخدمه أو حتى يحفظه، لحظات مرت وهو يترقب الرقم المتصل في اندهاش، حتى أجاب ووضع الهاتف على أذنه، ليسمع صوتًا يعرفه بوضوح:

- إيه يا "نبيل" بيه، مش كان في بينا معاد عندك في البيت النهارده،

هو أنا رسالتي موصلتلكش ولَّا إيه؟

كان المتحدث هو "ناصف شوكت"، فجلس "نبيل" أرضًا من الصدمة، ليتساءل: لِمَ يلعب به الجميع، وماذا فعل؟! ولكن قبل أن يشرد وجد صوت "ناصف" قد تحول إلى صوت إلكتروني معروف:

- أرجوك يا "نبيل" ماتتأخرش عشان مش عايز اتهور عن كده.

قالها وأغلق الخط، ليتذكر "نبيل" رسالة "ناصف" التي أرسلها إليه صباحًا بعدما أودع الأخير المال في البنك.

"عزيزي نبيل.. لقد أوفيت بوعدي وأودعت كامل المبلغ في حسابه، برجاء تنفيذ وعدك وإنهاء هذه المأساة، لن أستطيع الاتصال بك أو حتى الرد على اتصالاتك، ولكني سأحضر اليوم إلى منزلك".

لم يفهم "نبيل" إذا ما كان "ناصف" نفسه هو من يخدعه، أم لا! ولكن لِمَ يفعل ذلك؟! تساءل "نبيل". كان مشوشًا، تائهًا، يقتله الإرهاق، ولكنه تذكر أنه قد توجه بالفعل ظهرًا إلى منزله، ولكن "ناصف" لم يظهر، فلم يجد "نبيل" مفرًّا من هذه التساؤلات إلا بالتوجه إلى منزله.

***

بعد يوم طويل من التنقلات، حسمت "نور" أمرها، لتجبر "سارة" على ضيافتها.

- بقولك إيه إحنا مش هانقعد هنا للصبح، وأنا خلاص قولت لـ"تيتو" يبات مع "شريف" عند حماتي، ملكيش حجة إنتي هاتباتي معايا النهارده.

- هي عافية؟

- أه عافية، مش كفاية مذنباني جانبك كل الساعات دي قدام الناس زي المتشردين، والله هايفهمونا غلط.

ضحكت "سارة" ووافقت "نور"، فلقد كانت تنتظر تلك الضيافة.

***

ظل "هشام" ينظر إلى هذا القط الذي يقف عند باب مكتبه في خوف، ليظل حبيسًا في داخله، ينتظر منتصف الليل ليتوجه إلى بيت قائده ليغتاله. حاول "هشام" رفض الفكرة ولكنه كان يعلم أنه مُسير، وأنه سيحصل على خمسة ملايين من الجنيهات له وحده، دون مناصفة مع "ماجي" التي قررت أن تخرج من محبسها مكتفية بما حققته، فتذكر "ماجي"، وتعجب من رفضها للقتل! فغار من قوتها، وحاول إقناع نفسه بفكرة رفض المال والاكتفاء بما جمع، ولكنه تذكر الفيديوهات التي تدينه، ليستسلم أخيرًا لهذا القط الذي ظل دائمًا راكعًا له في رهبة، ليمسك سلاحه بيده، ويحاول إقناع نفسه بما سيفعله، ولكن يده وجهت السلاح إلى هذا القط الذي يأسره، ليلاحظ "هشام" ضآلة حجم

هذا القط، فكشف الحق لبصيرته ضعف من يأسره، في لحظة دخل فيها خيط من النور إلى قلبه، ليبتسم "هشام" في تلك اللحظة غير المحسوبة، ويقترب في إيمان غير مسبوق ليتحقق من سيده، الذي كان واقفًا في تحدٍّ له عند الباب، ومع اقتراب خطوات "هشام" من ذلك القط، خر مستسلمًا لبصيرته؛ ليفر هاربًا، ليتعجب "هشام" من أفوله ويخرج من محبسه، متوجهًا إلى اللواء "محمود وهبة" الذي صار "هشام" يحتاجه الآن أكثر من ذي قبل.

***

- "محمود" بيه.

قالها "هشام" بعدما فتح باب مكتب "محمود وهبة".

- إنت فين يا بني آدم؟ بقالي أكتر من ساعه بدور عليك.

- آسف يا فندم، تحت أمرك.

- إقفل الباب وراك وتعالى اقعد الأول.

انصاع "هشام" في هدوء لأوامر قائده، وجلس بعدما أغلق الباب.

- إنت تعرف أي حاجه ممكن تورط "نبيل" مع "الوحي"؟

ضحك "هشام" قائلاً:

- أعرف كتيييير.

تعجب "محمود" من صراحة "هشام" الذي ظل يقص اعترافاته على "محمود" في سلامة وطمأنينة وهدوء قاتل، وسط ذهول عيني "محمود"! ليسأله سؤالاً أخيرًا:

- طيب إنت آخر مره شوفت "الوحي" كانت إمتى؟

- امبارح يا فندم، امبارح الساعه أربعة الفجر.

***

الرابعة صباحًا

وصل "هشام" فجرًا إلى مكتب "سامي" بالمهندسين. صف سيارته وظل يترقب لحظات قبل أن يترجل من سيارته ويتجه إلى تلك البوابة الحديدية الصدئة، فتحها وهو يخطف نظرة على الحديقة، ليلفت انتباهه صوت حركة شيطانية غريبة، فتوجه إلى اليمين ليتوغل إلى الحديقة تاركًا مدخل المكتب خلفه. ظلت الخطوات تسحبه إلى أن وجد سربًا من القطط تجلس بشكل دائري، بينما كان قائدهم يتوسطهم وهو ينظر إلى الداخل من خلال باب يطل على الحديقة، فنظر "هشام" إلى ما كان يراقب القط، ليرى جسدًا جالسًا على أريكته الحبيبة في الظلام، فاقترب أكثر إلى الداخل، ليشعر بظل خفيٍّ كان واقفًا على أعتاب الغرفة من داخل الشقة على يساره، فارتبك صاحب الظل عندما ظهر "هشام" وهرب ليترك "هشام" الجسد الصغير، ويهرول ناحية البوابة وهو يرفع سلاحه، ليجد صاحب هذا الظل الهارب هو "نبيل" نفسه الذي ساعدته خطواته الطويلة في الابتعاد عن "هشام" سريعًا

وإن كان "هشام" قد تأكد بدون شك من ملامح قائده الهارب، ليعود "هشام" محاولاً تفقد الجسد الصغير، ويدخل هذه المرة من الباب الرئيسي الذي كان مفتوحًا وهو حائر من المجهول. لم يرد "هشام" لمس أي شيء خوفًا من التورط أكثر من ذلك، فعلاقته بـ "سامي" ذاتها كانت مشبوهة، فتقدم وسط الظلام، ليشعر برهبة طبيعية، حتى وصل إلى الغرفة الكئيبة وهذه الأريكة التي ظل "سامي" يحبها وكأنه يعلم أنها مدفنه. نظر "هشام" إلى اليمين، حيث كان الباب المؤدي للحديقة قد أُغلق للتو، فتعجب وأضاء كشاف هاتفه ليتأكد مما رآه ببصيرته، جثة "سامي" الجالسة في صمت، ليلتف "هشام" مغادرًا قبل أن يضيء التلفاز تلقائيًّا عن يمينه، ليظهر شخص ما أشبه بـ "الوحي" يتكلم بصوت إلكتروني مخيف قائلاً:

"جاء وقت الحساب"

فارتبك "هشام" وارتعد، قبل أن يهدئه المتكلم:

"ماتخافش يا هشام، ماتخافش، الوحي مامتش، الوحي مش بيموت، الوحي اتولد، عشان الأفكار ما بتموتش، وأنا أصلاً فكرة، أنا عمري ما هاموت يا صاحبي، وأنا عارف إنك هاتجبلي حقي".

كاد "هشام" يهرب، ولكن الفضول دفعه إلى الصبر.

" إنت أكيد عارف اللي قتلني، "نبيل" ريسك يا "هشام"، بس الحمد

لله، الكاميرا اللي فوقيك صورت كل حاجة".

عرض الرجل مشهد قتل "سامي"، وإن لم يظهر القاتل بوضوح، قبل أن يعرض فيديو آخر لـ "هشام" وهو يستلم مالاً من "سامي"، ليثور "هشام" ويقترب من الشاشة في غضب، ولكنه ينظر إلى يمينه ليجد "سامي" مقتولاً بالفعل، فلا يعرف كيف يتصرف! ومن هذا المدعي الذي يعرف عنه الكثير؟! ليشارك "هشام" الشاشة في الجنون، ويكلمها قائلاً:

- إنت مين وعايز مني إيه؟

- ماتخفش يا "هشام" بكره الصبح "ناصف شوكت" هايدخل في حسابك في البنك نص مليون جنيه، وهايدخل لـ "ماجي" كمان، يا نمس، طبعًا ده غير فلوس هاتدخل في حساب "نبيل" صاحبك.

- أنا مش فاهم حاجه!

- ماتخافش بكره هاتفهم، بس المهم تقول لـ "ماجي" تسمع الكلام، هاكلمك بعد شويه أديك التفاصيل، وافتكر كويس يا "هشام" أنا جايبلك فرصة، متجيش في العمر إلا مرة واحدة، أو ممكن ماتجيش خالص.

قالها الرجل ثم اختفى، لتعرض الشاشة الكلمات الثلاث فقط، بينما فُتح الباب المطل على الحديقة مرة أخرى بقوة ليدخل سرب القطط

في غضب مكشرة عن أنيابها تقتل "هشام" بغضب أعينها، فهرول "هشام" إلى الخارج محاولاً نسيان هذا الكابوس، إلا أن مكالمات "الوحي" وتوجيهاته كانت مستمرة بالفعل طوال الساعات الماضية منذ ذلك الحين كما ادعى، حتى أن المال قد أُودع في الميعاد، ليشعر "هشام" أنه قد أصبح مُسيرًا وليس مخيرًا.

***

الساعة الحادية عشرة والنصف مساء

لم يصدق "هشام" الفرصة التي أعطاها له "محمود وهبة" للتو. كان يظن أنه سوف يوقفه عن العمل أو أكثر، ولكن "محمود وهبة" عامله كالأب، وتقبل ندمه واكتفى بتوجيهه على الطريق الصحيح.

- كلنا يا "هشام" غلطنا، السلطة بتغير، بس المهم اللي يفوق، إنت عندي أعظم كتير من شخص ماتحطش في الإختبار ده، بس أرجوك يا "هشام" الكلام ده ما يخرجش بره الأوضه دي.

- أكيد يا فندم، بقى في حد ربنا يستره ويفضح هو نفسه؟! ده حتى يبقى حرام.

- عفارم عليك، ودلوقتي جه وقت الحساب.

انتفض "هشام"، بينما ضحك "محمود" ممازحًا إياه ليتابع:

- ماتخافش كده، بجد إحنا لازم نعرف مكان البث فين وبسرعه.

- طيب ما أنا عارفه.

- أفندم!

- أمال أنا بقول لحضرتك إيه من الصبح.

- قلت إيه يا بني آدم؟!

- "الوحي" عايزني أروح أقتل "نبيل" في مكان البث من بيت "نبيل" نفسه في الدقي.

سكت "محمود" في عدم تصديق! ثم تلعثم وقال:

- ماتقولش.

- أفندم!

- ماتقولش لحد دلوقتي، مش عايزين فضايح، وروح على مكتبك وأنا هاخد بعضي وأروح أنقذ ما يمكن إنقاذه، ولو عزتك هاكلمك، خلي تليفونك جمبك.

- بس يا فندم على الأقل خد معاك الرجاله.

- جرى إيه يا حضرة الرائد، إنت مش واثق فيا ولَّا إيه؟

- يا فندم العفو.

كان "هشام" قلقًا على الرجل الوحيد الذي فتح له باب التوبة، فلم يكن يريد أن يخسره.

خرج "محمود" متوجهًا إلى منزل "نبيل" الذي كان قد وصل بالفعل إلى بيته. كان المنزل هادئًا ولا يوجد أثر لشيء، فقد كانت الشقة خاوية بوضوح لـ "نبيل"، فتذكر الهاتف الأرضي، ولكنه لم يكن يستخدمه ليعرف مكانه، فأخرج هاتفه واتصل بالرقم ليسمع الجرس من الداخل، من الغرفة التي لم يستخدمها قط، فتوجه إليها وقلبه ينتفض، وفتح الباب ليجد ما لم يكن يتوقعه أبدًا!

***

- "السيكودراما" دي يا "محمد" عبارة عن مجموعه من الناس مايعرفوش بعض، ولا ينفع يتعرفوا على بعض، بيعانوا من ضغوطات نفسية أو خوف ورهبة من حاجة معينة، بنجمعهم سوا وبيتعروا قدام بعض.

- بيتعروا؟!

قاطع "محمد" حديث الدكتور متسائلاً، ليوضح الأخير:

- مش بالمعنى الحرفي يا "محمد"، بيتعروا بمخاوفهم، بيعترفوا بيها وبكل مشاكلهم، بيواجهوا بعض بيها، بيمثلوها لبعض، بيشجعوا بعض يا "محمد"، بيشجعوا بعض إنهم يبقوا أحسن.

- طيب يا دكتور، اللي تقول عليه أنا موافق.

ظهرت علامات السرور على وجه الدكتور "علي" ليضغط جرس الممرضة التي دخلت مسرعة:

- بقولك يا بنتي، الأستاذ "محمد" هايكون في مجموعه أربعة وأربعين مع الحالات التلاتة التانيين، حطي ملفه في نفس الدوسيه، ورتبي معاه المعاد.

أومأت الممرضة رأسها بالطاعة، وانصرفت قبل أن يقف "محمد" شاكرًا طبيبه الذي قال له كلمة أخيرة:

- إوعى تنسى يا "محمد"، قوانين اللعبة اللي هاتقابلهم في "السيكودراما"، ماينفعش تشوفهم تاني يا "محمد"، ما ينفعش.

***

من داخل غرفة "السيكودراما"، كان "ناصف" قد انتهى من اعترافاته أمام طبيبه وثلاثتهم، فنظر الطبيب إلى ساعته وإليهم، ثم قال:

- إيه رأيكوا ناخد حد كمان النهاردة؟

أومأ الجميع بالقبول، ليتابعوا جلستهم. كانت الضحية الثانية عبارة عن رجل ضعيف البنية، يبدو عليه الطيبة والملائكية التي عادة يفتقرها الرجال، حتى بمظهره، فهو ناعم البشرة والخدين، ذو شعر ذهبي طويل أشبه بقصات النساء، ضعيف النظر والشخصية. كان متوترًا وإن ظهر عليه الاستسلام، فهو يعرف قوانين اللعبة تمامًا، بل وقد

شاهد اعترافات "ناصف" أيضًا.

- طبعًا إنت عارف كويس إنت هنا ليه، مطلوب منك تعري نفسك تمامًا، لازم تقول كل الحقايق، يمكن نعرف نفيدك، إنت شوفت الحوار الأولاني يا ريت تقدم حاجه أحسن منه.

لم يكن في حاجة إلى أي ضغط ليتحدث، بل كان أسهل كثيرًا، فقد كان نادمًا على لقائه بـ "ناصف"، كما كان مشمئزًّا منه أيضًا، وقد أراد الجميع أن يعرف أنه ليس بسوء "ناصف"، ولذا قرر أن يقص حكايته كاملة، والتي انتهت بلقائه بـ "ناصف" ها هنا.

- إبدأ، إبدأ من الأول.

قالها الدكتور "علي".

- حاضر.

من داخل حبسه رد برهبة واضحة:

- حاضر، أنا "محمد أحمد" موظف في بنك، قسم السندات والبورصة، حياتي عاديه، أو يمكن أكتر من عاديه.

ولكنه سكت لحظة ليتذكر شيئًا ما ثم تابع:

- أو يمكن أنا كنت فاهم كده.

ظل "محمد" يقص لثلاثتهم، كيف جاء إلى الدكتور أولاً، إلى أن كشف

له عن شعوره بالاضطهاد وإدمانه لدور الضحية، إلى أن نصحه الطبيب أن ينضم إلى مجموعتهم، ليشجعوه على الخروج من حبسه، فهو لا يزال يشعر أنه أسير، ولذلك قرر "محمد" أن يعترف لهم اعترافًا أخيرًا، ولكنه كان مترددًا، بينما كان هذا القط الذي عبر من نافذة الغرفة يراقبه من بعيد رغم الظلام.

ظل "محمد" يهمس بكلمات وتراتيل غير مفهومة، كان مضطرًّا أن يدلي باعتراف مشين. كان خائفًا، فهو يعرف قوة من يأسره وحقيقته جيدًا، قارئ لأفكاره، حافظ لحيله، فها هو الآن عاجز أن يهزمه، لن يستطيع التخلص من قيوده أبدًا، رافض لضعفه وإن كان يعلم قلة حيلته. بدأت دموع ظلمه تصاحب عرق خوفه، فخلع "محمد" نظارته السوداء، ورفع صوته لينطق جملة أخيرة:

"أنا الحبيس"

قالها وهو ينظر إلى القط في تحدٍّ واضح.

- أنا الحبيس، حبيس نفسي، حبيس شيطاني، بخاف منه جدًّا، الشيطان اللي جوايا، اللي ممكن يهد الدنيا كلها، عارف إنه ذكي، وعارف إني طيب، ومش عارف مين فينا اللي هايعيش، ومين هايفضل حبيس.

سكت مرة أخرى لحظة ومسح عرقه.

- أقدر أقول إن كل واحد منا جواه حبيس، زي اللي مستني "الوحي" ينزل عليه، "الوحي" اللي بييجي يا في صورة ملاك، يا في وسوسة شيطان، يمكن يكون لكل واحد منا قرين، أو هما في الحقيقة اتنين؛ واحد دايمًا راضي باللي انت فيه دلوقتي، والتاني دايمًا عايزك تروح في الاتجاه التاني، ممكن الوِحش يصبح كويس، وممكن الطيب يمسي شيطان. كل واحد فينا فيه دايمًا جواه حبيس.

نظر داخل كل منهم وقال:

- إنتوا عارفين الشيطان اللي جوايا ممكن يعمل إيه؟

قالها قبل أن يسكت وينظر إلى القط الذي كان يجلس على الكرسي الأخير نظرة إعجاب.

***

عاد الرجل من ذكرياته مرة أخرى، ثم عاود الإرسال من خلف شاشات الكمبيوتر مخاطبًا جمهوره بصوته الإلكتروني:

- أنا عارف إني اتأخرت عليكوا بس زي ما وعدتكم النهاردة إحنا معانا ضحيتين، أو بمعنى أصح اتنين جناه، الأول كان الأستاذ "ناصف شوكت" اللي كلنا شوفناه سوا، والضحية التانية حالاً وهاتكون معانا، أرجوكم ابقوا معنا.

قالها الرجل وقُطع الإرسـال، ليتساءل كل من "سارة" و"نور": من ستكون الضحية الثانية على صفحة "الوحي"؟ فلم تكن الضحية الثانية "للوحي" قد ظهرت بعد.

***

منتصف الليل

فتح "نبيل" الغرفة في ذهول ليجد نفسه داخل غرفة العدل المزعومة، فسأل نفسه: كيف لم يلاحظها من قبل! كانت منضدة الكمبيوتر موضوعة في المنتصف، بينما كان "ناصف شوكت" على اليسار مغشيًّا عليه من التعب، وكان هو عن يمينه، فسكت "نبيل" لحظة ليحاول الاستيعاب ثم قال:

- "تيتو"؟!

- "محمد عبد الفتاح" لو سمحت، "تيتو" مات.

قالها "محمد" وهو يجلس رافعًا رجليه على المنضدة، حاملاً أحد أسلحة "نبيل" وكلبشاته، وقد كان مظهره مختلفًا، فقد حلق شعره الطويل، وأطال ذقنه الملساء، كان وكأنه قد تحول من ملاك إلى شيطان ليرضي الجميع، جميع سُجانه.

- معلش بقى اضطريت أستلف حاجتك. رمى "محمد" الكلابشات إلى

"نبيل"، وطلب منه أن يجلس ويقيد كلتا يديه بظهر الكرسي، ففعل في تحفظ تحت تهديد "محمد" له بالسلاح، فتوجه "محمد" إليه وتابع تقييده بحبل متين، ثم رجع إلى مكانه.

- إنت بتعمل كده ليه؟

قالها "نبيل"، فابتسم "محمد" متذكرًا.

***

أنهى "محمد" اعترافاته في غرفة "السيكودراما"، لينظر الدكتور إلى ساعته مرة أخرى، لكن نظراتهم الجائعة للمزيد غلبت تعبه.

- طيب تحبوا ناخد الضحية التالتة؟

رد الجميع بالموافقة، مستمتعين باللعبة.

- طيب، يالَّا إتفضلي يا فندم، بس إوعي تنسي قوانين اللعبة، حضرتك هاتقولي كل حاجة، فاهماني طبعًا.

- حاضر يا دكتور.

انتقلت الضحية الثالثة إلى مكان الاعتراف، خلف المنضدة الخشبية القديمة، ثم نظرت إلى تلك الإضاءة التي تعلو المنضدة بقليل من الضيق، فلم تكن ترى من تحدث منها، ولكنها بدأت مواجهة ثلاثتهم في الظلام.

- أنا "سارة".

سكتت لحظة لتحاول البحث عن عيون "محمد" في الظلام.

- محبوسه زي "محمد" بالظبط، تعبت من التقليل مني وتهميشي، وعشان كده كان لازم أتغير، كان لازم أخرج من حبسي، أنا كنت ملاك وبقيت شيطان.

ظلت "سارة" تتكلم بالساعات، وظل الجميع يسمعها، وخاصة "محمد" الذي ظل يرمقها بنظرة مختلفة.

- جوزي لو عرف أنا إيه دلوقتي هايتخض، لو عرف إني بستغله عشان أجمع معلومات هايتخض، لو عرف إني بسافر عشان أتعلم، حاجات تانية خالص هايتخض، لو عرف أنا بقيت إيه في "الإمارات" برضه هايتخض!

- أنا زي "محمد" بالظبط، محبوسة، مظلومة، مقهورة، ما بسمعش كلمه حلوه، بلبي بس احتياجات شريكي، بكمله الصوره.

كان "محمد" قد بدأ يلتهمها هو الآخر بنظراته، وهي تتابع:

- مش لاقيه نفسي، مفيش حاجه باعملها بتتفهم، عايزه أحس إن أنا وشريكي وا..

- واحد.

قاطعها "محمد"، فابتسمت ليتابعا الكلمات سويًّا:

- شخص واحد بس مش هو.

- شخص واحد بس مش هي.

نظر الدكتور إلى "محمد" في توتر ولكنهما تابعا:

- شخص مني ومنه.

- شخص مني ومنها.

خرج "محمد" و"سارة" من "السيكودراما"، مشتتين، متحدين، وللأسف متحابين، ولكنهما كانا يعرفان جيدًا قوانين اللعبة، وضرورة احترامها، عكس القدر الذي قرر أن يكسر القاعدة من تلك الكافيتيريا على كونيش النيل، التي صارت بعد ذلك ملاذًا لحبهما، فعندما توجه "محمد" و"نور" إليها، لتقع عيناها عليه، كما فعل هو، فمن الداخل كان "نبيل" و"سارة" سويًّا، على إحدى الطاولات. حاولا جاهدين التنصل من اللقاء، فهما يعرفان جيدًا قواعد اللعبة، حاولا كثيرًا إنكار مشاعرهما، فلكليهما شريك آخر، فقد اكتفيا في هذا الوقت بأن يعيشا حبًّا عذريًّا وعشقًا مخفيًّا وألمًا منسيًّا، ولكن مع اقترابهما من بعضهما جسديًّا لم يعرفا المقاومة، فكلاهما كان إنسيًّا، وليسا ملائكة، لم يستطيعا منع خطواتهما التي تتقارب كالمغناطيس، لم يفهما لِمَ يفعلا

هذا، رغم إدراكهما للقوانين واحترامها! قاوما، حاولا، وفشلا باقتدار، فلم يتوقعا أبدًا أن يكون شريكاهما متعارفين.

***

- إنتي إيه اللي جابك ورايا "الإمارات" يا "سارة"؟

قالها "محمد" وهو يحتضن "سارة" بجزيرة اللؤلؤ.

- إنت اللي جيت ورايا، ما إنت عارف إني باجي هنا عشان شغلي.

نظر إليها بابتسامة.

- شغل (الأوبن داي)؟

ضحكت "سارة" بدلال.

- هانستهبل! ما إنت عارف كل حاجه.

قالتها ثم نظرت إليه.

- أنا بحس إن إنت الوحيد اللي تعرفني.

- بحبك.

- باعبدك.

- مكنش المفروض نتقابل.

- أنا مقابلتكش إنت ملاك.

- لأ أنا شيطان.

- أبـدًا، إنـت كل كلمة كنت بتقولها كانت بتخترقني، طاقتك كانت بتوصلني بطريقه فظيعه، عايزه أعدي عمري كله بسمعك، مش عايزه حتى أنام.

- إنتي اللي شوفتيني في الوقت اللي الناس كلها كانت بتعدي جنبي زي السراب، أول مره الاقي حد شايفني كده، كنت عريان قدامك، مكنتش عايز أغطى نفسي.

- دي كانت قوانين اللعبه، بس إحنا كسرناها.

- لأ، الشيطان اللي كسرهالنا، أنا مش هاخون، عشان أنا عمري ما كنت خاين.

- إنت أعظم إنسان قابلته.

- وإنتي أول حد أقابله.

- أول حد يشوفك.

- أول حد يلمسني.

- إنت ساحر.

- كنت، كنت ساحر، كنت مش موجود.

- إنت هاتفضل علطول موجود.

لامست يده ورفعتها لتقبلها في حنان كان يفتقده؛ لتأسره عبدًا لقلبها، فلم يعد يستطيع خيانتها، لم يعد يشعر بشيء غيرها، كان يتمنى الخروج من محبسه، ليتوجه إليها بشفتيه، كان يستطيع أن يسعدها، سعادة لم تتذوقها من قبل، كان يستطيع أن يكشف لها كيف يكون العشق كما كان يعرف. كيف استطاعت هي إحياء قلبه! كان يتمنى أن يشبع بها غرائزه، فقد امتلكت قلبه وعقله كما لم يفعل أحد من قبل، ظلا يتأملان بعضهما من خلف القضبان، لم يستطيعا حتى التلامس، فليس لهما الحق، ولن يستطيعا عبور القضبان، ظلا يرمقان مياه الخليج من داخل محبسهما بجزيرة اللؤلؤ، متمنيين أن يغرقهما أمواجه، لعلهما يبعثان سويًّا في عالم آخر!

***

من داخل غرفة العدل بمنزل "نبيل"، تابع "محمد" إظهار الحقائق:

– عشان وقت الحساب جه يا "نبيل"، أنا مرضيتش أوسخ إسمك، بس إنت وسخت إسمي، أنا كان المفروض أموتك النهارده، بس للأسف مش قادر لسه أوسخ إيدي، لسه مش قادر أوصل للمرحله بتاعتك، أنا هاسيب الناس هي اللي تحاسبكم.

قالها "محمد" ووضع لاصقًا على فم "نبيل" وخرج من الكادر، ووضع المايك الإلكتروني وقام بتشغيل الكاميرا.

"المفاجأه، الضحيه التانيه النهارده، سيادة العقيد "نبيل مصطفى"، اللي هايكون بطل النهارده لفيلم ممتع هاتتفرجوا عليه، المشاهد اللي جايه للكبار فقط، نتمنى للأطفال نومًا هادئًا".

خرج "محمد" من المكان دون أن يلوث يده بدماء "نبيل" كما رسم في الخطة التي وضعها مع "سارة" صاحبة الوجه الحقيقي لـ"الوحي"، واكتفى بما سوف تذيعه هي في الدقائق القليلة المقبلة، فقد قررا أن ينتقما أشد انتقام، فهؤلاء من يحبسون شرهم بداخلهم سنين، ينتظرون دائمًا لحظة الصفر.

مرت الدقائق والجماهير تنتظر ما سوف يذيعه "الوحي" ليظهر تسجيل "نبيل" وهو بين أحضان عشيقته "نور"، من تلك الغرفة بشقة الزمالك، الغرفة التي جمعهما فيها "محمد" و"سارة" مرة أخرى، كاتبين لهما الرسالة بهذا الخط المشع، فقد "جاء وقت الحساب".

توجه "محمد" إلى سيارته ليذهب إلى منزله ليشاهد لحظة انكسار "نور"، متذكرًا كيف علم بخيانتها.

***

من إحدى كافيتيريات كورنيش الزمالك، كان "محمد" ينتظر قدوم "سارة" في توتر، فقد قررا ألا يتلاقيا؛ احترامًا لشريكيهما، فهما حبيسان لظروفهما الاجتماعية، لا يستطيعان التحرر بسهولة، ولكن

"سارة" ألحّت في مكالمتها على المقابلة بطريقة غير مفهومة. ظل هائمًا ينظر إلى صفحة النيل، إلى أن وصلت هي أخيرًا، في توتر.

- أهلاً يا "تيتو".

وقف "محمد" وحياها، ثم جلسا.

- في إيه يا "سارة"، إحنا مش قولنا ماينفعش نتقابل غير لو "نبيل" و"نور" اضطرونا لكده؟

لم تعلق "سارة"، وظلت ترمق حبيبها بشغف رغم جدية الموقف.

- يا "سارة" ردي عليا، إنتي كمان عماله تقربي لـ "نور" وتصاحبيها، وأنا الصراحه متضايق.

- مراتك هي اللي مصاحباني عشان (الأوبن داي).

لم يستطع "محمد" الاستمرار في جديته، فهو يعشقها كما تفعل.

- إحنا هانستعبط يا "سارة"؟! ما إحنا دافنينو سوا.

- صح، إنت الوحيد اللي تعرفني.

- وإنتي الوحيده إللي تعرفيني يا "سارة" وعارفه أخلاقي، أنا معرفش أخون.

ابتسمت "سارة" وعلقت:

- بس تعرف تتخان.

كانت الكلمة ثقيلة على سمع "محمد".

- أفندم!

في انزعاج نظرت "سارة" إلى المنضدة لتلمح كوبين من عصير البرتقال، فابتسمت، فهي حقًّا تحبه، فنظرت إليه معترفة:

- "محمد" أنا مش ملاك.

- ولا أنا يا "سارة"، بس أنا مش فاهم حاجه، مين اللي خاني!

سكت لحظة قبل أن يتابع:

- ده أنا حتى إنتي معرفتش أخونك.

أمسكت "سارة" يد "محمد" وهي تسحره بحنانها قائلة:

- عشان ملاك يا روحي، وعشان كده أنا هاحكيلك.

ظلت "سارة" تشرح لـ "محمد" حقيقة محاولة ابتزازها لـ "ناصف" بعدما رأت ملصقاته وصوره، مرشحًا للانتخابات، وكانت هي من القلائل الذين يعرفون حقيقته من جلسات "السيكودراما"، ولذلك قررت أن تجعل "سامي" الرجل الذي كانت تستخدمه كواجهة لأعمالها يضع كاميرا في غرفته، لكي تستطيع مساومته.

- إبتزاز يا "سارة"! إنتي تعملي كده؟!

قالها "محمد" ووقف مبتعدًا عنها، فهرعت إليه.

- حبيبي، أنا مريضه وبتعالج وإنت عارف كده.

- وهو إنتي يعني شايفاني عاقل أوي يعني؟ ما إحنا اتقابلنا عند نفس الدكتور، بس ده مش مبرر يا "سارة".

- والله يا "تيتو" أنا مكنتش ناويه أفضحو، بالعكس أنا كنت هانجحو في الانتخابات، عشان عارفه إنه ممكن يتغير، وهو لو مكنش دفع، مكنتش هاعمل حاجه.

- والراجل اللي انتي عاملاه واجهة ده يا "سارة"، مش إنتي كده فضحتي "ناصف" قدامه، إخص عليكي يا "سارة" إخص!

- لا والله، محدش شاف التسجيلات دي غيري.

قالتها "سارة" وهي تتذكر اليوم الذي كانت تشاهد فيه التسجيل من غرفة أخرى بمنزلها.

فقد كانت "سارة" متشوقة لمشاهدة فيلم يشين "ناصف شوكت" تستطيع أن تبتزه به، ولكنها ظلت تشاهد زوجها وهو يستمتع في أحضان عشيقته العارية، ظلت تشاهد زوجها وهو يعارك زوجة "تيتو" التي أعطاها الله الولد، والمال، والزوج الذي يعشقها، لتزاحمها في

الشيء الوحيد الذي تمتلكه في هذا العالم، فرغم مقتها لـ "نبيل" مؤخرًا، وخصوصًا بعدما قابلت "محمد" إلا أنها حبست نفسها كما فعل "محمد" احترامًا لمن لا يستحق، لمن تحركه غرائزه والطمع دائمًا في المزيد.

لم تستطع "سارة" أن تخفي السر عن "محمد" الذي شاهد معها محتوى الفيديو، ليظل "محمد" ينظر إلى شاشة الهاتف معطيًا النيل ظهره خجلاً، فدمعت عيناه وهو يراها تتلذذ بمعاشرة تفتقر إلى الإحساس بشيء إلا النشوة.

سمع "محمد" مواء قط أسود ظهر بجواره، فابتسم، فقد وافق مارده الخروج من محبسه، ويا ويلهم جميعًا من شره! فقد خطط شيطان "محمد" كيف سيدمر "نبيل" و"نور" نفسيًّا وعصبيًّا حتى تأتي ساعة الصفر التي سوف يعلنون فيها عن وجههم القبيح، لم تكن الخطة في البداية أكثر من ابتزاز "نبيل" وقهر "نور"، حتى تظهر لهم الظروف شرارة البدء، وقد كان.

***

أذيع فيديو "نبيل" و"نور" أمام الملايين الذين كانوا قد تابعوا الأحداث وسط استياء الجميع واشمئزازهم، إلا "سارة"، التي ظلت ترمق "نور" في بيتها بنظرات التشفي، شعور جميل بالنصر وهي تراها تفقد كل

شيء، في لحظة اضطرت فيها "نور" الهروب من نظرات "سارة" بين أحضان تلك النافذة الحزينة.

***

بعدما أذيعت فضيحة "نبيل" و"نور"، تأكد الجميع من تورط "نبيل" في قتل "سامي" ليستر فضيحته، وفضيحة النائب المريض الذي أودع المال لـ "نبيل" لينفذ عمليته القذرة، لم تكن هناك إلا ساعات ليتأكد الجميع من سلاح "نبيل" الذي قتل به "سامي" بالفعل، ولكن الجميع اعتبر التحقيقات تحصيل حاصل، لتنهال الرسائل على الصفحة بالقصاص، وبفتح الغاز للتخلص من هذه الأمثال النجسة، بينما كان "محمد" قد وصل إلى منزله، ليجد العديد من سيارات الشرطة، ليتعجب كيف فُضح أمره، ليتوقف ويخرج إليهم في استسلام!

***

وصل اللواء "محمود وهبة" إلى شقة "نبيل" التي كان بابها مواربًا، ليدخل في ترقب، حتى وصل إلى غرفة العدل المشئومة، ليجد الكمبيوتر على يساره، فيغلقه ليسخط جميع الجمهور ويحرمهم مؤقتًا من متابعة الأحداث.

ظل "محمود" ينظر إلى "نبيل" في استياء.

- إنت اللي وصلتنا لكده، أنا آسف يا صاحبي.

ثم أمسك "محمود" الهاتف واتصل بـ "هشام" في حالة من الذعر في عيني "نبيل" ومن جانبه "ناصف".

- معلش يا "هشام"، البقاء لله، ملحقتهمش، إبعتلي قوه بسرعه.

توجه "محمود" إلى أنبوبتي الغاز وفتحهما، ليسعل كثيرًا قبل أن يتجه مرة أخرى للكاميرا ويشغلها، ثم خرج من الغرفة وتركهما. كان وجه "نبيل" قد تحول إلى الحمرة وهو يفتح عينيه بقوة، ليشاهد شريط حياته، التي ظن فيها أنه الفاعل، في حين كان هو المفعول به، لم يتحكم أبدًا بحياته، لم يتحكم في حرمانه من الإنجاب، لم يتحكم في فساد قائده الذي كان يستغله، لم يتحكم في كبته، لم يتحكم فيمن خانوه ولا من خانهم، ظل يرمق حياته بكلتا عينيه، رافضًا أن يغلقهما وهو يهتز من الألم والقهر، بينما يملأ الغاز السام رئتيه، ظل يهتز ويتصبب عرقًا، ولكنه أبدًا لم يغلق عينيه، حتى بعد أن وقف هو عن الحركة، ظلت عيناه مفتوحتين، على صورة زوجته التي لم يعشق غيرها أبدًا، ومن ثم وجد بجوار زوجته الحبيبة أبناءه الأربعة، يحتضنونه في دفء افتقده طوال حياته.

***

اطمأن "محمد" نسبيًّا عندما وجد سيارة للإسعاف، فعرف أن هناك حادثًا ما قد وقع، وقبل أن يرسم خياله التساؤلات، وجد جثة غارقة في دمائها يحيطها رجال الشرطة والإسعاف، كان يشعر بها، اقترب أكثر

رغم منع العساكر له، حتى وجد يدها ظاهرة من أسفل غطاء أبيض كان قد وُضع فوقها، كانت يد زوجته، فصرخ قائلاً:

- "نورررررر".

لم تكن معشوقته، ولكنه لم يعترض، كانت قد خانته، ولكنه كان قد انتقم، تذكر لحظات من السعادة جمعت بينهما، تذكر ابنيهما، فتعجب كيف فضح أمه! فشعر بأن شيطانه قد خدعه، وأن من أطلق سراح حبسه هو ليس وحيًا من ملاك، بل وسواسًا من شيطان.

قالها في نفسه قبل أن يجدها تقترب إليه في صورة الملاك. احتضنته، ودفعته بعيدًا عن جثة زوجته.

- إنت أعظم إنسان قابلته.

إنت ساحر.

قالتها "سارة" لتتذكر كيف كانت تستغل "نبيل" بكلامها!

***

من على سرير الزوجية كانت "سارة" تسأل زوجها بدلال غير معتاد:

- عارف؟

- إيه يا روحي؟

- إنت أعظم إنسان قابلته.

إنت ساحر.

- أهو كلامك الجميل ده اللي بيصبرني على جنانك.

ابتسمت "سارة" بعدما سمعت كلمة "جنان"، ثم تابعت عملها:

- "نبيل"، هو إنت صحيح شفت صفحة "ضي الرحمن" الجديدة؟

ضحك "نبيل" بسعادة بالغة وعقب:

- آه طبعًا، دي بتاعت عيل سيس كده بيعمل عليها بلاوي، بس إحنا هانوقعهالو قريب.

- بجد واللّه؟ طيب دي حاجه كويسه، وصفحة "سها الويشي" كمان.

لم يتعرف "نبيل" على الاسم واستفسر:

- دي بتعمل إيه؟

- ولا حاجه يا حبيبي، دي بتاعت إعلانات.

- طيب وإحنا مالنا يا ستي؟

- ما إنتوا مابترحموش.

قالتها ضاحكة، وأمسكت بهاتفها لترسل رسالة نصية صغيرة:

"إوقف صفحة ضي الرحمن، وحوِّل الأعمال على صفحة سها الويشي".

ثوانٍ معدودة وجاءها الرد:

" Orders يا كبير، أوامر يعني.. سامي".

- مين اللي بيبعتلك يا "سارة"؟

سأل "نبيل".

- دي زبونه يا حبيبي عايزه كام طقم، معلش أنا هاروح أقعد على الكمبيوتر شويه، أشوف حبة موديلات جديدة. بقولك صحيح، إنت كنت بتحكيلي عن حد مرتشي مضايقك في الإدارة، أخباره إيه؟

سكت "نبيل"، فلم يتذكر أنه قد تكلم مع زوجته في مثل هذه الأمور! ولكنه أجاب على كل حال:

- أكيد تقصدي "هشام". مفيش غيره هو الوحيد اللي إيده مش نضيفه.

- يالَّا يا سيدي، عقبالك إن شاء اللّه.

قالتها لترسم له الطريق في خياله، بينما أرسلت رسالة نصية أخيرة: "الرائد هشام عبد الرحمن".

***

وصلت الشرطة إلى شقة "نبيل"، وعلى رأسهم "هشام" الذي اتجه إلى "محمود" الجالس في غرفةالمعيشة الخارجية.

- "محمود" بيه، شد حيلك.

- ازاي بس يا "هشام"، هو أنا كنت بقدر اعمل حاجه من غير "نبيل"؟

نزلت دمعة كاذبة من عيني "محمود" الذي تابع:

- هو أنا يمكن كنت بقسى عليه، بس علشان أقومه، عشان مايوصلش للي وصله.

عزى "هشام" رئيسه، ولكنه لم يستطع إخفاء أمر هام.

- معلش يا باشا، هو في حاجه تانيه حصلت.

- إيه؟!

في توتر سأل "محمود".

- طلع بيان على صفحتنا، إن صفحة "الوحي" إتقفلت، وإن إحنا سيطرنا على كل حاجه، وإننا دايمًا على الحياد وبنحارب الفساد، وإن الجناه نالوا جزاءهم.

سكت لحظة، ليضغط عليه "محمود" ليكمل.

- حتى إحنا كمان أنكرنا تصرفات العقيد "نبيل" وكمان باركنا للمرشح الديني "صلاح" إنه يعتبر كسب بالتزكيه.

في سعادة رد "محمود":

- طيب والله كويس إنكم عرفتوا تحتووا الموقف وتقولوا كلام كويس،

مش عوايدكم يعني.

لم يعلق "هشام" وظل متجهمًا!

- إيه يا "هشام"، هي الصفحه ما اتقفلتش زي ما قولتوا ولّا إيه؟

- لا واللّه يا فندم، هي من ناحية قفلت هي قفلت، بس...

وقف "محمود" ناسيًا حرمة الموقف وتساءل بقوة:

- بس إيه يا "هشام"؟

لم يجد "هشام" مفرًّا من الحقيقة ليقول:

- مش إحنا يا باشا اللي وقفنا الصفحه والأهم..

في ذهول تابع "محمود":

- هو لسه في أهم؟!

- أيوه يا باشا الأهم، إن مش إحنا اللي طلعنا البيان.

شرد "محمود" لحظة وابتسم قائلاً:

- طيب تمام.

- هو إيه اللي تمام؟

- هي مش الناس كده مبسوطه؟

- أيوه يا باشا، بس كده في تساؤلات كتير.

قاطعه "محمود" في حزم:

- مفيش تساؤلات يا حضرة الرائد، مفيش، طول ما الناس بتشوف إللي هي عايزاه هاتكون مبسوطة، وطالما الناس مبسوطة يبقى احنا كدة تمام.

قالها "محمود" وغادر وهو يضحك كثيرًا، ليخرج هاتفه ويتصل برقم خاص:

- تمام يا شيخ "يوسف" أنا نفّذت الأوامر.

- والفلوس هاتكون عندك بكره الصبح.

قالها الشيخ "يوسف" وأغلق الخط، لينظر إلى "صلاح" ضاحكًا:

- دلوقتي بس ممكن أقولك مبروك.

فلم يكن "محمود" أكثر من إحدى خلاياهم التي كانت تنتظر الإشارة ليقوم ببيع وطنه عندما تأتي الفرصة المناسبة، والثمن المجزي

***

حمد "هشام" ربه على عدم تدخله في إنهاء حياة "نبيل" الذي لقي ربه في الميعاد، دون أن يكتسب "هشام" إثمًا وتتلوث يده بدماء قائده، فتظل لعنةً عليه بقية حياته، فرغم ضغط "سارة" على "محمد" مستخدمة سحرها، وعلى "هشام" مستخدمة تسجيلاتها، إلا أن ميعاده كان قد

كُتب سلفًا في منتصف الليل.

ظل "هشام" شاردًا لا يفهم من الذي كان يُخاطبه طوال يومه! إذ كان يجهل ما حدث في أمسه الساعة الثالثة صباحًا.

***

الساعة الثالثة صباحًا

- حبيبتي؟

قالها "محمد" بعدما اغتصب زوجته في غلٍّ واضح، ثم اتصل بـ "نبيل" كما اتفق مع "سارة" التي كانت في مكتب "سامي" بالمهندسين.

- حبيبي، أنا آسفه.

- آسفه ليه؟

- ساعة الصفر جت.

- يبقى خلاص جه وقت الحساب، بس حصل إيه؟

- "نبيل" عرف إن "سامي" اللي ورا التسجيل و..

بكت "سارة" وهي تنظر إلى صديق كفاحها المستلقي على الأريكة، وتابعت:

- "نبيل" قتله.

- "سامي" مين؟!

- الولد اللي كان ماسكلي الشغل، بس مش دى المشكله، المشكله إنه لو عرف عننا حاجه هايقتلني أنا كمان.

- يقتلك؟!

قالها "محمد" في تحدٍّ.

- هو ناوي يقتلني مرتين ولَّا إيه! ماتخافيش يا حبيبتي، ساعة الصفر جت، أنا هاخطط كل حاجه.

اتجه "محمد" في دقائق معدودة إلى كورنيش النيل، عند الكافيتيريا التي يقصدانها دائمًا، فلم تكن تغلق أبوابها أبدًا. استغلت "سارة" غياب "نبيل" لتستمع إلى تخطيط الداهية "محمد"، فكما عهدته، هو أذكى من قابلت خلال مشوار حياتها.

***

- طيب وإحنا هانعمل كده في "ناصف" ليه؟

- نصيبه، إحنا هانحتاج نوصل القضيه للناس كلها، لازم الدنيا كلها تتهز.

- عشان لما نذيع تبقى الفضيحة بجلاجل؟

- مش بس كده، عشان الكل يعملنا حساب، وتبقى قضية رأي علم، نقدر

بيها كمان نلم فلوس كتير.

- بس ده مكنش مبدأك يا حبيبي.

- ماكنش! بس الحمد لله خفيت.

ضحكت "سارة" التي كانت تجهل أنها أطلقت لشيطانه العنان، ولن تستطيع حبسه مرة أخرى.

- طيب وهناخد "ناصف" ازاي من شقته؟

سألته "سارة" وهي مستمتعة بذكائه.

- إحنا مش هاناخده من شقته.

- مش فاهمه!

ضحك "محمد" مستمتعًا بنظراتها الحائرة، ثم جاوب:

- "ناصف" هايكون معانا من الصبح، من بعد ما يودع الفلوس في البنك.

- ازاي؟

- يا إما أنا هاخده من هناك، أو "ماجي" تجيبو لعندي لو قدر "هشام" يضغط عليها، وساعتها أنا هاستلمه علشان نقدر نبدأ الشغل.

- يعني هو أصلاً هايكون معانا من أول الحكايه.

- أيوه، ومش هانبدأ حاجه غير وهو متأمن.

استمتعت "سارة" بتخطيط الحبيس الذي أُطلق سراحه لتكمل:

- بس أنا عايزه أشوفهم تاني في نفس الأوضه.

قالتها "سارة" بطريقة مرَضية، تعكس تكوينها النفسي، ثم تابعت:

- وكمان عايزة افهم،هانقنع الناس ازاي إن إحنا خطفناه من بيته؟

ضحك شيطان "محمد" وتابع:

- أنا هاقنع "نور" إني معاه وأستنى في شقة الزمالك، وهاسيبلك الشقه مفتوحه، والباقي سهل.

لم تكترث "سارة" لكلام "محمد"، بل ظلت هائمة في عمق عينيه الذكيتين، بينما كان هو مستمتعًا بإعجاب نظراتها، ليسكت كلاهما عن الكلام، ويظلا يبحثان عن حبهما داخل أعماق عينيهما، هذا الحب الذي اهتزت من أجله أركان الدولة، وهذا العشق الحبيس، الذي انطلق من محبسه، محطمًا كل ما حوله من قيود، جارحًا بأنيابه ومخالبه كل ساجنيه، فلقد بات جنين الحب وحشًا، فلقد تأخر كل منهما في مواجهة آسره دهرًا، ليفقد الحب عذريته وبراءته في قلب الحبيسين، وليتذوقا طعمًا آخر للحياة لم يعرفاه أبدًا من قبل.

***

في ساعة أخرى

من داخل عيادة الدكتور "علي"، ظلت "سارة" تتكلم، وظل الدكتور "علي" يستمع، حتى شعر أنه قد فقد التركيز ليسأل:

- يعني اللي حصل ده كله ملوش علاقه باللي اتذاع؟!

- حضرتك يا دكتور دايمًا اللي بيتذاع ملوش علاقه باللي بيحصل، إحنا دايمًا بنمشي ورا سراب.

- أنا مش عايز أصدق اللي بتقوليه.

- ماتصدقش.

- طيب إنتي إيه اللي تاعبك؟

- أنا حاسه إن "محمد" استغلني.

في اندهاش سأل الدكتور "علي":

- استغلك ازاي بس يا "سارة"؟!

***

من داخل البنك، توجه "محمد" إلى "خالد" مديره الذي عرض عليه من قبل تزوير أصل السندات.

- مساء الخير يا "خالد" بيه.

- أهلاً يا "محمد"، إنت مش موقوف؟

- أيوه يا "خالد"، وعايز أفضل موقوف.

- "خالد"؟!

بمنتهى الثقة تابع "محمد":

- أقعد أقعد يا "خالد" ماتتكسفش.

- إنت مجنون؟! قوم أقف وإنت بتكلمني.

وقف "محمد" واقترب من "خالد" قائلاً:

- تعمل إيه يا "خالد" بيه لو خليت معاك خمسين مليون جنيه في أسبوع؟!

تغيرت ملامح "خالد" وقال:

- "خالد" بس، مالهاش لزوم الألقاب.

***

- لأ إسمحيلي يا "سارة"، "محمد" مايعملش كده.

قالها الدكتور "علي" وإن لم يعد واثقًا من حساباته.

- إنت يا دكتور ماتعرفش "محمد" ممكن يعمل إيه!

اندهش الدكتور "علي" من طريقة "سارة" في التوصيف! ولكنها تابعت:

- أنا عارفه إن دي مجرد شكوك، بس مش مخلياني عارفه أبقى سعيده يا دكتور.

قبل أن يجيب الدكتور "علي"، قاطعت الممرضة حديثهما بطرقها الباب، ليأذن لها الدكتور "علي" معتذرًا على التأخير:

- معلش، أنا عارف إننا طولنا.

وقفت "سارة" قبل أن ترد الممرضة:

- معلش يا دكتور، أنا عارفه إني أخدت من وقتك كتير النهارده، أنا هامشي دلوقتي.

- بس إحنا لسه مخلصناش كلامنا.

- عارفه، بس ماتخافش، أنا راجعالك تاني.

***

بعد برهة طرقت الممرضة مرة أخرى باب الدكتور "علي" الذي سرقه

الوقت كالعادة، ليقف الرجل معتذرًا:

- معلش يا دكتور، أنا عارف إني أخدت من وقتك كتير النهارده، أنا هامشي دلوقتي.

- بس إحنا لسه مخلصناش كلامنا يا "وحيد".

- عارف، بس ماتخافش أنا راجعلك تاني.

***

- أنا عايز أعرف مين كان رابعنا يا دكتور؟

- إنتوا كنتوا تلاته بس يا "محمد".

- يا دكتور أرجوك، أنا مش مجنون.

- أنا مقولتش إنك مجنون يا "محمد"، إنت بس أعصابك تعبانه شويه.

سكت "محمد" وهو يتذكر القط الذي كان معهم، فقد كانوا ثلاثة وهو رابعهم.

- عمومًا يا دكتور مش هو ده اللي أنا جايلك عشانه.

- يستحسن برضه.

- أنا شاكك إن ممكن تكون "سارة" هي اللي قتلت "سامي"، "نبيل" جوزها مش بالغباء إنه يورط نفسه في حاجه زي دي، مكنش على الأقل

هايسيب الفارغ وراه.

- "سارة"؟! بس ليه "سارة" تعمل كده؟!

***

اتصل "سامي" بـ "سارة" مستغيثًا، فلم يكن يعرف ماذا يفعل بعدما أبلغه "هشام" بقدوم "نبيل"!

- "سارة" إلحقيني يا "سارة"، أنا كده هاضطر أقول كل حاجه.

سكتت "سارة" وهي ممسكة بمسدس زوجها لتطمئنه.

- "سامي" ماتخافش، أنا هاقولك هانعمل إيه، بس بشرط.

- إيه؟

- "بس المهم تصدقني".

***

- لأ إسمحلي يا "محمد"، "سارة" ماتعملش كده.

قالها الدكتور "علي" وإن لم يعد واثقًا من حساباته.

- إنت يا دكتور ماتعرفش "سارة" ممكن تعمل إيه!

اندهش الدكتور "علي" من طريقة "محمد" في التوصيف! ولكنه تابع:

- أنا مش بس دي مشكلتي يا دكتور.

- هايكون في إيه أكتر من كده يا "محمد"؟

- "نور" يا دكتور.

- تعيش وتفتكر يا "محمد" مالها بس؟

- إنت عارفها كويس يا دكتور.

لم يفهم الدكتور تلميح "محمد"!

- إنت عارف كويس يا دكتور إن "نور" مستحيل تنتحر.

- يعني إيه؟!!

قالها الدكتور بعدما فهم تلميح "محمد".

- أنا عارف إن دي مجرد شكوك، بس مش مخلياني عارف أبقى سعيد يا دكتور.

قبل أن يجيب الدكتور "علي"، قاطعت الممرضة حديثهما بطرقها الباب، ليأذن لها الدكتور "علي" معتذرًا على التأخير:

- معلش أنا عارف إننا طولنا.

وقف "محمد" قبل أن ترد الممرضة:

- معلش يا دكتور، أنا عارف إني أخدت من وقتك كتير النهارده، أنا هامشي دلوقتي.

- بس إحنا لسه مخلصناش كلامنا.

- عارف، بس ماتخافش، أنا راجعلك تاني.

***

خرج "محمد" واستغل كونه المريض الأخير ليسرق الدوسيه رقم ٤٤ الذي كان في مكتب الممرضة، التي كانت لا تزال عند الدكتور "علي":

- إمشي إنتي دلوقتي وقفلي، وسيبيني، أنا عايز اقعد شويه لوحدي.

قالها الدكتور واتجه إلى نافذة غرفته، ليترقب فناء تلك المدرسة في الظلام، التي كانت تسكنها القطط ليلاً، حتى يظهر ضوء النهار. كانت القطط تنظر إليه من بعيد، فلم يستوعب كيف لاحظته! حتى عبرت القطط سور المدرسة، تاركة الفناء لوحشته. كان للقافلة قائد ضخم، ظل يصرخ في جنوده ليحثهم على القتال، لينقطع التيار الكهربائي على كامل المنطقة فجأة، ليستفيق الدكتور "علي" الذي كان شاردًا فيما حدث، يحاول استيعاب ما سمعه اليوم من مرضاه الثلاثة، الذين استهلكوه في الساعات الطويلة الماضية، ليشعر الدكتور "علي" بالخوف، خاصة عندما سمع مواء القطط يعلو ويقترب، وإن كان قد ظهر من داخل العيادة، وكأنها عبرت إليه في الظلام. شعر "علي" بهذه الخطوات الشيطانية التي كانت تصول وتجول في المكان، ليخرج الدكتور "علي" من غرفته في رهبة لا يتحملها قلبه العجوز، ليجد

ضوءًا ينبعث من غرفة "السيكودراما"، اتبعه الدكتور في توتر، ليجد من بعيد جهاز الكمبيوتر الموضوع على المنضدة ما زال يعمل، فخف توتره لحظة حتى اقترب الدكتور منه ليقرأ الكلمات الأربع:

"جاء وقت الحساب.. الوحي"

فابتسم ابتسامة يأس، فقد كان يعرف أنه قد "جاء بالفعل وقت الحساب"، ليسمع صوت شد أجزاء السلاح، ليلتفت الدكتور خلفه، ليواجه الكراسي الأربعة، ليلمح في الظلام هذا الظل الذي كان يعرف صاحبه جيدًا.

- مش قولتلك هارجع تاني!!

لم ترحمه توسلاته، فقد عزم قاتله النية مسبقًا. كان هذا واضحًا من قفاز يده الجلدي، فلم يأتِ برد الشتاء بعد، علم أنها لحظته الأخيرة، كان متيقنًا أنه قد خُدع، فابتسم يأسًا وهو يسمع شد أجزاء سلاح قاتله، فأغلق عينيه ليسمع صوت طلقة الخيانة في استسلام.

***

عاد "محمد" إلى منزله، وهو يحمل الدوسيه الذي سرقه والذي كان يتلهف لقراءته. صف سيارته، وظل ينظر إلى منزل زوجته الذي ورثه عنها في اشمئزاز. لم يكن يريد الصعود، واكتفى بالحركة داخل الحديقة، حتى سحبته قدماه إلى تلك الغرفة التي تتوسطها، كانت

القطط تحيطها في انكسار، حتى ظهر "محمد" لتنتبه إليه، ظل يسير ناحيتها طويلاً وهي تترقبه خفية، حتى وصل إلى الغرفة، غرفة تملؤها التساؤلات، تنتظر الإجابات من ساكنها الجديد، ففتح "محمد"الباب ليجده يجلس مكان ابن عمه في صمت كعادته، فقد كان كالشيطان الأخرس، يقتله بنظراته، كان حاد الملامح، أبيض الوجه، أصفر الشعر وذو نمش على خديه، كان يرمقه في تحدٍّ لا مُبالٍ به، كان يجلس على كرسي هزاز في وسط الغرفة الخالية من أية مفروشات أخرى، كانت الإضاءة خافتة، وإن كان مصدرها من خلفه، ليقلل هو من شدتها مع حركته كل لحظة، كانت مسافتهما تزيد عن الأربعة أمتار، حين قرر هو الاقتراب منه، فأوقف الحركة، وترك كرسيه ووقف، ثم بدأ يمشي في اتجاهه في صمت كعادته. كاد يدرك ضحيته، فلم تبق هناك إلا خطوة واحدة، فبدأ في التهامه بعينيه، ثم فتح فمه، وحاول إمساكه بيده، بينما كانت قططه تقف خلفه لتوجهه في مواء متكرر، فلقد ولد حبيس جديد، ينتظر الخلاص، كمن ينتظر نزول وحي ملائكي أو وسواس شيطان.

في داخل كل منا ملاك وشيطان، كلاهما ينتظر منا القرار، لمن ستطلق السراح، قبل أن "يجيء وقت الحساب".

***

شكر وتقدير

شكرًا لكل هؤلاء الذين آمنوا بأفكاري، ودفعوني لأخرج بها من محبسي

محمد أسامة	شادي هشام
د/عيد إبراهيم	محمد أبو المجد
د/داليا الشيمي	د/هيثم عبد المجيد
إيمان خليفة	علياء شومان
علاء عبد الناصر	م/شيرين مؤنس
ماجد عصام	ميرنا الخطيب

كما أدين بالشكر لأولئك الذين ظلوا يحاربونني في الخفاء، فقد كانوا دومًا وقودي لصراع الحياة